شرح
العقيدة الواسطية

من تقريرات

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله

(١٣١١ - ١٣٨٩ هـ)

مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية

النسخة الوحيدة لأول شرح مدون منذ زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

كتبه ورتبه

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله

(١٣٤٥ - ١٤٢١ هـ)

حققه ابنه

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

شرح
العقيدة الواسطية

ⓗ عبد المحسن بن محمد القاسم، ١٤٤٥هـ

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم
شرح العقيدة الواسطية. / محمد عبد الرحمن ابن قاسم - ط١ . . - المدينة المنورة، ١٤٤٥هـ
٥٦٤ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٤١٤٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٧٩٠٣-٠

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

شرح
العقيدة الواسطية

من تقريرات

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ)

مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية

النسخة الوحيدة لأول شرح مدون منذ زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

كتبه ورتبه

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

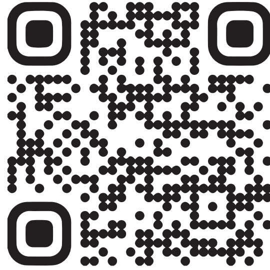
حققه ابنه

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يُمكنُ الاطِّلاع وتَحميلُ جميع مُؤلَّفات فضيلة الشَّيخ على الرَّابط:

a-alqasim.com/books/



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

فإنَّ العِلْمَ نُورٌ وهدىً للعالمين، وهو ميراث النُّبوَّة، وبه الرِّفعة لأهله في الدَّارين، وهو المُوصِل لرضوان اللَّه وجنَّته.

وأشرف العلوم معرفةُ اللَّه، ولأجله بُعِثت الرُّسل، قال ابنُ القيِّم رحمه اللَّه: «بَعَثَ الرُّسلَ به معرِّفين، وإليه داعين، ولمَنْ أجابهم مُبَشِّرين، ومَنْ خالفهم مُنْذِرين، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفةَ المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تنبني مطالب الرِّسالة جميعها»[(١)].

وعلى هذا النَّهج سار العلماء الرَّبانيون في بيان العقيدة الصَّحيحة للنَّاس تعليماً وتصنيفاً، ومن أولئك: سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد أَوْلاها جُلَّ اهتمامه، فعَكَفَ على تدريسها أكثر من أربعين عاماً.

(١) الصَّواعق المُرسَلة (١/ ١٥٠).

ومن كتب العقيدة التي أعاد سماحته شَرْحَها مِراراً: «**العقيدة الواسطيَّة**» لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة رحمه الله، فقد قرأها الوالد مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قاسم رحمه الله على سماحته ثمانيَ مرَّات، وكان سماحته يشرحها والوالد يُقيِّد شرحه عليها كاملاً في كلِّ مرَّة، فتكرَّرت كتابته لهذا الشرح ثمانيَ مرَّات، يكتبه في حينه بلَفْظِه وحروفِه من فِيه؛ محافظةً على أمانة النقل، وحِرْصاً على تقييد الفوائد، فخرج شرحاً نافعاً من تقريرات سماحته رحمه الله(١).

ولأهميَّة هذا الشَّرح، ولكونه النُّسخة الوحيدة لأوَّلِ شرحٍ مُدَوَّن منذ زمن المُصنِّف، وإنفاذاً لوصية الوالد لي - مشافهةً وكتابةً - بتحقيق كُتُبِه وإخراجها؛ عملتُ على تحقيقه، وقدَّمتُ بين يدي ذلك ما يأتي:

أوَّلاً: ترجمة المُصنِّف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة رحمه الله.

ثانياً: ترجمة الشَّارح سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رحمه الله.

ثالثاً: ترجمة الوالد العلَّامة مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قاسم رحمه الله.

رابعاً: أهمِّيَّة «العقيدة الواسطيَّة».

خامساً: مزايا الشَّرح.

سادساً: منهجي في التَّحقيق.

سابعاً: نماذج من المخطوطات.

---

(١) المراد بالتَّقريرات هنا: ما أملاه سماحته رحمه الله من العِلم عن ظهر قلب.

أسأل اللَّه ﷻ أن ينفع بهذا الشَّرح كما نَفَع بأصلِه، وأن يجزيَ علماء المسلمين خير الجزاء وأوفاه، وأن يتغمَّدهم بمغفرته ورحمته، وأن يجمعنا بهم في جنَّات النَّعيم.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِه، وصحبِه أجمعين.

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

فَرَغْتُ مِنْهُ فِي الخَامِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

تَرْجَمَةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ٱبْنِ تَيْمِيَّةَ

رَحِمَهُ اللَّهُ

(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

اسمُه، ونَسبُه، ومولده

هو: أحمد بن شهاب الدِّين عبد الحليم بن مَجْد الدِّين عبد السَّلام بن عبد اللَّه بن الخضر بن مُحمَّد بن الخضر بن عليٍّ بن عبد اللَّه ابن تيميَّة الحرَّانيُّ[1].

كُنيتُه: أبو العبَّاس[2].

لَقبُه: تقيُّ الدِّين[3]، واشتهر بـ«شيخ الإسلام»[4].

ولد بـ«حَرَّان»[5] في عاشر ربيع الأوَّل سنة إحدى وستِّين وستِّ مئة (٦٦١هـ)[6].

---

(١) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨).
(٢) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨).
(٣) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨).
(٤) الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيميَّة (ص٢٤).
(٥) حَرَّان: مدينةٌ جنوبَ شرقِ تركيَا على حدود سُوريَة، شمالَ مدينةِ الرَّقَّة السُّوريَّة، تبعد عنها مئة وعشرة (١١٠) كيلومترات. معجم ما استعجم (٢/ ٤٣٥)، معجم البلدان (٢/ ٢٣٥).
(٦) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨)، الأعلام العَلِيَّة (ص١٦).

نَشْأَتُه وطَلَبُه لِلعِلْم

نشأ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيت عِلمٍ ودِينٍ؛ فوَالِدُه: شهاب الدِّين عبد الحليم(١)، كان له كرسيٌّ بجامع دِمشْق يتكلَّم عليه عن ظهرِ قلبِه، ووَلِي مَشْيَخَة دار الحديث السُّكَّرِيَّةِ(٢) بالقصَّاعين(٣).

وجَدُّه: مَجْد الدِّين عبد السَّلام(٤) صاحب «منتقى الأخبار»(٥)، كان فقيهاً مُحدِّثاً، قرأ القراءات العَشْر، وصنَّف فيها أُرجُوزَةً، قال حَفيدُه شيخ الإسلام: «كان الشَّيخ جمال الدِّين ابن مالك(٦) يقول: أُلينَ للشَّيخ

---

(١) هو: أبو المَحَاسن وأبو أحمد عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تيميَّة الحَرَّانيُّ، ولد سنة (٦٢٧هـ)، إمامٌ محقِّقٌ، من أعيان الحنابلة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٨٢هـ). المقصد الأرشد (٢/ ١٦٦)، شذرات الذهب (٧/ ٦٥٦).

(٢) دار الحديث السُّكَّريَّة: جنوب غرب الجامع الأمويِّ بدِمشق، تبعد عنه أربع مئة (٤٠٠) متر، أوقفها شرف الدِّين عمر بن مُحمَّد السُّكَّريُّ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٧١هـ). تاريخ البرزالي (١/ ٢٧١)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٢٦)، الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٥٦)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ص٤٥).

(٣) البداية والنهاية (١٧/ ٥٩٢).
والقَصَّاعين: حيٌّ مِنْ أحياء دِمشْق. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ص١٩٤).

(٤) هو: أبو البَرَكات عبد السَّلام بن عبد اللَّه ابن تيميَّة الحَرَّانيُّ، ولد سنة (٥٩٠هـ) تقريباً، فقيهٌ مُقرِئ، شيخُ الحنابلة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٥٢هـ). سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩١)، المقصد الأرشد (٢/ ١٦٢).

(٥) كتاب حَوَى جُلَّ أحاديث الأحكام.

(٦) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن عبد اللَّه ابن مالك الطَّائيُّ الجيَّانيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٦٠٠هـ)، إمام النُّحاة وحافظُ اللُّغة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٧٢هـ). الوافي بالوفيات (١/ ١٦٥)، بغية الوعاة (١/ ١٣٠).

المَجْد الفِقْه كما أُلينَ لِدَاوُد الحديد»[١].

بقي بحرَّان إلى أنْ بلغ سبع سنين، ثم انتقل به والده رَحِمَهُ اللَّهُ إلى دِمَشْق، فنشأ بها أتمَّ إنشاء وأزكاه، وأنبته اللَّه أحسن النَّبات وأوفاه.

وكانت مخايل النَّجابة عليه في صغره لائحة، ودلائل العناية فيه واضحة؛ فخَتَم القرآن صغيراً، ثمَّ اشتغلَ بحفظ الحديث، والفقه، وأُصولِه، والعَربيَّة؛ حتَّى برع في ذلك، هذا كلُّه وهو ابن بِضْع عشرة سنة، وأوَّلُ كتابٍ حَفِظَه في الحديث: «الجَمْعُ بين الصَّحيحَيْن» للإمام الحُمَيْدِيِّ[٢]، وقلَّ كتابٌ من فنون العِلم إلَّا وقف عليه، وقد خصَّه اللَّه بسرعةِ الحفظ وقوَّة الذَّاكرة[٣].

قال الذَّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «قرأ القرآن والفقه وناظر واستدلَّ وهو دون البلوغ، وبرع في العِلْم والتَّفسير، وأفتى ودرَّس وله نحو العشرين سنة، وصنَّف التَّصانيف، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه، وله من المُصنَّفات الكِبار التي سارت بها الرُّكبان»[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩٢).

(٢) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن فتوح بن عبد اللَّه الأزديُّ، الحُمَيْدِيُّ، الأندلسيُّ، الظَّاهريُّ، ولد قبل سنة (٤٢٠هـ)، شيخُ المُحَدِّثين، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٤٨٨هـ). تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٥/ ٧٧)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٢٠).

(٣) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨-٢٠)، الأعلام العَلِيَّة (ص١٦).

(٤) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن أحمد بن عثمان التُّركمانيُّ الذَّهبيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٦٧٣هـ)، الإمام العلَّامة، مُؤَرِّخ الإسلام، وصاحب التَّصانيف الكثيرة المشهورة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٤٨هـ). طبقات الشَّافعيَّة الكبرى (٩/ ١٠٠)، طبقات الشَّافعيَّة لابن قاضي شُهْبة (٣/ ٥٥).

(٥) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٣٨).

وقال ابن حَجرٍ العَسْقلانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «قَرَأ بنَفْسِه ونَسَخ سنن أبي داود وحَصَّل الأجزاء، ونظر في الرِّجَال والعِلَل، وتَفقَّه وتَمهَّر وتَميَّز وتَقدَّم وصَنَّف؛ ودَرَّس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتَّوسُّع في المنقول والمعقول والاطِّلاع على مذاهب السَّلَف والخَلَف»[٢].

---

(١) هو: أبو الفَضْل أحمد بن عليِّ بن مُحمَّد الكنانيُّ العَسْقلانيُّ ثمَّ المصريُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٧٧٣هـ)، إمام الحُفَّاظ في زمانه، برع في الحديث وتقدَّم في جَمِيع فنونه، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٨٥٢هـ). المنهل الصَّافي (٢/ ١٧)، طبقات الحُفَّاظ للسُّيوطي (ص٥٥٢).

(٢) الدُّرر الكامنة (١/ ١٦٨).

شُيوخُه

أخذ رَحِمَهُ اللَّهُ عن جَمَاعة كثيرة في شتَّى الفنون، قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وشُيوخُه الذين سَمِع منهم أكثر من مئتي شيخٍ»(٢).

ومِنْ شيوخه الذين أخذ عنهم(٣):

١ - أبو العبَّاس أحمد بن عبد الدَّائم المقدسيُّ، الحنبليُّ، مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٦٨هـ).

٢ - أبو عبد اللَّه مَجْد الدِّين مُحمَّد بن إسماعيل بن المُظفَّر الدِّمشقيُّ، الشَّافعيُّ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٦٩هـ).

٣ - أبو زكريَّا جَمَال الدِّين يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح الحَرَّانيُّ، المعروف بـ«ابن الصَّيرفيِّ»، فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٧٨هـ).

٤ - أبو مُحمَّد أمين الدِّين القاسم بن أبي بكر الإربليُّ، مُقرِئٌ مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٨٠هـ).

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي المَقدسيُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (٧٠٤هـ)، مُحدِّثٌ حافظٌ فقيهٌ، وأحد الأذكياء، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٤٤هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٢٣)، طبقات الحُفَّاظ للسيوطي (ص٥٢٥).

(٢) العقود الدُّرِّيَّة (ص١٩).

(٣) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٩)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٠٨)، الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٢١)، (٢٤/ ٨٦)، البداية والنهاية (١٨/ ٢٩٧)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٩٩، ٣٠٩).

٥ - أبو الفَرَج شمس الدِّين عبد الرَّحْمَن بن أبي عمر مُحمَّد بن قُدَامَة المَقدسيُّ، الحنبليُّ، فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٨٢هـ).

٦ - أبو مُحمَّد عفيف الدِّين عبد الرَّحيم بن فارس البغداديُّ، الحنبليُّ، فَقيهٌ عارفٌ بالمذهب، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٨٥هـ).

٧ - أبو مُحمَّد فخر الدِّين عبد الرَّحْمَن بن يوسف بن مُحمَّد البَعلبكيُّ، الحنبليُّ، مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٨٨هـ).

٨ - أبو الحَسَن فَخر الدِّين عليُّ بن أحمد بن عبد الواحد المَقدسيُّ، الحنبليُّ، فقيهٌ مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٩٠هـ).

٩ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن عبد القويِّ بن بدران المَقدسيُّ المرداويُّ، الحنبليُّ، فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٩٩هـ).

تَلامِيذُه

وَلِيَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ التَّدريسَ في دار الحديث السُّكَّريَّة وهو ابن عشرين سنة(١)، ودرَّس في المدرسة الشَّريفيَّة الحنبليَّة(٢)، وكان يجلس في صبيحة كلِّ جُمُعة على النَّاس يُفسِّر القرآن العظيم(٣)؛ فكَثُرَ تَلاميذُه، ومِنْ أَشهرِهِم(٤):

١ - أبو مُحمَّد عَلَم الدِّين القاسم بن مُحمَّد البَرْزَاليُّ، الشَّافعيُّ، مُحدِّثٌ مُؤرِّخٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٣٩هـ).

٢ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن قُدَامَة المَقدسيُّ، الحنبليُّ، مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٤٤هـ).

٣ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبيُّ، الشَّافعيُّ، مُحدِّثٌ، صاحبُ التَّصانيف، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٤٨هـ).

---

(١) البداية والنهاية (١٧/ ٥٩٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩٥).

(٢) البداية والنهاية (١٧/ ٦٨٤).

والمدرسة الشَّريفيَّة الحَنبليَّة: قرب الجامع الأمويِّ بدِمشْق، بناها وأوقفها شرفُ الإسلام عبد الوهَّاب بن الشَّيخ أبي الفرج الأنصاريُّ الشِّيرازيُّ سنة (٥٣٦هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ٦٥٧)، الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٥٠).

(٣) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢٩).

(٤) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢٨)، الأعلام العَلِيَّة (ص٢٧)، الوافي بالوفيات (٢/ ١١٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧١)، المَجْمَع المُؤَسِّس للمعجم المفهرس (٢/ ٦٠٥)، المقصد الأرشد (٢/ ٥١٩)، ذيل طبقات الحُفَّاظ (٥/ ٢٣٣).

٤ - أبو حفص سراج الدِّين عمر بن عليٍّ بن موسى البزَّار، مُحدِّثٌ فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٧٤٩هـ).

٥ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعِيُّ، الحنبليُّ، الشَّهير بـ«ابن قيِّم الجوزيَّة»، فقيهٌ، صاحبُ التَّصانيف الكثيرة، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٧٥١هـ).

٦ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن مفلح بن مُحمَّد المَقدسيُّ، الحنبليُّ، فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٧٦٣هـ).

٧ - أبو الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عمر بن كثيرٍ، الشَّافعيُّ، مُفسِّرٌ مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٧٧٤هـ).

مُؤلَّفاتُه

قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولعلَّ فتاويه في الفنون تَبلُغ ثلاث مئة مُجلَّد؛ بل أكثر»[(١)].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولعلَّ تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كرَّاس وأكثر»[(٢)].

وقال ابن رَجب رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «وأمَّا تصانيفه رَحِمَهُ اللَّهُ: فهي أشهر من أن تُذكَر، وأَعرَفُ مِنْ أنْ تُنكَر، سارت مسير الشَّمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جَاوَزَت حدَّ الكثرة، فلا يمكن أَحدٌ حَصْرَها، ولا يتَّسع هذا المكان لعَدِّ المعروف منها، ولا ذِكرها»[(٤)].

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قَاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٥)]: «وذَكُروا له من المُصنَّفات أكثر من ستَّة آلاف مُجلَّد»[(٦)].

---

(١) الدُّرر الكامنة (١/ ١٧٥).

(٢) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٣٩)، الرَّدُّ الوافر (ص٣٣)، الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيميَّة (ص٤٠).

(٣) هو: أبو الفرج عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن رَجَبٍ البغداديُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (٧٣٦هـ)، إمامٌ فقيهٌ مُحَدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٩٥هـ). الجوهر المنضَّد (١/ ٤٦)، طبقات الحُفَّاظ للسُّيوطي (ص٥٤٠).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥٢٠).

(٥) هو: أبو عبد اللَّه عبد الرَّحْمَن بن مُحمَّد ابن قاسم العاصميُّ النَّجديُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (١٣١٢هـ)، جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، وصاحب المصنَّفات النافعة؛ منها: «حاشية الرَّوْض المُرْبِع»، و«الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة»، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٩٢هـ).

(٦) مقدِّمة مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ب).

ومِمَّا صنَّفه شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[١]:

١ - دَرْءُ تعارض العَقْل والنَّقْل.

٢ - بيان تلبيس الجَهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة.

٣ - الجواب الصَّحيح لمَنْ بَدَّل دين المَسِيح.

٤ - اقتضاء الصِّراط المُستَقِيم.

٥ - منهاج السُّنَّة النَّبويَّة.

٦ - الصَّارم المَسْلُول على شاتم الرَّسُول.

٧ - الاستقامة.

٨ - السِّياسَة الشَّرعيَّة.

وجُمِعت له فتاوى تُعتَبر مِنْ أعظم المجاميع، وهي:

١ - مختصر الفتاوى المِصريَّة، جمعها أبو عبد اللَّه بدر الدِّين البَعليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٧٨هـ).

٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، جَمَعَها الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قَاسمٍ، وسَاعَدُه في ذلك الوالد مُحمَّد بن عبد الرَّحْمَن رَحِمَهُمَا اللَّهُ، في سبعة وثلاثين (٣٧) مُجلَّداً.

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥٢٠).

٣ - المُستَدْرَك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، جَمَعَه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في خمسة (٥) مُجلَّدات.

وَفاتُه

مَرِض شيخ الإسلام قبل وفاته بأيَّامٍ يسيرة بدِمشْق، وقال قبل وفاته: «قد أَحللتُ كلَّ وَاحدٍ ممَّا كان بيني وبينه؛ إلَّا مَنْ كان عَدوّاً للَّه ورسوله»[(١)]؛ بل قد أحلَّ الوَالِي - السُّلطان النَّاصر[(٢)] - الذي حَبَسه.

ثمَّ توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في سَحَر يوم الاثنين، الثَّاني والعشرين من ذي القَعدة، سنة ثمان وعشرين وسبع مئة (٧٢٨هـ)، وهو على حَالِه؛ مُجاهداً في ذات اللَّه تعالى صابراً محتسباً، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حين وفاته في حبسه مُشْتَغلاً باللَّه عن جَمِيع ما سواه.

ولَمَّا سمع النَّاس بمَوْتِه لم يَبْقَ في دِمشْق مَنْ يستطيع المجيء للصَّلاة عليه إلَّا حضر لذلك وتفرَّغ له، حتَّى غُلِّقت الأسواق بدِمشْق، وعُطِّلت معايشها حينئذٍ، وحصل للنَّاس بمُصابِه أَمرٌ شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم.

وخرج الأمراء والرُّؤَسَاء، والعلماء والفُقَهَاء، والأتراك والأجناد، والرِّجَال والنِّساء والصِّبْيَان؛ من الخَواصِّ والعَوامِّ.

---

(١) الأعلام العَلِيَّة (ص٨٢).

(٢) هو: أبو الفتح مُحمَّد بن قلاوون بن عبد اللَّه الصَّالحيُّ، المعروف بـ«السُّلطان النَّاصر»، ولد سنة (٦٨٤هـ)، من كبار ملوك الدَّولة القلاوونيَّة، كان مطاعاً، مهيباً، عارفاً بالأمور، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٤١هـ). الوافي بالوفيات (٤/ ٢٥١)، شذرات الذَّهب (٨/ ٢٣٣)، الأعلام للزِّركلي (٧/ ١١).

وصُلِّي عليه رَحِمَهُ اللَّهُ في جامع بني أميَّة(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «اجتمعوا لجنازته اجتماعاً لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاصر، لَمَا بلغوا هذه الكثرة التي انتهوا إليها»(٣).

---

(١) الأعلام العَلِيَّة (ص٨٢-٨٣).
وجامع بني أميَّة: يُعرَف بـ«الجامع الأمويِّ»، يقع بدِمشْق، تولَّى بناءَه الوليد بن عبد الملك سنة (٨٧هـ)، واستمرَّ العمل فيه تسع سنين، وأنفق عليه الأموال العظيمة حتى جَعَله نُزْهَةً للنَّاظرين. البداية والنهاية (١٢/ ٥٦٠)، تحفة النُّظَّار (١/ ٣٠٦)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ص٣٥٧).

(٢) هو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرٍ البصريُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٧٠٠هـ)، مُفسِّرٌ، مُحدِّثٌ، فقيهٌ، مُؤَرِّخٌ، كُفَّ بَصرُه آخر حياته، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٧٤هـ). الرَّدُّ الوافر (ص٩٢)، ذيل طبقات الحُفَّاظ (٥/ ٢٣٨).

(٣) البداية والنهاية (١٨/ ٢٩٩).

ثَناءُ العُلَماء عليه

قال ابن دَقِيق العِيد رحمه الله[١]: «لَمَّا اجتمعتُ بابن تيميَّة رأيت رجلاً العلوم كلُّها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد»[٢].

وقال الذَّهبيُّ رحمه الله: «كان يُقضَى منه العجبُ إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجَّح، وكان يَحِقُّ له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه، وما رأيتُ أسرع انتزاعاً للآيات الدَّالَّة على المسألة التي يُورِدها منه، ولا أشدَّ استحضاراً للمتون وعزوها منه، كأنَّ السُّنَّة نُصْبُ عينيه وعلى طرف لسانه»[٣].

وقال مَرْعي الكرميُّ رحمه الله[٤]: «حدَّث غير واحدٍ من الشُّيوخ عن المِزِّيِّ[٥] أنَّه قال عن ابن تيميَّة: ما رأيتُ مِثلَه، ولا رأى هو مِثلَ

---

(١) هو: أبو الفتح مُحمَّد بن عليِّ بن وهب المصريُّ المالكيُّ، ثم الشَّافعيُّ، الشهير بـ«ابن دقيق العيد»، ولد سنة (٦٢٥هـ)، فقيهٌ محدِّثٌ، شيخُ الإسلام، وأحدُ علماء وقته، توفي رحمه الله سنة (٧٠٢هـ). الوافي بالوفيات (٤/ ١٣٧)، طبقات الشَّافعيين (ص٩٥٢).

(٢) الرَّدُّ الوافر (ص٥٩).

(٣) الدُّرر الكامنة (١/ ١٧٥).

(٤) هو: مرعيُّ بن يوسف بن أبي بكر الكرميُّ المقدسيُّ، الحنبليُّ، صاحب التَّصانيف الكثيرة، برع في المذهب، توفي رحمه الله سنة (١٠٣٣هـ). السحب الوابلة (٣/ ١١١٨)، تسهيل السابلة (٣/ ١٥٤٨).

(٥) هو: أبو الحجَّاج يوسف بن عبد الرَّحْمَن بن يوسف المِزِّيُّ الدِّمشْقيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٦٥٤هـ)، ناقدٌ مُحَقِّقٌ، ومُحَدِّثُ الشَّام ومصر، توفي رحمه الله سنة (٧٤٢هـ). المعجم المختص بالمُحَدِّثين (ص٢٩٩)، فوات الوفيات (٤/ ٣٥٣).

نفسه، وما رأيت أحداً أعلمَ بكتاب اللَّه وسُنَّة رسول اللَّه ولا أتبعَ لهما منه»(١).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولقد أنصف العلَّامة الإمام قاضي قضاة الإسلام بهاء الدِّين ابن السُّبكيِّ(٢) حيث يقول لبعض مَنْ ذكر له الكلام في ابن تيميَّة، فقال: واللَّه يا فلان، ما يُبغِض ابن تيميَّة إلَّا جاهل أو صاحب هوى؛ فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يَصُدُّه هواه عن الحقِّ بعد معرفته به»(٣).



(١) الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيميَّة (ص٤٥).
(٢) هو: أبو البقاء مُحمَّد بن عبد البَرِّ بن يحيى الأنصاريُّ السُّبكيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٧٠٧هـ)، قاضٍ، مَهَرَ في العربية والفقه وأصول الفقه، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٧٧هـ). طبقات الشَّافعيَّة لابن قاضي شُهْبة (٣/ ١٢٧)، الدُّرر الكامنة (٥/ ٢٣٧).
(٣) الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيميَّة (ص٢٤).

تَرْجَمَةُ سَمَاحَةِ الشَّيْخ

مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم آل الشَّيْخ(١)

رَحِمَهُ اللهُ

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ)

---

(١) هذه التَّرجمة من كتابنا: «ترجمة سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن إمام الدَّعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رحمهم الله، مِنْ قبيلة تَمِيم.

ولد يوم الاثنين، في السَّابع عَشَر من شهر المُحرَّم، سنة ألف وثلاث مئة وإحدى عشرة (١٣١١هـ)، في حيِّ «دُخْنة»، في مدينة الرِّياض.

نَشأتُه، وطلبُه للعِلم

نَشَأ في بيتٍ معروف بالعِلم والدِّين؛ فوالده: الفقيه القاضي إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٢٩هـ).

وعمُّه: العالِم العلَّامة عبد اللَّه بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٣٩هـ).

وجدُّه: الإمام العالِم عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٩٢هـ).

ووالد جدِّه: العلَّامة الحَبر عبد الرَّحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٨٥هـ).

ووالد جدِّ جدِّه: العالِم الكبير، إمام الدَّعوة المُجَدِّد، مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٠٦هـ).

وقد بَدَأ منذ صغره في الأخذ بأسباب العِلم والمعرفة؛ فتلقَّى القرآن الكريم وهو ما بين الثَّامنةِ والعاشرةِ مِنْ عُمُره.

وفي السَّادسة عشرةَ مِنْ عُمُره أُصيب بالرَّمَد[1] في عينيه؛ فكُفَّ بصرُه، فأقبل على العِلْم والحفظ بهمَّةٍ وعَزيمةٍ.

(١) الرَّمَد: داء التهابي يُصيب العين. المعجم الوسيط (١/ ٣٧٢).

شُيوخُه

أخذ العِلْمَ عن علماء عصره، وجَدَّ وثَابَر في التَّلقِّي منهم؛ ومن أولئك:

١ - الشَّيخ عبد الرَّحمن ابن مُفَيرِيجٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٥٣هـ)، حَفِظ عليه القرآن، ثمَّ دَرَس عليه عِلم «التَّجويد».

٢ - عمُّه الإمام العلَّامة عبد اللَّه بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٣٩هـ)، أخذ عنه: عِلم «العقائد»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «كتاب التَّوحيد»، و«أصول الإيمان»، و«فضائل الإسلام»، و«الدَّلائل في حُكم موالاة أهل الإشراك»، و«العقيدة الواسطيَّة»، و«العقيدة الحمويَّة».

وأخذ عنه أيضاً: عِلم «الحديث»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «بُلوغ المَرام»، وثُلُث «المنتقى في الأحكام الشَّرعيَّة من كلام خير البَرِيَّة».

٣ - الشَّيخ حمد بن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ - مدير بيت المال - (ت ١٣٤٥هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفقه»، وعِلم «العربيَّة»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «الآجُرُّومِيَّة»، و«مُلْحَة الإعراب»، و«قَطْر النَّدى»، و«ألفيَّة ابن مالك».

٤ - الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت ١٣٤٩هـ)، أخذ عنه: عِلم «الفقه»، وعِلم «الحديث»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «صحيح البُخاريِّ»، و«صحيح مسلم»، و«بُلوغ المَرام»، و«ألفيَّة العراقي».

٥ - الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم ابن محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت **١٣٣٣هـ**)، أخذ عنه: عِلم «الفقه».

٦ - والده الشَّيخ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - قاضي الرِّياض - (ت **١٣٢٩هـ**)، أخذ عنه: عِلم «الفرائض».

٧ - الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن راشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت **١٣٣٩هـ**)، أخذ عنه: عِلم «الفرائض»؛ وممَّا قرأ عليه في ذلك: «ألفيَّة الفرائض».

غزارةُ عِلمِه

كان مُكِبّاً على العِلم - حِفظاً وفَهْماً -، فحَوَى معارف كثيرة، وعلوماً واسعة؛ ومِنْ ذلك:

١ - حِفظُه لمُتونٍ كثيرةٍ في مختلف الفنون؛ منها: نُخبة الفِكَر، وألفيَّة العراقيِّ - في مصطلح الحديث -، والأربعون النَّوويَّة، وعمدة الأحكام، وبُلوغ المَرام، وثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، ونواقض الإسلام، وكتاب التَّوحيد، وكشف الشُّبهات، ومسائل الجاهليَّة، وأصول الإيمان، ولُمعة الاعتقاد، والعقيدة الواسطيَّة، والحمويَّة، والتَّدمريَّة، والطَّحاويَّة، والورقات، وشروط الصَّلاة، وآداب المشي إلى الصَّلاة، وزاد المستقنع، والرَّحبيَّة، والآجُرُّومِيَّة، ومُلْحَة الإعراب، وألفيَّة ابن مالك، والمُعَلَّقات السَّبع.

٢ - كان غزير العِلم في التَّفسير، ويظهر ذلك في دقائق تفسيره للآيات.

٣ - كان عالماً بالحديث ومُصطَلَحِه، ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

أ - حفظه لمتون مصطلح الحديث؛ كـ«ألفيَّة العراقيِّ».

ب - حِفظه لمتون الحديث؛ كـ«بُلوغ المَرام» وغيره، وتدريسه لها.

ج - قراءة أمَّهات كُتب الحديث عليه دائماً؛ كـ«صحيح البخاريِّ»، و«صحيح مسلم»، والسُّنن، والمسانيد، والمعاجم.

د - قراءة كتب الحديث المُطَوَّلة المَخطُوطَة عليه؛ كـ«سُنن سعيد بن منصور».

هـ - استشهاده بأحاديث كثيرة جدّاً من الصِّحاح والسُّنن والمسانيد والمعاجم في درسه.

و - ذِكره لمسائل دقيقة من عِلم المصطلح.

ز - ذكره عِلَل الأحاديث، وما يَقَع من أوهام الرُّواة أو المُصَنِّفين.

٤ - كان أُمَّةً في العقيدة.

٥ - كان متقناً لمذهب الإمام أحمد، ونصوصه، ومفرداته.

٦ - واسع المعرفة بفتاوى علماء عصره ومَن تقدَّمهم.

٧ - استظهاره كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيِّم رحمهما الله، ولا يَكادُ يفوته منه شيء.

٨ - معرفته بدقائق فروع المسائل الفقهيَّة.

٩ - إلمامه بالتَّاريخ والحوادث.

١٠ - عالمٌ بالعربيَّة من النَّحو والصَّرف والغريب والمعاجم، ويظهر ذلك في استحضاره لشواهد النَّحو واشتقاق الكلمات.

١١ - مَن اطَّلع على شروح سماحته للمتون في دروسه، يعجب من عِلمه الغزير، وجزالة ألفاظه، واستحضاره للنُّصوص وأقوال العلماء.

١٢ - إجازة علماء عصره له في مختلف العلوم.

١٣ - ظَهَر أثرُ غزارة عِلمه على تلاميذه، فأصبحوا من كبار علماء العصر، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وكنتُ ممَّنْ لَازَمَه مدَّة طويلة، وتَخَرَّج عليه في العقيدة السَّلفيَّة، والفقه، والحديث، والعلوم العربيَّة، وعِلم الفرائض، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، والتَّاريخ، والتَّفسير»(١).

١٤ - شَهِد له العلماء بسَعَة عِلْمِه؛ ومِنْ أولئك:

أ - العلَّامة عبد اللَّه العنقريُّ، قال رَحِمَهُ اللهُ: «أخونا العلَّامة الأصيل، وكهفُ المجد الأَثيل(٢)، حائزُ قَصَبِ السَّبْق في المضمار(٣)، وأُفُق مجده قد أضاء بطالع سَعْده واستنار، الشَّيخ المُحَقِّق، والحَبر المُدَقِّق، ذو الرَّأي الصَّائب، والفهم الثَّاقب: مُحمَّد بن الشَّيخ إبراهيم بن عبد اللَّطيف»(٤).

---

(١) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).

(٢) يُقال: هو كهف قومه؛ أي: ملجؤهم، والأثيل: الأصيل. تاج العروس (٢٤/ ٣٤٧)، (٢٧/ ٤٢٨).

(٣) قال في المصباح المنير (٢/ ٥٠٤): «وقولهم: (أَحرزَ قَصَب السَّبْق) أصله: أنَّهم كانوا ينصبون في حلبة السِّباق قَصبة، فمَنْ سَبَقَ اقتلعها وأخذها؛ ليُعلَم أنَّه السَّابق من غير نزاع، ثمَّ كَثُر حتى أُطلِق على المُبَرِّز والمُشَمِّر».
والمضمار: الموضع الذي تُضَمَّرُ فيه الخيل، وتضميره: أنْ تَعلِفه حتَّى يسمن، ثمَّ تردَّه إلى القوت. الصِّحاح (٢/ ٧٢٢).

(٤) الإجازة العِلميَّة في نجد (وثيقة ١٢٨، ٦/ ٢٠٣٦).

ب - سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز، قال ﵀[١]:
«كان ﵀ مِنْ خيرة العلماء الأفذاذ، ولا أَعلمُ أنِّي لقيتُ أحداً أعلمَ منه».

(١) في تسجيلٍ صَوتيٍّ له ﵀.

إِجازاتُ العُلماء لسَماحَتِه

لِمَا يَتمتَّع به سماحته مِنْ عِلمٍ غزير في فنون متعدِّدة؛ أجازه كبار العلماء من أقطار العالم؛ ومن تلك الإجازات:

١ - إجازةٌ عامَّةٌ من الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق[١].

٢ - إجازةٌ خاصَّةٌ من الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق، في «بُلوغ المَرام» قراءةً عليه، وفي «صحيح البخاريِّ» و«صحيح مسلم» قراءةً عليه وسماعاً، وهذه الإجازة ذكرها سماحة الشَّيخ في «شرح بلوغ المرام»، ودوَّنها والدي[٢].

٣ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد العزيز العنقريِّ، سنة (١٣٥٩هـ)[٣].

٤ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد السَّتَّار بن عبد الوهَّاب الدِّهلَويِّ المكِّيِّ، حين لَقِيَه في الحجِّ سنة (١٣٤٨هـ)[٤].

(١) نسختُها لدى ابن أخ كاتبها: الدكتور رياض بن سعيد.
(٢) شرح بلوغ المرام لسماحته؛ وهو مخطوط لديَّ.
(٣) تذكرة أولي النُّهى والعرفان (٦/ ١٢١)، المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥)، الإجازة العِلميَّة في نجد (وثيقة ١٢٨، ٦/ ٢٠٣٦).
(٤) تذكرة أولي النُّهى والعرفان (٦/ ١٢١)، المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥).

٥ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفوريِّ، سنة (١٣٤٩هـ)، باستدعاءِ الشَّيخ مُحمَّد تقيِّ الدِّين الهلاليِّ[1].

٦ - إجازةٌ من الشَّيخ عبد الحقِّ بن عبد الواحد الهاشميِّ المَكِّيِّ[2].

(١) أهل الحديث في شبه القارة الهنديَّة (ص١٦٩-١٧١).

(٢) مجموعٌ فيه ترجمة سماحة الشَّيخ ابن باز (ص٥٣)، الإجازة العِلميَّة في نجد (٤/١٠٠٦).

إجازة الشَّيخ سعد ابن عتيق لسماحته بخطٍّ تلميذه مُحمَّد بن أحمد بن سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم انا يا محمد ابن احمد ابن سعيد قد طلب مني الشيخ العلامه سعد ابن حمد ابن عتيق وقت طلبي
العلم عليه وملازمتي له وكتب خطوطه أن أكتب بخطي اجازته للشيخ العلامه محمد
ابن ابراهيم ابن عبد اللطيف آل الشيخ وقد كتبتها بقلمي هذا وأعدت قراءتها عليه وبعد
ذالك امرني اروح للشيخ محمد في بيته واسلمها له ولا حفظت منها الا في آخرها بيتين
وهي وقد اجزتُ مع التقصير عن دركي لرتبة الفضلا اهل الأجازاتِ
واسئل الله توفيقا ومغفرة ورحمة منه في يوم المجازاتِ
والأجازه طويله معها اجازة شيخه وزاد عليها الشيخ سعد وكتابتي الأجازه والله
أعلم فوق سبعين السنه بقليل تقديرمني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١٤١٩هـ
هذا وقد طلب مني الأخ العزيز رياض ابن عبد المحسن ابن سعيد كتابة ٩/٨
هذه الورقه واسئل الله الكريم لنا ولكم الرحمة والغفران محمد ابن احمد ابن سعيد
وصلا الله على نبينا محمد وآله وصحبه

إجازة الشَّيخ سعد ابن عتيق التي ذكرها سماحة الشَّيخ في شرح بلوغ المرام، ودوَّنها والدي

إجازة الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ لسماحته

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله على ما فتح من الأزهار وفتح من الأفهام والصلاة والسلام
الأتمان الأكملان على المبعوث [illegible] وعلى سيد [illegible]
بالحظ الأسعد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم على النهج الأحمد
أما بعد فقد طلب مني أخي العلامة الأصيل ذو الحسب المجد الأثيل
حائز قصب السبق في المضمار ومن أفق مجده تلألأ
بطالع سعده واستنار الشيخ المحقق والحبر المدقق
ذو الرأي الصائب والفهم الثاقب محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف [illegible]
أن أجيزه [illegible] عاثر ما [illegible]
لست من [illegible] هذا الشأن [illegible]
ثم [illegible] رأيت أن أجيب دعوته وأسعفه بطلبته
رجاء الانتظام في سلسلة السادة الأماثل والتشبه بأهل الفضل من أهل الكمال
والفضائل فأقول قد أجزت الشيخ المذكور بما أجازني
به أشياخي الكرام وهداة الأنام أو سمعته منهم أو قرأته عليهم
أو قرئ عليهم وأنا أسمع من حديث وتفسير وفقه
وآلات ذلك من العلوم العربية وغير ذلك من الشيخ
عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ حمد بن عتيق والشيخ عبد الرحمن بن حسن
ومن الشيخ [illegible] الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود
والشيخ [illegible] من تفرد الله [illegible]
[illegible] بهم في جنات النعيم
[illegible]

وحيث وقفت على ما أثبته القلم ونتيجة الفهم من شرح العقيدة لما رقم ورسم كاتبها [illegible]
الفاضل المشار إليه بأن أجيزه بما أجازني به مشايخي وأسأل الله لي وله ولجميع المسلمين
الإعانة على ما يحبه ويرضاه والمعونة على طلب العلم وأهله [illegible] من أكمل أهل
الإيمان فإن ذلك من لوازم طبيعة الإنسان
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا إلى يوم الدين أملاه الفقير إلى الله [illegible]
[illegible]

وكتب الإجازة بما تضمنه الكتب الذي أرويه من طريق شيخنا
الشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق [illegible] وإياه
[illegible] الكتب المذكورة بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

إجازة الشَّيخ عبد الرَّحْمَن المباركفوريِّ لسماحته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين
أما بعد فيقول العبد الضعيف محمد عبد الرحمن بن الحافظ عبد الرحيم المباركفوري
عفا الله تعالى عنهما أنه قد وقع لي اتفاق في بلدة لكنؤ بالعلامة الأديب
والفاضل اللبيب مولانا الشيخ تقي الدين بن عبد القادر الهلالي بارك الله
في أيامه والليالي فذكر الفاضل الجليل الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف
ابن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي وقال بأنه
قد قرأ كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث وأصوله والتفسير
على شيوخه الأعلام ووصف لي علمه وفضله وصلاحه وتقواه وقال لي
أنه يريد أن أجيز له برواية الحديث ووصل سنده بسند مؤلفيها الأجلاء
فأسعفته بمطلوبه تحقيقاً لظنه ومرغوبه وإن كنت لست أهلاً لذلك ولا
ممن يخوض في هذه المسالك ولكن تشبهاً بالأئمة الأعلام السابقين
الكرام ـــــ وإذا أجزت مع القصور فإنني ؛ أرجو التشبه بالذين أجازوا
السالكين إلى الحقيقة منهجاً ؛ سبقوا إلى غرف الجنان ففازوا
فأقول وبالله التوفيق أني قد أجزت الشيخ محمد بن ابراهيم المذكور
أن يروي عني كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث وأصوله
والتفسير وأن يُقرئها وأني قد حصلت القراءة والسماعة والإجازة
عن شيخنا العلامة السيد محمد نذير حسين المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى

إجازة الرواية: المحدث / الشيخ عبد الرحمن المباركفوري رحمه الله
للشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله (مفتي المملكة السعودية سابقاً)

وهو حصل القراءة والسماعة والاجازة عن الشيخ المكرم الاورع البارع
فى الافاق محمد اسحق المحدث الدهلوى رحمه الله تعالى وهو حصل
القراءة والسماعة والاجازة عن الشيخ الاجل مسند الوقت الشاه
عبد العزيز المحدث الدهلوى رحمه الله تعالى وهو حصل القراءة
والسماعة والاجازة عن الشيخ القرم المعظم بقية السلف وحجة
الخلف الشاه ولى الله المحدث الدهلوى رحمه الله تعالى
و باقى السند مكتوب فى اوائل تحفة الاحوذى شرح الترمذى
قلت واجزته ايضا ان يروى عنى جميع ما حواه اتحاف الاكابر فى
اسناد الدفاتر من الكتب الحديثية وغيرها الشيخ شيوخ مشائخنا
الامام الحافظ الربانى القاضى محمد بن على الشوكانى كما اجازنى
برواية جميعه شيخنا العلامة حسين بن محسن الانصارى
الخزرجى اليمانى رحمه الله تعالى وهو قد حصل الاجازة برواية
جميعه عن شيخيه العلامة الشريف محمد بن ناصر الحسنى الحازمى
والقاضى العلامة احمد بن محمد بن على الشوكانى كلاهما عن الامام
القاضى محمد بن على الشوكانى مولف اتحاف الاكابر
و باقى السند مكتوب فيه واوصيه بتقوى الله فى السر و
العلانية واشاعة السنة السنية بلا خوف
لومة لائم و ان يلزم على نفسه الاتباع

والاجتناب عن الابتداع واسأل الله تعالى
ان يوفق لذلك لي وله والحمد لله رب العالمين
اولا واخرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ❊
املاه المجيز الفقير الى احسان ربه الكريم محمد عبد الرحمن بن
الحافظ عبد الرحيم المباركفوري في شهر رمضان سنة ١٣٤٩ من الهجرة النبوية

اشتغالُه بالتَّدريس

لَمَس فيه العلماء الذَّكاء المُتَوقِّد، والنَّجابة الظَّاهرة، فأدركوا أنَّه خَلَفُهم الذي يُمكن أن يُطمأنَّ إليه في مجالس العِلم، فأوصى عمُّه الشَّيخُ عبدُ اللَّه الملكَ عبدَ العزيز بابن أخيه خيراً، وذكر له ما يتمتَّع به من المزايا النَّادرة التي لا تَكاد تتوفَّر إلَّا في قليلٍ مِن الرِّجال الذين وَهَبهم اللَّه ذكاءً وفطنةً وجَلَداً وإخلاصاً.

ولمَّا توفِّي عمُّه الشَّيخ عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٣٩هـ)؛ أخذ سماحة الشَّيخ مَجلسَه وعمره ثمانيةٌ وعشرون (٢٨) عاماً؛ فبدأ بالتَّدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالوا على قيد الحياة.

ولمَّا توفِّي الشَّيخ حمد بن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٥هـ)، ثمَّ الشَّيخ سعد بن حمد ابن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٤٩هـ)؛ توسَّع سماحته في مجالس التَّدريس، واستقلَّ بأكثرها إلى جانب أعمامه وغيرهم من أفاضل العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ الذين كانوا يقومون بالتَّدريس على فتراتٍ متعاقبةٍ في بعض العلوم.

فكان له النَّصيب الأوفر في كثرة المجالس وكثرة القاصدين له من طلبة العِلم، فكان يَعمُر نهاره بالتَّدريس؛ ويجلس أربع جلسات:

الأُولى: بعد صلاة الفجر إلى شروق الشَّمس.

الثَّانية: بعد ارتفاع الشَّمس مدَّةً تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

الثَّالثة: بعد صلاة الظُّهر.

الرَّابعة: بعد صلاة العصر.

وكلُّ هذه الجلسات كانت تُعقَد في جامع الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب في الرِّياض - في حيِّ دُخْنة شَمال الميدان - ما عدا جلسة الضُّحى؛ فقد كانت في أوَّل الأمر في هذا الجامع، ثمَّ نقَلها إلى بيته.

وكان سماحته ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد، فيقرأ عليه الوالد في بيته شروح الكتب؛ ومنها: «الرَّوض المُرْبِع»، و«سُبُل السَّلام»، و«شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك»، وما يُعِين عليها من المراجع.

الكُتُب التي يَشرَحُها

كان موسوعة في مختلف العلوم، فكان يعمر يومه بشرح العلوم المُتنوِّعة؛ ومِنَ الكتب التي كان يَشرَحُها:

أوَّلاً: بعد صلاة الفجر:

١ - ألفيَّة ابن مالك، مع شرح ابن عَقِيلٍ عليها.

٢ - زاد المستقنع، مع شرحه الرَّوض المُرْبع.

٣ - بُلوغ المَرام.

وهذه الثَّلاثة يُدَرِّسها باستمرار على ترتيبها المذكور.

ثمَّ يدرِّس بعدها بالتَّعاقب في أزمنة مُتَفَرِّقة الكتب الآتية:

٤ - الآجُرُّومِيَّة.

٥ - مُلْحَة الإعراب.

٦ - قَطْر النَّدى.

٧ - عُمدة الأحكام.

٨ - أصول الأحكام.

٩ - الحَمَويَّة.

١٠ - التَّدمريَّة.

١١ - نُخبة الفِكَر.

ثانياً: بعد شروق الشَّمس:

أ - في عِلم «العقائد»:

١ - كتاب التَّوحيد.

٢ - كشف الشُّبهات.

٣ - ثلاثة الأصول.

٤ - العقيدة الواسطيَّة.

ب - في عِلم «الحديث»:

٥ - الأربعون النَّوويَّة.

٦ - عمدة الأحكام.

ج - في عِلم «الفقه»:

٧ - آداب المشي إلى الصَّلاة.

وهذه الكتب يُدَرِّسها باستمرار على ترتيبها المذكور.

ثمَّ يدرِّس بعدها بالتَّعاقب في أزمنة مُتَفَرِّقة الكتب الآتية:

٨ - مسائل التَّوحيد.

٩ - مسائل الجاهليَّة.

١٠- لُمْعة الاعتقاد.

١١- أصول الإيمان.

وقد يُدَرِّس غيرها؛ لكنَّه نادر.

وكانت تُقرَأ عليه بعضُ الشُّروح في أزمنةٍ مُتفرِّقةٍ، يتراوح ما يُقرَأ عليه منها في اليوم ما بين خمسة كتب إلى عشرة غالباً؛ ومِنْ تلك الشُّروح:

١ - فتح المجيد.

٢ - شرح الطَّحاويَّة.

٣ - شرح الأربعين النَّوويَّة.

وبعد الانتهاء من هذه المختصرات تُقرَأ عليه المُطَوَّلات؛ ومنها:

١ - صحيح البخاريِّ.

٢ - صحيح مسلم.

٣ - السُّنن الأربعة.

٤ - مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٥ - مؤلَّفات ابن القيِّم.

٦ - مؤلَّفات ابن كثير.

وكلُّ ما جَدَّ من كُتب السَّلَف والمُحَقِّقين من العلماء.

ثالثاً: بعد صلاة الظُّهر:

١ - زاد المستقنع، مع شرحه الرَّوض المُرْبع.

٢ - بُلوغ المَرام.

رابعاً: بعد صلاة العصر:

١ - كتاب التَّوحيد، وشرحه فتح المجيد.

وقد يُقرَأ عليه:

٢ - مسند الإمام أحمد.

٣ - مسند ابن أبي شيبة.

٤ - الجواب الصَّحيح لمَنْ بدَّل دين المسيح.

وغيرها.

وكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي يقرأ عليه الكتب السَّابقة في الدَّرس، ويُدوِّن جميع شروحات سماحته.

وقد استمرَّ يُزاول التَّدريس اثنين وأربعين (٤٢) عاماً، بنشاطٍ لا يَفتُر، وهِمَّةٍ لا تَكِلُّ.

قال لي الشَّيخ صالح اللُّحيدان رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٤٣هـ): «الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم عبارة عن جامعة».

مَنهجُه في مجالس العِلْم

كان مَنهجُه في مجلس العِلْم كمجالس علماء السَّلف؛ ومِنْ ذلك:

١ - كان حريصاً على نَفْعِ الطُّلَّاب، فيبذل وسعه في البحث التَّامِّ في المسألة.

٢ - كان يُعطي مجالس العِلم حقَّها مِن الاحترام والتَّقدير، والمكانة والهيبة.

٣ - لا يسمح للطَّالب أن يحضر درسه إلَّا إذا كان حافظاً للقرآن.

٤ - إذا هَمَّ بالجلوس للتَّدريس توضَّأ إن لم يكن على وضوء.

٥ - يستقبل القِبْلَة إذا كان الدَّرس في المسجد.

٦ - يَحرِص جدّاً أنْ يَحفَظ جميعُ الطُّلَّاب المنتظمين المتونَ، ولا يَرضى إلَّا بالحفظ المُتقَن.

٧ - يلتزم اللُّغة العربيَّة في مجالسه العِلْميَّة والعامَّة.

٨ - يلتزم الهدوء أثناء شرحه للمتون، أو تعليقه على المُطَوَّلات؛ فلا تراه يلتفت، أو يشير بيدٍ، أو يعبث بشيء.

٩ - كان يتَّبع الدَّليل فيما يُقَرِّره، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان يعتني بالدَّليل، ويُرَجِّح به ما اختلف فيه العلماء من المسائل»[1].

---

(١) جوانب من سيرة الإمام ابن باز (ص٤٤٧).

١٠ - يَحرِص على إيصال الفائدة إلى قرارة قلوب الطُّلَّاب، مَعنيّاً بتثبيتها؛ حتى إنَّه ليَكَاد يُغنِي بشرحه عن المُطالَعَة.

١١ - كان ينصح الطُّلَّاب، ويُذَكِّرهم بالإخلاص، ويَحُثُّهم على حفظ الوقت، ويُدَرِّبهم على البحث وإقامة الدَّليل، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان كثيراً ينصح الطَّلبة بالإخلاص للَّه في الطَّلَب، والازدياد في الاطِّلاع، وحفظ الوقت، ويسألهم عن المسائل التي تُدَرِّبهم على البَحْثِ وإقامة الدَّليل»(١).

١٢ - كان يُوَجِّه الطُّلَّاب في الدَّرس، ويرشدهم إلى أعالي الأخلاق والآداب، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ذا حكمة في توجيه الطَّلبة وتعليمهم، وكان يرفق بهم في مَحَلِّ الرِّفق، ويَقْوى عليهم في مَحَلِّ القوَّة، ويُوَجِّههم إلى الآداب الصَّالحة والأخلاق المرضيَّة»(٢).

١٣ - لا ينتقل الطَّالب عنده من متنٍ إلى متنٍ أطول منه إلَّا بعد حفظ الأوَّل وفَهمِه.

١٤ - يتخرَّج الطَّالب المُجِدُّ عنده في سبعِ (٧) سنوات.

١٥ - قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن منهجه في التَّعليم: «واللَّهِ لا أَعلمُ رأت عيناي قبل ذهاب البصر، ولا وَقَع في قلبي، مَنْ هو أحسن منه تعليماً، وأكثر فقهاً»(٣).

---

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).

(٣) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

طَريقتُه في التَّدريس

كانت له طَريقةٌ فريدة في التَّعليم، لتصل الفائدة إلى الطَّالب وترسخ في ذهنه؛ وطَريقتُه في التَّدريس ما يأتي:

١ - يَطلب من بعض الطُّلَّاب أن يبدأ بالبَسْملة، والصَّلاة والسَّلام على رسول اللَّه ﷺ، والتَّرَحُّم على المُؤلِّف، وأن يقرأ حفظاً موضوع الدَّرس إذا كان الكتاب مَتْناً.

٢ - يَقرأُ سماحتُه ما سَمَّعه الطُّلَّاب ممَّا سيشرحه.

٣ - يبدأُ شرحَه بالبَسْملة، والصَّلاة والسَّلام على رَسولِ اللَّه ﷺ، وعلى آلِه وصَحبِه.

٤ - يَشرَع في شرح عبارات المَتْن بدقَّةٍ، جامعاً بين رَصَانَة العبارة ووُضُوحِها.

٥ - يُوَضِّح المسألة بذكرِ مثالٍ قريبٍ مِنْ ذِهنِ الطَّالب إن احتاجت المسألة لذلك، وأحياناً يُكثِر من الأمثلة؛ لزيادة التَّفهيم.

٦ - يَتَوسَّع في عَرْضِ بعض المسائل والتَّكلُّم عليها.

٧ - إذا كانت المسألة مُتشعِّبةً؛ فمِنْ وسائل توضيحها عند سماحته طريقة التَّقْسِيم.

٨ - لا يَعرِض من الخِلَاف إلَّا ما كان ذا جدوى، ولا يذكر من الخِلَاف إلَّا الخِلَاف المشهور الذي له حظٌّ من النَّظر، ولا يُعرِّج على الأقوال الشَّاذَّة أحياناً إلَّا لإبانة خطأ.

٩ - إذا عَرَض لمسألةٍ فيها خِلَافٌ ذَكَر رأي المُؤلِّف أوَّلاً وأدلَّته، ثمَّ ذَكَر رأي المُخالِفِين كُلّاً على حِدَةٍ مع أدلَّتهم، وفي ذلك كلِّه يحترم كلَّ ذي رأيٍ من العلماء، ولا يذكره بما يسوء.

١٠ - قد يُصَحِّح أحد القَولَيْن دون سرد الأدلَّة؛ لقِصَر الوقت أو نظراً لحال الطَّالب.

١١ - يُرجِّح ما يراه؛ معتمِداً في ذلك على الدَّليل وأقوال المُحَقِّقين من أهل العِلْم، وله مع ذلك استنتاجات، وفهمٌ خاصٌّ للعبارات.

١٢ - إذا أطال في شرح مسألة يَذكُر خُلاصَتها فيقول: «المقصود»، أو «الحاصل».

١٣ - لا يخرج عن موضوع الدَّرس، وإن خرج - وهو نادر - بَيَّن السَّبب.

١٤ - لا يَجزِم بأيِّ معلومة إلَّا وهو عالم بها، وإذا لم يتبيَّن له الصَّواب في المسألة يُصرِّح بذلك؛ ومن الأمثلة:

أ - قال عن إحدى المسائل: «تَحتَ البحث».

ب - وفي بعضها قال: «البَحثُ يَحتاجُ إلى تأمُّل؛ ما سَمعتُه مِنْ أَحدٍ».

ج - وفي أخرى قال: «ولا أعرف وجه الجمع».

١٥ - فيما يتعلَّق بالعقائد: لا يحرص على ذِكْر آراء أهل البدع والإشراك، فإذا وَجَد ضرورةً لذلك، أو كان المُؤلِّف ذَكَرها؛ فإنَّه يتكلَّم عليها بتوسُّع، ويشتدُّ في الرَّدِّ عليهم دون إفراط.

١٦ - فيما يتعلَّق بقراءة الكتب المُطَوَّلات: لا يشرحها عبارةً عبارة؛ وإنَّما كان يقف عند المُهمِّ منها، أو ما يَسأل عنه أحدُ الحاضرين.

١٧ - إذا فَرَغ من الدَّرس تلقَّى أسئلة الطُّلَّاب وأجاب عنها.

١٨ - لم يكن يَسمَح بإثارة الأسئلة التي لا فائدة منها، أو الدُّخول في مناقشات عقيمة.

١٩ - إذا سُئِل عن شيء لا يَعلَمُه يقول: «لا أدري»، دون أن يُبرِّر أو يزيد عن كلمة «لا أدري».

٢٠ - يَختَبِر الطُّلَّاب في بعض الأحيان بإلقاء الأسئلة عليهم فيما شَرَح لهم، وقد يُثير بعض الإشكالات العِلْميَّة؛ ليقدح أذهانَ الطُّلَّاب.

٢١ - في درس شرح متن «ألفيَّة ابن مالك» يَطلبُ منهم إعرابَ أبياتِها وشَواهدِها.

٢٢ - قال الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عن طريقة سماحته في التَّدريس: «كان من أَعلمِ النَّاس في زمانه، ومن أَحسنِهم تعليماً، وتفقيهاً، وعنايةً بالطَّالب، وإلقاء الأسئلة، وحرصاً على استنباط ما عند

الطَّالب، وبيان الجواب، والتَّنبيه على الخطأ، وكان مَهِيباً رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قويّاً في التَّعليم»[١].

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مسجد سماحة الشَّيخ الذي كان يدرِّس فيه





بيت سماحة الشَّيخ الذي كان يعقد فيه درسه وقت الضُّحى آخر حياته

تَلامِيذُه

تتلمذ على سماحته أفواجٌ من الطُّلَّاب، انتشروا في أنحاء المملكة العربيَّة السُّعوديَّة بين عالِمٍ، وقاضٍ، ومُدَرِّسٍ، وخطيبٍ، وواعظٍ؛ ومِنْ أشهرهم:

١ - سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - المفتي العام للمملكة العَربيَّة السُّعوديَّة - (ت ١٤٢٠هـ)، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأرجو أَنْ أَكونَ حسنة مِنْ حسناته»[(١)].

٢ - سماحة الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن حُمَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٠٢هـ).

٣ - الجَدُّ فضيلة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن مُحمَّد ابن قَاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٩٢هـ)؛ جامع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، وساعَدَه الوالد في جَمْعِها.

٤ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّطيف بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ، مدير المعاهد العِلميَّة والكُلِّيَّات الشَّرعيَّة - (ت ١٣٨٦هـ).

٥ - فضيلة الشَّيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ، رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في

---

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

المنطقة الغربيَّة - (ت ١٤٠٤هـ).

٦ - فضيلة الشَّيخ عبد العزيز بن مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - نَجْل سماحة الشَّيخ الأكبر، الرَّئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر - (ت ١٤٢٦هـ).

٧ - فضيلة الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - نَجْل سماحة الشَّيخ، وزير العدل، وعضو هيئة كبار العلماء - (ت ١٤٢٧هـ).

٨ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد الرَّحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو لجنة الإفتاء - (ت ١٤٣٠هـ).

٩ - الوالد فضيلة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قَاسمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو ألزم طُلَّابه به، وجامعُ فتاويه ورسائله في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً - (ت ١٤٢١هـ).

١٠ - فضيلة الشَّيخ صالح بن علي ابن غصون رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤١٩هـ).

١١ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد العزيز ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - (ت ١٤٣٢هـ).

١٢ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّه بن عبد الرَّحمن ابن غديَّان رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللَّجنة الدَّائمة للإفتاء - (ت ١٤٣١هـ).

ذَكاؤه

كان يَمتازُ بالذَّكاء الحادِّ، والحافظة القَويَّة؛ ويتبيَّن ذلك في الآتي:

١ - كان يَعقِل أموراً وهو في الثَّالثة مِنْ عمره؛ قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال لي سماحة الشَّيخ: أذكر أحداثاً وعمري ثلاث سنوات».

٢ - كان يحفظ المتن من القراءة الثَّالثة، ورُبَّما الثَّانية.

٣ - استحضاره للأدلَّة وأقوال العلماء أمْرٌ عجَبٌ؛ ففي شروحه المُطَوَّلة يعزو المئات من النُّصوص وأقوالِ العُلَمَاء؛ وأثناء عملي في تحقيقها لم أره يُخطِئ في شيءٍ منها.

٤ - كان يُكرِّر شرح المُتُون، وبعضها بلغ ثمانيَ نُسَخ، وبين أوَّل شرح وآخر شرح لبعضها قرابة ثلاثين (٣٠) عاماً، ولا يَكادُ يختلف شرحه فيها؛ بل بعض الجمل منها بحروفها.

٥ - كان يَدُلُّ طلَّاب العِلم على مواضع المسائل في مظانِّها من الكتب، ذاكراً رقم الصَّفحة أحياناً.

٦ - إدراك محفوظاته العِلميَّة عن فَهْمٍ وبَصيرةٍ.

٧ - كانت تُعرَض عليه القضايا الطَّويلَة التي تبلغ ثلاث مئة (٣٠٠) صفحة تُقرَأ عليه، ثمَّ يُملِي ما يرى، مستحضراً كلَّ ما مَرَّ فيها من الجزئيَّات.

٨ - امتاز بسرعة البديهة والفهم.

٩ - كان يُدرِك حقيقةَ ما يُعرَض عليه من المُشكِلات، فيكشف ما وراءها من الدَّوافع ببَصيرَتِه الثَّاقبة، ولم يكن ينطلي عليه كيدٌ أو احتيالٌ.

١٠ - كان يُدرِك تقدير الوقت بالسَّاعة، ولا يكاد يُخطِئ في دقيقةٍ منها؛ مع العِلم بأنَّه لم يَستعمل السَّاعة في حياته.

١١ - كان يصِفُ في آخر حياته مشاهداتِه قبل أنْ يُكَفَّ بصرُه في صغره، وبينهما أكثر من ستِّين (٦٠) عاماً.

١٢ - قلتُ للشَّيخ صالح اللُّحيدان: «أنت ذكيٌّ، فمَنْ أذكى مَنْ رأيت؟ قال: في سرعة الاستنباط من الأدلَّة ما رأيتُ مثل الشَّيخ ابن باز، وفي سَعَة الاطِّلاع ما رأيتُ مثل الشَّيخ عبد اللَّه ابن حُمَيْد، قلتُ: والشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم؟ قال: ليس أحد مثله في الذَّكاء».

عِبادتُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ سائراً على منهج سَلَف الأُمَّة، عاملاً بالكتاب والسُّنَّة، كثير العبادة؛ ويظهر ذلك في الآتي:

١ - حرصه على إخلاص العمل للَّه؛ فلم يكن يوماً طالبَ شهرةٍ، ولا باحثاً عن سُمعة؛ ولا يُعرَف عنه أنَّه تحدَّث عن أعماله - على جلالتِها وكثرتِها -.

٢ - كان يتحرَّى في جميع تصرُّفاته الظَّاهرة والباطنة التَّأسِّيَ بالنَّبيِّ ﷺ، وصحابتِه، وسَلَفِ هذه الأمَّة رضوان اللَّه عليهم.

٣ - كان مِنْ أكثر النَّاس استحضاراً لعظمة اللَّه والخشية منه.

٤ - كان يُحيي اللَّيل بالصَّلاة، ويُواظِب عليها في إقامته وسَفَره؛ قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صَحِبتُه زمناً طويلاً وهو يَقومُ ما يقرب من ساعة ونصف آخرَ اللَّيل، لا يَترك ذلك، وقد لا يَعرفُ هذا كثيرٌ من النَّاس الذين لم يتَّصلُوا به».

٥ - عيناه تَغْرَورِق بالدُّموع حينما يكون في موقف مناجاة اللَّه، أو إذا سمع بعض ما يُحَرِّك القلوب، ويتجلَّى ذلك كثيراً فيما يُحييه من اللَّيل بالصَّلاة.

٦ - كان يُكثر من ذِكْر اللَّه والاستغفار.

أَخلاقُه

نال رَحِمَهُ اللَّهُ مكانةً كبيرةً في قلوب النَّاس بتوفيق اللَّه، ثم بما كان يَتَحلَّى به مِن أخلاقٍ سامية؛ ومن ذلك:

١ - كان من أنصح النَّاس للَّه عَزَّ وَجَلَّ وللعباد والتَّلاميذ، قال سماحة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا أَعلمُ أنِّي لقيتُ أحداً أَعلَمَ منه، ولا أَفضلَ منه رضي اللَّه عنه، ولا أَنصحَ منه للأُمَّة والتَّلاميذ»(١).

وقال أيضاً: «فهو فيما عَلِمتُ مِنْ أَنصحِ النَّاس للَّه والعباد، واللَّهِ لا أَعلمُ أنصحَ منه في وقته، ولا أَعلمَ منه في وقته رَحِمَهُ اللَّهُ»(٢).

٢ - كان حريصاً على نشر العلم النَّابع من الكتاب والسُّنَّة؛ فكان يُشير على النَّابغين أن يُظهروا علم السلف؛ ومِنْ أبرز ذلك: أنَّ الجَدَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا فرغ مِنْ جَمْع كتاب «الدُّرر السَّنيَّة» في ستَّة عشر (١٦) مجلَّداً، قال له سماحته: «لعلَّك تجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، فشرع الجَدُّ في جَمْعِها وسَاعَدَه الوَالدُ، وكان سماحته يتابع جمعهما لها، ويُشرف عليها.

٣ - سلامة قلبه؛ فكان لا يَحملُ ضغينةً على مَنْ أَساءَ إليه.

---

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ - لا يَنتقمُ مِنْ أحدٍ نَالَه بأذىً؛ بل كان دَيدنُه الصَّفْحَ والتَّجاوز.

٥ - يتنزَّه عن الغِيبَة والحديث في الآخرين بما يكرهون، ولم يَكنْ يَسمحُ لأَحدٍ أنْ يَتحدَّث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقُّصِهم؛ بل كان يقف دون ذلك، ويزجر مَنْ حاوله؛ عُرِف بذلك منذ حداثة سِنِّه حتى فارق الدُّنيا.

٦ - كراهيتُه الشَّديدةُ للمديح والثَّناء عليه؛ فما كان يرضى مِنْ أحدٍ أن يُثنيَ عليه، أو يبالغَ في مدحه؛ سواء كان ذلك مشافهةً أو كتابةً.

٧ - آتاه اللَّه هيبةً في نفوس النَّاس، ومع ذلك كان أنيساً عند مخالطته، ألوفاً لمعاشريه، لا يتَّصف بشيءٍ من الغِلظة، أو الفظاظة.

٨ - عُرِفَ بالبَذْلِ والسَّخاء؛ وبالأخصِّ ما يتعلَّق بإكرام العلماء والقُضَاة وطلَّاب العِلْم وذوي رَحِمِه، وكان لا يَتركُ مناسبةً مهمَّةً إلَّا أقام لها الوليمةَ الكبيرةَ ودعاهم إليها.

٩ - كَتَب اللَّه له المَحَبَّة والقَبول عند العامَّة والخاصَّة، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو مِنْ أَحبِّ النَّاس إِلَيَّ بعد رسول اللَّه وصحابته»[1].

(١) في تسجيلٍ صوتيٍّ له رَحِمَهُ اللَّهُ.

صِفاتُه

كان يَتَحلَّى بصفاتٍ جليلة قَلَّ أنْ تَجتمعَ لأَحدٍ؛ ومِنْ ذلك:

١ - كان يجتهد في تحرِّي الحَقِّ والدِّفاع عنه، ولا يأخذه في ذلك ضعفٌ، ولا يعتريه طَمَعٌ؛ قال عبد اللَّه الصَّانع رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] -: «سمعتُ الشَّيخ عبد اللَّه العنقريَّ عدَّة مرَّات يدعو للشَّيخ مُحمَّدٍ بعد صلاته آخر اللَّيل، ويقول: إنَّني أَرجُو اللَّه أن يُبقِيَه لنصرة هذا الدِّين، وحِمَاية هذه الدَّعوة السَّلفيَّة، التي قام بها مُجَدِّد القرن الثَّاني عشر شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب»[(٢)].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنتُ جالساً عند شيخنا - الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ - قبل وفاته بأحدَ عشرَ يوماً، وعلى وجه التَّحديد في السَّاعة الرَّابعة من يوم (٢٣) من المُحرَّم (١٣٧٣هـ)، وقد اشتدَّ به المرض رَحِمَهُ اللَّهُ، فتأوَّه وقال: إنَّ دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ قد كادت تنمحي، ولكن نسأل اللَّه أنْ يُبقيَ لها هذا الكهفَ الظَّليل، وهو الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم لحمايتها والذَّوْد عن حِياضِها، ويَجبُ على المسلمين عامَّةً وعلمائهم خاصَّة أنْ يدعوا له بالتَّثبيت والقوَّة»[(٣)].

٢ - له حظٌّ وافرٌ مِن الشَّجاعة وقوَّة الشَّكيمة.

---

(١) من تلاميذ الشَّيخ عبد اللَّه العنقريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) المبتدأ والخبر (٥/ ٧٥).

(٣) المبتدأ والخبر (٥/ ٧٦).

٣ - كان قويّاً في الحَقِّ، لا يخاف في اللَّه لومة لائمٍ، وله في ذلك مواقفُ حَفِظَها التَّاريخ، قال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ذا غَيْرة عظيمة، وهمَّة عالية رفيعة، وكان كَهفاً مَنِيعاً لأهل الحَقِّ مِنْ دُعاة الهُدَى، وكان ذا حَزْمٍ وصَبرٍ وقوَّةٍ في الحَقِّ، لا تَأخذُه في اللَّه لَوْمَة لَائمٍ»[1].

٤ - كان يُطيل التَّأمُّل والتَّعمُّق، ويُبعِد النَّظَر في عواقب الأمور، وفيما يُعرَض عليه مِن القضايا التي تَجِدُّ تِباعاً، فكان يَصِلُ بعد ذلك إلى الاستنتاج الدَّقيق الذي لا يكاد يختلف، ولا يخالفه فيه ذو إنصاف.

٥ - كان مُهتمّاً بأمر المسلمين؛ فيسأل أهل البلدان والأمصار عن أحوالهم؛ ويأتي أحدهم بالخبر يحسب أنَّه لا يَعلَمُه؛ فيخبره سماحته بأكثر منه في بلاده، أو بلدان أخرى.

٦ - كان يَكرَه المُتَمَلِّقين.

٧ - اتَّصَف بالعِفَّة والتَّورُّع عن أَخْذِ ما ليس له، أو ما يَرى فيه شبهةً؛ ومِنْ أمثلة ذلك:

أ - كان حريصاً على أنْ لا يُدْخِلَ نفسه في مَداخلَ مُشتَبِهة.

ب - لم يُعرَف أنَّه اشتغل بالبيع أو الشِّراء، لا بالاستقلال ولا بالمشاركة؛ بل كان مُقتصِراً على ما يتقاضاه مقابل عمله.

---

(١) تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان (ص٥٣).

ج - كان يشغل عدَّة أعمال ولا يتقاضى عليها شيئاً إلَّا ما كان يأخذه قبل إحداث هذه الأعمال.

د - كانت الدَّولة تُكَلِّف موظَّفيها للعمل في مدينة الطَّائف صيفاً، وتصرف لهم مبلغاً من المال مقابل ذلك، وسماحته لا يأخذ من ذلك شيئاً.

هـ - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم أعرف عنه أنَّه طَلَبَ مِن المسؤولين شيئاً يَخُصُّه».

الأعمال التي قام بها

كان أُمَّةً في رَجلٍ، عالِماً مباركاً، جَمَع اللَّه له العِلْمَ والعبادةَ ونَفعَ الخَلْقِ، وقد تَقَلَّد أعمالاً كثيرة؛ منها:

١ - التَّدريس، وهو العمل الرَّئيس الذي استغرق أكثر أيَّام حياته.

٢ - الفتوى؛ فقد كان يُشارِك فيها حتى توفي الشَّيخ سعد ابن عتيق رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٣٤٩هـ)، ثمَّ استقلَّ بها حتى تحوَّلت بأَخَرَةٍ إلى عملٍ مُنَظَّم في دار الإفتاء؛ حين أُنشِئت عام (١٣٧٤هـ)، وظَلَّ يفتي حتى وافته المَنِيَّة.

٣ - القضاء، فلَمَّا حُوِّل القضاء - نظراً لاتِّساعه - إلى رئاسة؛ أُسنِدَت إليه رئاسته.

٤ - رئاسة المعاهد العِلميَّة والكُلِّيَّات منذ إنشائها عام (١٣٧٠هـ)، وهو الذي أشار على الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ بفتحها.

٥ - الإشراف على مدارس البنات منذ افتتاحها عام (١٣٧٩هـ).

٦ - الإشراف على تأسيس الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المُنوَّرة، وكُلِّف برئاستها عام (١٣٨١هـ).

٧ - رئاسة رابطة العالم الإسلامي منذ إنشائها عام (١٣٨١هـ).

٨ - رئاسة مجلس القضاء الذي شُكِّل عام (١٣٨٨هـ)؛ وعُقِد في حياته مرَّتين.

٩ - تشكيل هيئةٍ تَضُمُّ كبار العلماء.

١٠ - إمامة جامع حيٍّ دُخْنة بالرِّياض، وخطابة الجامع الكبير - جامع الإمام تركي بن عبد اللَّه -.

ومثل هذه المناصب والمهامِّ لا يقوم بها كلُّ أَحدٍ، وإنْ قام بها مفردةً لم يقم بها مجتمعة، ولكن سماحة الشَّيخ آتاه اللَّه القُوَّة والجَلَد، وبَذْل الوقت والنَّفس للخلق، والصَّبر وتَحمُّل الأعباء، مع حَصَافَة العقل وسَعَة العِلْم، والمقدرة النَّادرة في معالجة قضايا النَّاس، وقضاء حوائجهم، فأُوكِلَتْ إليه هذه المناصب؛ لثقة ولاة الأمور به، وعلمهم بكفاءته وتأهيله.

آثارُه

سَخَّر رَحِمَهُ اللَّهُ عُمُره لنَفْعِ المسلمين؛ بالتَّدريس والإفتاء والرَّأي السَّديد والنُّصْح لهم، فخَلَّف كنوزاً كثيرةً من العلوم والمعارف، ومِنْ ذلك: ما كَتَبه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ شروح سماحته خلال ملازمته لدروسه، وما جَمَعَه مِنْ فتاواه ورسائله؛ ومنها:

١ - شرح العقيدة الواسطيَّة.

٢ - شرح كشف الشُّبهات.

٣ - شرح ثلاثة الأصول.

٤ - شرح كتاب التَّوحيد؛ في ثلاثة (٣) مجلَّدات.

٥ - شرح الحَمَويَّة؛ في مجلَّدين.

٦ - شرح الأربعين النَّوويَّة.

٧ - شرح شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها.

٨ - شرح آداب المشي إلى الصَّلاة.

٩ - شرح الرَّوض المُرْبع؛ يزيد على عشرين (٢٠) مجلَّداً.

١٠ - فتاواه ورسائله، في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً، ولها فهرس تفصيليٌّ في مجلَّد، وقد جَمَعها الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال عنها: «لو لم يكن له أَثرٌ سواها لكَفَى به فخراً؛ لم يَصِل إليه غيره من أهل عصره».

ومع أنَّ شروحه وفتاواه لم يُحَرِّرها بيده؛ لكونه كفيف البصر، إلَّا أنَّ اللَّه عوَّضه بالوالد، فكان بارّاً به، وفيّاً له، فأخرج علومه حتَّى أصبحت كتب سماحة الشَّيخ أكثر كتب أئمَّة الدَّعوة.

وَفاتُه

بعد عُمُرٍ زَاخرٍ بالعِلْم، وتَعليمِ النَّاس الدِّين، والنُّصحِ للأمَّة، نزل به مرضٌ يشتدُّ عليه يوماً بعد يوم، ومرضه لم يمنعه من ذِكر اللَّه والاستغفار، حتَّى دخل في غيبوبة تامَّة، انتهت به إلى الوفاة في الرَّابع والعشرين من شهر رمضان، عام أَلفٍ وثَلاثِ مئة وتِسعةٍ وثمانين (٢٤/ ٩/ ١٣٨٩هـ)، عن عُمُر يُناهِز ثمانية وسبعين (٧٨) عاماً.

وقد صُلِّيَ عليه في الجامع الكبير في مدينة الرِّياض، وأَمَّ النَّاسَ تلميذُه سماحةُ الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وحَضَر الصَّلاةَ جمعٌ غفيرٌ مِن الأمراء والعلماء والأعيان، يتقدَّمهم الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومِنْ كثرة المُصَلِّين ضاق المَسجدُ على سَعَته، وصَلَّى كثيرٌ منهم خارج المسجد، وأُغلقت الطُّرُق بالسَّيارات والمُشاة، ولم يكن بين وفاته والصَّلاة عليه إلَّا ساعتان، وتَبِعَه المُصَلُّون إلى «مقبرة العود» حيث وُورِيَ هناك.

وقد حَزِنَ النَّاس لوفاته، ورَثَاه نيِّفٌ وعشرون عالِماً بما يزيد على أربع مئة (٤٠٠) بيت، وبلغت التَّراجم عنه أكثر من خمسين (٥٠) تَرْجَمَة.

قال الوالد: «تغمَّد اللَّه شيخنا برحمته، وسَدَّد خُطَا خلفائه، ونَفَعَ بعلومه، وجعل عملنا خالصاً لوجهه، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ».

بُحوثٌ عِلميَّةٌ عن عِلْم سماحته

اتَّصف سماحة الشَّيخ بالعِلْم الغزير، وانتفع النَّاس به؛ فصُنِّف في «مجموع فتاواه ورسائله» التي جَمَعَها الوالد أبحاثٌ ورسائلُ عِلميَّة؛ ومنها:

١ - الاختيارات الفقهيَّة في مسائل العبادات لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

٢ - القواعد الأصوليَّة والقواعد والضوابط والفوائد الفقهيَّة؛ من فتاوى ورسائل الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - المنهج القضائيُّ لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ «رسالة دكتوراة».

٤ - اختيارات الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ وآراؤه الفقهيَّة في قضايا معاصرة؛ «رسالة دكتوراة».

٥ - فقه الدَّعوة إلى اللَّه في فتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ - دراسة تحليليَّة -؛ «رسالة ماجستير».

٦ - الجهود التَّربويَّة لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ «رسالة ماجستير».

٧ - منهج الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ في الدَّعوة إلى اللَّه؛ «رسالة ماجستير».

٨ - تخريج الفروع على الأصول عند الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ من خلال فتاويه ورسائله - جَمْعاً ودراسة -؛ «رسالة ماجستير».

٩ - جهود سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ في تقرير العقيدة؛ «رسالة ماجستير».

أسأل اللَّه أنْ يَغفرَ له، وأنْ يجزيَه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأنْ يُسكِنَه الفردوس الأعلى بغير حساب.



ترجمة الوالد العلامة

محمد ابن قاسم رحمه الله (١)

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

(١) هذه التَّرجمة من كتابنا: «مختصر ترجمة الوالد العلَّامة مُحمَّد ابن قاسم رحمه الله؛ جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله، وفتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رحمه الله».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: الشَّيخ العلَّامة مُحمَّد بن عبد الرَّحمن بن مُحمَّد بن عبد اللَّه ابن قاسمٍ، من آل عاصم، من قبيلة قحطان.

ولد سنة ألف وثلاث مئة وخمس وأربعين من الهجرة (١٣٤٥هـ) في بلدة «البِير» - تبعد عن الرِّياض مئة وعشرين (١٢٠) كيلومتراً شمالاً -.

نَشأتُه، وطلبُه للعِلم

نَشَأَ نشأة دينيَّة عِلميَّة؛ فوالده الشَّيخ العلَّامة عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ جامع «الدُّرر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجديَّة» - ستة عشر (١٦) مجلَّداً -، ومُصنِّفُ «حاشية الرَّوض المُرْبع» - سبعة (٧) مجلَّدات -، وغير ذلك من المُؤلَّفات النَّافعة.

وكان والده حريصاً عليه؛ فوجَّهه منذ صغره لتعلُّم القراءة والكتابة، ولَمَّا أتقنهما حَضَر والده إليه - وهو في الكُتَّاب - وأخذ بيده وأخرجه منه، وقال له: «أُريدك أن تكون عالِماً، وليس كاتباً فقط».

فقَدِم والدي على سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره ستُّ (٦) سنوات؛ للالتحاق بدروسه، فسأله سماحته: «هل أنت حافظٌ للقرآن؟ فقال: لا، فقال له: لا يحضر عندي أحد في الدَّرس إلَّا وهو حافظ للقرآن»، فعَكَف على حفظ القرآن الكريم، وحفظه في ثمانية أشهر، ثمَّ التحق بدروس سماحة الشَّيخ وغيره.

شُيوخُه

طَلَبَ العِلم على كبار العلماء في عصره، ومِنْ أولئك:

١ - سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - مفتي المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ورئيس القضاة والشُّؤون الإسلاميَّة - (ت ١٣٨٩هـ)؛ قرأ عليه في التَّفسير، والعقيدة، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والفرائض، والنَّحو والصَّرف، والعَرُوض، والتَّاريخ، وغيرها من العلوم.

٢ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّطيف بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - شقيق سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم، ومدير المعاهد العلمية والكليَّات - (ت ١٣٨٦هـ)؛ قرأ عليه الفرائض.

٣ - سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ - مفتي عام المملكة العربيَّة السُّعوديَّة - (ت ١٤٢٠هـ)؛ قرأ عليه في الحديث وعلومه: «نُخبَة الفِكَر» و«بلوغ المرام»، وفي الفقه: «زاد المستقنع».

٤ - سماحة الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن حُمَيد رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس المجلس الأعلى للقضاء - (ت ١٤٠٢هـ)؛ قرأ عليه في النَّحو: «الآجُرُّومِيَّة».

٥ - والده العلَّامة عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ - صاحب المُؤلَّفات النَّافعة - (ت ١٣٩٢هـ)؛ قرأ عليه في الفقه.

وكانت حصيلته العِلميَّة واستفادته الكبرى من سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ما اختُصَّ به الوالد في دروس سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ

اختُصَّ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن أقرانه في دروس سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعدَّة أمور؛ منها:

١ - أنَّه أكثر الطُّلَّاب ملازمة لسماحة الشَّيخ؛ فقد بدأ في ملازمته وعُمُره سبع (٧) سنوات، وامتدَّت ملازمته له سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً - من عام (١٣٥٢هـ) إلى عام (١٣٨٩هـ) -.

٢ - أنَّه كان يجلس مُلاصِقاً لسماحة الشَّيخ في الدَّرس.

٣ - أنَّه هو الذي يقرأ الدَّرس على سماحته.

٤ - أنَّه الوحيد من طلَّاب سماحة الشَّيخ الذي يُدَوِّن جميع شروح سماحته، ولا يُعرف في التَّاريخ أنَّ تلميذاً كرَّر تدوينَ شرحِ شيخِه لكتابٍ ثمانيَ مرَّات.

٥ - أنَّ سماحة الشَّيخ كان يُمثِّل باسمه في درسه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الرَّوض المُرْبِع: «الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام؛ هذه الدَّار وُقِفتْ على مُحمَّد ابن قاسم، وجُعِل له النَّظَر فيها».

٦ - كان سريع الكتابة جدّاً، لا يَفوتُه من شروح سماحة الشَّيخ شيءٌ.

٧ - مَكَثَ الوالد سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً يُدَوِّن ما يسمعه من سماحة الشَّيخ.

٨ - الدُّروس الأخيرة لسماحته لم يحضرها من طلَّاب العِلم الكبار سواه، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن آخرِ شرحٍ لسماحته للرَّوض المُرْبِع: «أكثر طلَّاب العِلم عليه قد تخرَّجوا ولم يُدرِكوا هذه القراءة، كما أنَّه قد استوفى كلَّ ما لديه فيها؛ لِمَا يرى من العناية بما يُقَرِّر، ولأنَّه يجزم بأنَّه ليس عنده وقت ولا طلَّاب؛ لأنَّ الأكثريَّة دخلوا المعاهد والكُلِّيَّة».

وقال أيضاً: «والَّذين درَسوا عليه قبلُ لم يُدرِكوا أكثر هذا الشَّرح والتَّفصيلِ والتَّصويرِ والتَّرجيحِ واختياراتِه، حتى الَّذين نقلوا عنه».

طَريقةُ تدوين الوالد لشروح سماحته رحمهما الله

كان رَحِمَهُ اللَّهُ حريصاً على نَفْعِ نفسه وغيره من عِلم سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، أميناً فيما يسمعه من سماحته، دقيقاً في تدوينه، ويظهر ذلك في الآتي:

١ - أنَّه يُدَوِّن كلَّ ما سمعه من سماحة الشَّيخ بحروفه مِنْ فِيه في حِينِه، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أكتب لفظَه مِنْ فِيه في حِينِه؛ حِرْصاً على تقييد الفوائد، ومحافظةً على أمانة النَّقْل»[١].

وقال أيضاً: «كتابتي عن سماعٍ في الحال، لا أُسقط حرفاً ولا أزيد».

٢ - إذا كان يكتب ونَفِدَ الورق كَتَبَ على ذراعه؛ لئلا يفوته شيء، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعض الأحيان أكتب الفائدة أو بَقيَّتها في ذراعي إذا نَفِد الورق».

٣ - أنَّه لا يُغَيِّر ما سمعه ولو كان في ضبط حركات الكلمة، قال سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما لو كان مربوط، أو مُحَرول[٢]، أو مريض لا يقدر».

قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقاً على هذا: «هذه الكلمات كتبتها هكذا، لأنَّه وَقَف عليها بالسُّكون»[٣].

---

(١) شرح كشف الشُّبهات لسماحته (ص٥).
(٢) أي: مُقعَد.
(٣) شرح آداب المشي إلى الصَّلاة لسماحته (ص١٩).

٤ - أنَّه يكتب جميع شروح سماحته للكتب، حتى ولو كان سماحته قد كرَّر شرحه، فقد كَتَب شرح الواسطيَّة ثمانيَ (٨) مرَّات، وشرح كشف الشُّبهات ستَّ (٦) مرَّات، وشرح الأربعين النَّوويَّة أربع (٤) مرَّات، وشرح الرَّوض المُرْبِع ثلاث (٣) مرَّات، وشرح آداب المشي إلى الصَّلاة مرَّتين.

٥ - إذا لم يُدَوِّن شرح الدَّرس؛ يترك صفحة فارغة من الدَّفتر أو جزءاً منها في موضع شرح الدَّرس، ويُبَيِّن سبب عدم تدوينه للشَّرح في ذلك اليوم، ومن الأسباب التي ذكرها: «لم أجد سيارة توصلني للدَّرس، انتهى الحبر، طَفَى السِّراج، طَفَى الكهرب، طَفَت اللَّمبات».

وما فاته يستدركه من شروحات سماحة الشَّيخ المتكرِّرة للكتاب نفسِه.

المَشقَّة التي لاقاها الوالد في تدوين شروح سماحته رَحِمَهُمَا اللَّهُ

لَقِيَ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مشقَّةً شديدةً في التَّدوين، وبيان ذلك في الآتي:

١ - طُولُ زمن الكتابة التي امتدَّت سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً، يُدَوِّن فيها ما يسمعه من سماحة الشَّيخ.

٢ - أنَّ درس سماحة الشَّيخ يستغرق أكثر من ثماني (٨) ساعات يوميّاً، فقد كان لسماحته أربع جلسات يُدرِّس فيها، وهي:

أ - بعد صلاة الفجر إلى شروق الشَّمس.

ب - بعد ارتفاع الشَّمس مدَّةً تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

ج - بعد صلاة الظُّهر.

د - بعد صلاة العصر.

وكان الوالد يدوِّن جميع الشُّروح في تلك الجلسات.

٣ - استرسال سماحة الشَّيخ في الشَّرح الذي يفوق سرعة الكتابة المعتادة.

٤ - كانت كتابة الوالد في بداية صناعة الأقلام، وكانت بدائية لا تُعِين على سرعة الكتابة.

٥ - قِلَّة الأوراق زمن كتابة الوالد.

٦ - انعدام الأمور المُعِينة على الكتابة - كالطَّاولة ونحوها -.

٧ - كانت كتابته على ضَوْء السِّراج أكثر من خمسة عشر (١٥) عاماً، وكان ضَوْء السِّراج ضعيفاً[١]، ثم لَمَّا دخلت الكهرباء في الرِّياض كانت كثيرة الانقطاع.

٨ - كانت جِلسته في الدَّرس: يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها، ويثني قدمه اليمنى مرفوعة جهة بطنه، ويضع الدَّفتر على فخذه الأيمن، ويكتب ما يسمعه من سماحته قرابة أربع ساعات وهو على هذه الهيئة لا يغيرها.

٩ - كانت للوالد رَحِمَهُ اللهُ طريقةٌ في مَسْكِ القلم أثناء الكتابة؛ فقد كان يُمسك القلم بين إصبعيه السَّبَّابة والوسطى مع إبهامه، خلافاً لما هو معتاد مِن النَّاس مِن مَسْكِ القلم برأس أنملة السَّبَّابة مع الوسطى والإبهام؛ ومن كثرة كتابته لشروح سماحته وغيره سنين طويلة؛ رأيتُ جانب إصبعيه السَّبَّابة والوسطى محفورتين من أثر مَسْكِ القلم.

(١) الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عَمِيَ بصرُه من وميض السِّراج وهو يُدَوِّن كتابه: «جامع المسانيد». المصعد الأحمد (ص٢٣).

هيئة جلوس الوالد في درس سماحة الشَّيخ وتدوينه للشَّرح السَّاعات الطِّوال



طَريقةُ مسك الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقَلَم





المَشقَّة التي لاقاها الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قراءة ما كَتَبَه

وكما كان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَجِدُ مَشَقَّة في الكتابة، يَجِدُ مَشَقَّة أخرى وهي قراءة ما كَتَبَه بسرعة، وقد بيَّن ذلك في الآتي:

١ - قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كم أنا أُلاقي في صعوبةِ التَّلقِّي والكتابة أوَّلاً، وصعوبة قراءة المكتوب الآن أخيراً؟!».

٢ - كان صابراً على هذه المَشَقَّة رجاء ثواب اللَّه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنا أتعب في الكتابة لاستقبال ما يقول وكتابتِه بسرعة؛ أخشى أن تفوت الفائدة، أو أن أكتبها بطريقة الشَّكِّ فيها، وكذلك في هذا النَّسخ، وأرجو اللَّه المَثوبَة».

٣ - كان يجد العون من اللَّه في قراءة ما انغلق عليه ممَّا كتبه، وقد وَصَفَ ذلك بقوله: «كلَّما اشتبه عليَّ شيء من الكتابة أجد عوناً على فهمه».

٤ - فَهمُه لدروس سماحة الشَّيخ ومعرفته بمعانيها ساعدته بعد عون اللَّه في قراءة ما كتبه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معرفتي بالمعاني ساعدتني على قراءة ما كتبته بهذه السُّرعة».

خطُّ الوالد أثناء كتابته لشروح سماحة الشَّيخ

عِلْمُ سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بكتابة الوالد رحمهما الله

كان سماحة الشَّيخ على عِلمٍ بتقييد الوالد لكلِّ ما يقوله، ومطمئنّاً لأمانته، ودِقَّته، وحِرْصِه في كلِّ ما يُدَوِّنه عنه في شروحه وغيرها، ويدلُّ على ذلك الآتي:

١ - قال الوالد رحمه الله: «لا يَخفَى عليه اهتمامي بالكتابة عنه».

٢ - قال الوالد رحمه الله: «كنتُ القارئ عليه، وكان ينتظر أحياناً حتى أكمل الكتابة، وهو يسمع صريخ - صوت - القلم، ويقول: انتهيتَ يا مُحمَّد؟ وأنا أيضاً أُشغِله بقول: أحسن اللَّه إليك، وكانت عادتنا بعد كلِّ جملة يشرحها إذا أنهاها أقرأ ما بعدها وهكذا».

٣ - كان سماحته يدلُّه على مواطن تحتاج إلى تلخيصِ شَرْحِها ممَّا كتبه الوالد، قال رحمه الله في شرح ثلاثة الأصول[1]: «لا بُدَّ من تلخيصٍ للكتابة».

٤ - كان سماحته يُحِيل على ما كتبه الوالد، قال رحمه الله في شرح شروط الصَّلاة: «تقدَّم لنا معنى شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه بآخِرِ كتابة».

(١) (ص١٣٨).

٥ - شَهِد له أقرانه بأمانته فيما نَقَلَه ودَوَّنه ممَّا سَمِعه من سماحة الشَّيخ، حدَّثني الشَّيخ صالح ابن غصون رَحِمَهُ اللهُ - عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - أنَّه قال في اجتماعٍ لهيئة كبار العلماء، وبحضور سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «يكفينا من الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسمٍ أمانته في تدوين ما يسمعه من سماحة الشَّيخ».

أَثَرُ ملازمة الوالد وكتابته لشروح سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ

قُرْب الوالد من سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وتقييد شروحه وغيرها كان له أثرٌ كبيرٌ في حِفظ ونَشْرِ عِلم سماحة الشَّيخ، ويتبيَّن هذا بالآتي:

١ - رَزَقَ اللَّه سماحة الشَّيخ عِلماً غزيراً، وقد سَخَّر اللَّه له الوالد لِحفْظِ عِلمه، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولمَحَبَّتي لِحِفْظِ العِلم ونَشْرِه، حرصتُ على تسجيل هذه التَّقريرات في دفاتري، وظَلَّت محفوظةً عندي كغيرها من شروحات الشَّيخ وتقريراته وفوائده، ولولا لُطْفُ اللَّه بي وبها وبشيخنا لطارت في الهواء، أو نَدَّت في الصَّحراء؛ فلم يكن أحد يحفظها حرفيّاً أو يُقَيِّدها ويمتلك زمامها»[١].

٢ - أنَّه الوحيد الذي أخرج عِلم سماحة الشَّيخ، فجميع شروح وفتاوى ورسائل سماحته لم يُخرِجها إلَّا الوالد.

٣ - اختاره الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ لجمع فتاوى ورسائل سماحته والإشراف على طباعتها[٢]، فطُبِعت في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً، ووَضَع لها فهرساً تفصيليّاً في مجلَّدٍ.

---

(١) شرح آداب المشي إلى الصَّلاة لسماحته (ص٧).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٤).

٤ - بفَضْلِ اللَّه ثمَّ الوالد أصبحت كتب سماحة الشَّيخ أكثر كتب أئمَّة الدَّعوة.

٥ - عَرَف العلماءُ للوالد قَدْرَه في حِفْظِ عِلم سماحته ونَشْرِه، وشَهِدوا له بذلك، فقال الشَّيخ صالح ابن غصون، والشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان - عضو هيئة كبار العلماء -، والشَّيخ عبد الرَّحمن البرَّاك - عضو هيئة التَّدريس بجامعة الإمام -، وغيرهم من العلماء، قالوا جُمْلَةً واحدةً: «إنَّ اللَّه حَفِظ بالشَّيخ مُحمَّد ابن قاسمٍ عِلم سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم».

مَكانةُ الوالد عند سماحة الشَّيخ رَحِمَهُمَا اللَّهُ

كان سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يعتني بطلَّابه، ويَخُصُّ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بعناية خاصَّة، ومنزلة عالية، ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - حدَّثني الوالد وكتب بخَطِّ يده: «أصابني الجُدَريُّ[1] ولم يكن لي أحد في الرِّياض، فاستدعاني الشَّيخ إلى بيته، وجعلني في مكتبته، وخَصَّصَ لي مَنْ يداويني ويقوم برعايتي، وخَشِيَ الشَّيخ أن يُكَفَّ بَصَري، فقال: ضَعُوا في عينه عسلاً؛ فلم يُكَفَّ بَصَري».

قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأرجو أن يكون ما كتبته عنه وفاءً له».

٢ - كان سماحة الشَّيخ يطلب من الوالد أن يقرأ عليه لتحضير درس الغد، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لمَّا كنتُ أطالِع على الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كعادته كتحضيرٍ لقراءة الغد، وقلتُ: كتاب الوقف؛ قال: الوقف يوقِف قارئاً أن يَقْحما[2]».

٣ - كان سماحة الشَّيخ يتوقَّف عن الشَّرح يسيراً كي يُكمِل الوالد الكتابة.

٤ - كان الوالد في بعض الأحيان يستأذن للخروج من الدَّرس لحاجة، فإذا رجع، أعاد سماحته ما فات الوالد من الشَّرح.

---

(١) الجُدَريُّ: قروحٌ في البَدَن تَنَفَّطُ عن الجلد، مُمْتَلِئَة ماءً، وتَقَيَّحُ. لسان العرب (٤/ ١٢٠).

(٢) أي: قف في قراءة هذا اليوم إلى هنا - كتاب الوقف -.

٥ - رفع سماحة الشَّيخ للملك سعود ﷺ قائمة بأسماء الطُّلَّاب النَّوابغ لديه لتكريمهم، وكان من ضِمنهم الوالد، وكان أصغرَهم.

٦ - حَرَص سماحته أنْ يقوم الوالد بطَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام؛ فكتب للوالد: «نُعمِّدك بسرعة السَّفَر إلى مكَّة المكرمة لتلك المُهِمَّة».

٧ - فرَّغ سماحتُه الوالدَ من التَّدريس وجميعِ أعماله لطَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام، فكتب له: «عَمَلُك في التَّدريس بمعهد الرِّياض محفوظٌ لك بعد عودتك من هذه المهمَّة - إن شاء اللَّه -، وتُعفَى من التَّدريس بمكَّة، أو أيِّ عمل خلاف ما انتُدِبتَ له».

٨ - كان سماحته يَثِقُ بالوالد، فكتب له بخصوص طَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام: «المُصَحِّحون والنُّسَّاخ على حسب اختيارك».

٩ - كان يُتابع عمل الوالد في طباعة مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ويدعو له بالتَّوفيق، فكتب له: «عليك بالمبادرة بالسَّفَر على هذه الأُسُسِ، والاجتهاد في إنجاز ما وُكِّل إليك من عمل، وإخبارنا دائماً بمراحل العمل وتطوُّراته، والتَّعقيب على المطبعة دائماً وأبداً في إنجازه، واللَّه يُوَفِّقُك».

١٠ - كان سماحته يفرح بما يُقَدِّمه الوالد من نَفْعٍ للمسلمين؛ حدَّثني الوالد ﵀ فقال: «لمَّا فرغتُ من تحقيق وتكميل كتاب (نقض تأسيس الجَهميَّة) لشيخ الإسلام، قال لي الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم: سنذهب معاً للملك فيصل لطباعته، فوافق الملك على طباعته».

١١ - سماحة الشَّيخ والجَدُّ عبد الرَّحمن ابن قاسم رحمهما الله أقرانٌ في السِّنِّ، فسماحته أسنُّ من الجَدِّ بعامٍ واحدٍ، وقد طَلَبا العِلم معاً على العلماء منذ عام (١٣١٥هـ)، وبينهما أُخوَّة وصداقة ومراسلات، وكان الجَدُّ يُلَقِّب سماحته بـ«الشَّيخ الوالد» تقديراً له، وسماحته يُجِلُّ الجَدَّ، ويقرأ مؤلَّفاته في دروسه كـ«أصول الأحكام»؛ بل كان سماحته يطلب مُسَوَّدة حاشية الجَدِّ على الرَّوض المُرْبِع لتُقرَأ عليه حين تحضيره لدرس الغد.

وزادت العلاقة متانةً بقُرْبِ الوالد من سماحته، فبلغ زمن العلاقة بينهما أربعة وسبعين (٧٤) عاماً - من عام (١٣١٥هـ) إلى حين وفاة سماحته عام (١٣٨٩هـ) -، لذا كان سماحته رحمه الله يقول مراراً: «نحن وابن قاسم شيءٌ واحدٌ».

ولا تزال العلاقة مُستمرَّة بين الأسرتين منذ مئة وثلاثين (١٣٠) عاماً إلى اليوم، محفوفةً بالمَودَّة والتَّقدير.

١٢ - بَعَثَ سماحة الشَّيخ للجَدِّ رسالةً، كتب في آخرها: «وسلِّم على ابنكم مُحمَّد كثيراً».

١٣ - لمَّا عَيَّنَ سماحةُ الشَّيخ طُلَّابَه في مناصب، قال للوالد رحمه الله: «لم نَنْسَك يا مُحمَّد، نريدُك في مكانٍ لائق»، فقال له الوالد: «أريد أن أتفرَّغ لمساعدة والدي في جمع الفتاوى، ولإخراج تقريراتكم».

مَكانةُ سماحة الشَّيخ عند الوالد رحمهما الله

نَشَأ الوالد منذ صغره في كَنَفِ سماحته رحمه الله، ولِمَا يتَّصِفُ به سماحته من أخلاق عالية وعِلميَّة فريدة؛ أحبَّه الوالد حُبّاً جَمّاً، وكانت له منزلة عالية عنده، ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - سألتُ الوالد رحمه الله: «كيف كان حبُّك لسماحة الشَّيخ؟» فقال: «كُنَّا في الطَّريق من الرِّياض إلى مكَّة للحَجِّ في سيارة قبل سيارة الشَّيخ بمسافة، فتأخَّرَت سيارة الشَّيخ كثيراً، فتوقَّفنا لانتظاره، وجلستُ أبكي؛ خشِيتُ أنَّ الشَّيخ أُصيبَ بشيء، فلمَّا قَدِم الشَّيخُ فرحت فرحاً شديداً، وذهبتُ للسَّلام عليه»، فقلتُ للوالد: «هل عَرَفَ الشَّيخ أنَّك كنتَ تبكي عليه؟» قال: «نعم، عَرَفَ ذلك من صوتي».

٢ - مِنْ حبِّ الوالد لسماحته: أنَّه كتب بخطِّه وصْف لباسه وَصْفاً دقيقاً فقال: «جَيْبُ شيخنا على صدره وهو مخفيٌّ تحت الثَّوب - لا فوقه، ولا في جنب الثَّوب كما هو الآن -، فيه الخَتْم، والعُود (الطِّيب)، والمفاتيح، والمِسواك».

٣ - كنتُ إذا أَردْتُ أن يُسَرَّ الوالد، أقول له: «حدِّثني عن سماحة الشَّيخ»؛ فيدخله السُّرور سريعاً، ويسترسل في الحديث عنه.

٤ - كان الوالد يُوصِي بقراءة كتب سماحته، فكتب الوالد رحمه الله: «مَنْ فاتته القراءة على شخصه فليستمع إلى ما قرَّره».

وكتب أيضاً: «مَنْ لم يُدرِك هذا الشَّيخ ليُسمِّع عليه، ويَسمَع شرحه، فليقرأ هذا الشَّرح[١]».

٥ - كان يُسافِر أسبوعيّاً بالسَّيَّارة من الرِّياض إلى مكَّة ذهاباً وإياباً - ألفاً وثمان مئة (١٨٠٠) كيلومتر -، لطَبْعِ فتاوى سماحته، وقد استمرَّ على ذلك ثمانيَ (٨) سنوات.

٦ - أكبر برهان على مَحَبَّة الوالد لسماحة الشَّيخ؛ أنَّه أفنى جُلَّ عُمُره في حِفظ عِلم سماحته ونَشْرِه.

---

(١) أي: شرح الرَّوض المُرْبع.

ذَكاؤه

مَنَحَهُ اللَّه ذكاءً حادّاً، ونبوغاً مُبَكِّراً، ويتَّضِح ذلك فيما يأتي:

١ - كان يَعقِلُ أموراً وعُمُره أربع (٤) سنوات، فقد سألتُه يوماً: «كم مَكَثَ الجَدُّ في تأليف (حاشية الرَّوض)؟» قال: «كنتُ أراه يكتب فيها وعُمُري أربع (٤) سنوات».

٢ - ظَهَرت عليه علامات النُّبوغ منذ صغره، قال لي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان والدي يأمرني أن أطابقَ معه المطبوع من كتاب (الدُّرر السَّنيَّة) مع الأصل، فكان يتجاوزُ بعضَ الأسطر ليختبرني هل أنا متابعٌ معه أم لا؟»، وكان ذلك قبل بلوغه السَّادسة من عُمُره.

٣ - حَفِظ القرآن الكريم في ثمانية (٨) أشهر، وهو في السَّادسة من عُمُره.

٤ - كان يحفظ المتن من قراءته له مرَّة واحدة، وأحياناً مرَّتين؛ كما ذَكَر ذلك عنه الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو الإفتاء بدار الإفتاء -، وهو من أقرانه في طَلَب العِلم.

٥ - التحق بدروس سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره سبع (٧) سنوات.

٦ - كان درسُ سماحة الشَّيخ مُقَسَّماً ثلاثة صفوف؛ الصَّف الأوَّل وهو الصَّف القريب منه، وفيه كبار طلَّاب العِلم أمثال سماحة الشَّيخ

عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، ويليه الصَّف الثَّاني للمتوسِّطين، ثمَّ الصَّف الثَّالث لصغار السِّنِّ وكان الوالد معهم، فلمَّا رأى سماحة الشَّيخ نبوغَه قَدَّمَه إلى الصَّف الأوَّل القريب منه.

قال الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسم أبرز مَن في الحلقة الذين قرأنا معهم على سماحة العلَّامة مُحمَّد بن إبراهيم، فكان هو الذي يقرأ على الشَّيخ المتن والشَّرح، حيث كان يهتمُّ بحِفظ المتون مع أنَّ في زملائه مَن هو أكبر منه سِنّاً، وأقدم منه تعلُّماً».

وقد حدَّثني الشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان بمثل ما قاله الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

٧ - كان مُلِمّاً بالنَّحو، لا يَلْحَن في القراءة؛ لذا اتَّخذه سماحة الشَّيخ قارئاً له في الدَّرس وهو صغير، مع وجود كبار طلَّاب العِلم.

٨ - بدأ في تدوين شروح وفتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره سبع (٧) سنوات.

٩ - كان يفهم كلَّ ما يكتبه عن سماحة الشَّيخ من تقريراتٍ وفتاوى ويَعِي معانيَها، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلُّ ما كتبتُه عن الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ فقد فَهِمْتُه بحمد اللَّه».

١٠ - لَمَّا لَمَحَ الجَدُّ منه الذَّكاء والعِلم، كَتَبَ في وصيَّته: «والمجلَّد الأخير من شرح أصول الأحكام، والأخير من حاشية

الزَّاد[١]، يُكمِلُها مُحمَّد»، وكان الوالد آنذاك في العشرين من عُمُره.

١١ - بدأ مع والده بجَمْعِ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة وهو في العشرين من عُمُره.

١٢ - سَعَة علومه في مختلف الفنون، ويظهر ذلك في فهرسته لفتاوى شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ.

١٣ - قدرته على تمييز كلام شيخ الإسلام من غيره، ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

أ - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «الكلام متَّصل، ويحتمل أنَّه من كلام شيخ الإسلام، أو شرحٌ له من كلام ابن القيِّم»[٢].

ب - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ويحتمل أن كلام ابن تيميَّة انتهى عند قوله: (في هذه الحال)، وأنَّ البقيَّة شرحٌ من ابن القيِّم»[٣].

ج - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «لم يُبَيِّن ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ متى انتهى كلام شيخه، ويحتمل أنَّه انتهى قبل قوله: (ولهذا...) إلخ»[٤].

---

(١) طبع باسم: «حاشية الرَّوض المُرْبِع».
(٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٨١).
(٣) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٨٢).
(٤) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٥٤).

د - شهادة العلماء له بذلك، قال الشَّيخ حَمَّاد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ - عضو هيئة التَّدريس بالجامعة الإسلامية -: «لو اجتمع النَّاسُ كلُّهم فتنفَّس ابن تيميَّة، لعَرَف مُحمَّد ابن قاسم نَفَسَه مِن بينهم».

١٤ - قُدرته على تلخيص الكُتُب من غير إخلالٍ بالمعنى، فقد لَخَّص بخطِّ يده جميع كتب ابن القيِّم وعُمُره اثنا عشر (١٢) عاماً.

١٥ - لنبوغه المُبَكِّر كُلِّف بالتَّدريس في معهد إمام الدَّعوة العِلميِّ بالرِّياض وهو طالبٌ في كُلِّيَّة الشَّريعة، وقد سألتُ الشَّيخ داود العلواني - أحد طلَّابه في المعهد -: كيف استطاع أن يجمع بين الدِّراسة والتَّدريس؟ فقال: «هو عالِمٌ كبيرٌ، أعلى عِلمياً مِن بعض مَنْ يُدَرِّسونَه في الكُلِّيَّة».

١٦ - كان يُلقي دروسه في المعهد والكُلِّيَّة والمسجد عن ظهر قلب.

١٧ - عُرِفَ عنه سرعة بديهته، واستحضاره للجواب الدَّامغ.

عِبادتُه

علماء الأُمَّة الرَّبَّانيُّون يجمعون بين العِلم والعَمَل، وهي سُنَّة توارثها العلماء قرناً بعد قرنٍ، وقد انتظم الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع أولئك الرَّكب، ويتبيَّن هذا بالآتي:

١ - كان محافظاً على إخلاصه مع اللَّه، ويخشى ممَّا يُكَدِّره برياء أو سُمعة، فكان لا يُحِبُّ الظُّهور، أو إبراز أعماله، ولم تكن له أيُّ صورة سوى ما في أوراقه الرَّسميَّة.

٢ - بَدَا للنَّاس علاماتُ إخلاصه للَّه، قال سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشهد باللَّه أنَّ الشَّيخَ مُحمَّد ابنَ قاسم مُوحِّدٌ».

٣ - كان كثير الخشية للَّه، جاعلاً ربَّه نُصْبَ عَيْنَيه.

٤ - كان حريصاً على التَّأسِّي بالنَّبيِّ ﷺ، وصحابتِه، وسَلَفِ هذه الأمَّة، قال عنه المُحدِّث الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشَّيخ الفاضل».

٥ - كان كثير التِّلاوة لكتاب اللَّه تعالى في سَفَرِه وحَضَرِه.

٦ - كان يذهب إلى المسجد لأداء الصَّلاة مُبَكِّراً، فيخرج قبل الأذان بربع ساعة، ومعه مفاتيح المسجد، وهو آخر مَنْ يخرج من المسجد.

٧ - كان كثيرَ العبادة؛ يستيقظ قبل الفجر بساعتين ويُصَلِّي إلى أذان الفجر، ثمَّ يذهب للمسجد لصلاة الفجر، وبعد الصَّلاة يجلس في مُصَلَّاه يقرأ القرآن الكريم إلى ارتفاع الشَّمس، ثمَّ يُصَلِّي ركعتين.

٨ - لا يَدَع قيام اللَّيل ولو في سفَرٍ في ليلةٍ شاتية، وإذا وافقت قيادته للسَّيَّارة ليلاً صَلَّى قيام اللَّيل وهو يقود السَّيَّارة.

٩ - كان ينقطع للعبادة في المسجد الحرام كلَّ عامٍ في شهر رمضان.

١٠ - كان شديد الوَرَع، قال الشَّيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «العالِمُ الوَرِعُ، التَّقِيُّ، الخفيُّ».

١١ - كان يغضب غَضَباً شديداً إذا تَخَلَّف أحد أبنائه عن صلاة الجماعة حتَّى وهم كبار.

أَخلاقُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ مُتَّبِعاً للكتاب والسُّنَّة، سائراً في ذلك على هَدْي السَّلَف، وكان هذا ظاهراً عليه في أخلاقه، وسَمْتِه، ووَقَاره، وسلوكه، ومعاملته مع ربِّه ومع النَّاس؛ ويتبيَّن هذا بما يأتي:

١ - نُصْحُه للمسلمين في معتقدهم وأخلاقهم، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدِّمة كتابه - «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»[1] -: «وأنا أَودُّ أن يكون هذا الكتاب أو مثله في بيت كلِّ مُسلمٍ؛ تكميلاً لمَحبَّتنا، وتَحصيناً لذرِّيَّتِنا».

٢ - كان يُحِبُّ الصَّالحين ولو كانوا من الأبعدين، ويُبغِض العاصين ولو كانوا من الأقربين.

٣ - كان بارّاً بوالِدَيْه، لا يدع زيارتهما، ولمَّا كان في مكَّة كان يُسافِر لزيارتهما ثمَّ يعود، ولمَّا مَرِضَ والده، سافر به إلى الخارج للعلاج، ومَكَثَ معه عِدَّة أشهر.

٤ - كان والده رَحِمَهُ اللَّهُ يُحبُّه كثيراً؛ لمَّا سافر الوالد إلى مكَّة لطبع فتاوى شيخ الإسلام بَعَثَ له والده رسالةً بخَطِّه، فيها: «ونرجو بِرَّكم ودعاءكم لنا بعد الوفاة وفي الحياة، كما هو مبذول لكم».

---

(١) (ص٩٧).

٥ - كان واصلاً لرَحِمِه؛ ولا يتخلَّف عن مناسبة لهم.

٦ - كان كثيرَ الصَّدَقة والبَذْلِ للفقراء والمحتاجين.

٧ - كان زاهداً في الدُّنيا، مُقبِلاً على الآخرة، فلم يكن يوماً طالباً لشُهْرَة أو منصب، قال الشَّيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء -: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ عابداً زاهداً».

٨ - صادقُ الحديث، لا يُعرَف أنَّه كَذَبَ كَذْبة قط.

٩ - عَفُّ اللِّسان؛ لا يُعرَف أنَّه اغتاب أحداً.

١٠ - لا ينشغل بما لا يعنيه؛ لمَّا ضعف سَمْعُه قليلاً آخرَ عمره، عرضت عليه الذَّهاب للمستشفى، فقال لي: «أكثر كلام النَّاس لا حاجة لي بسماعه».

١١ - شديدُ التَّواضع مع النَّاس.

١٢ - اشتُهِرَ بالأمانة.

١٣ - عُرِفَ بالوفاء وردِّ الجميل لأهله.

١٤ - حريصٌ على الكَسْبِ الحلال، بعيد عن المشتبهات فَضْلاً عن المُحَرَّمات.

١٥ - عُرِفَ بالكرم والسَّخاء.

صِفاتُه

كان يَتَحَلَّى بصفات خُلُقيَّة حميدة، ومِنْ ذلك:

١ - حبُّه للعِلْم - طلباً، وقراءةً، وتأليفاً، ودلالة عليه -؛ لمَّا ضعُف بصره قليلاً آخرَ عمره، كان يقرأ ويكتب وعدسة تكبير الحروف بيده اليسرى.

٢ - شديدُ الصَّبر في طَلَبِ العِلم ونَشْرِه - جمعاً وتأليفاً -.

٣ - كان يعكف على القراءة السَّاعات الطِّوال، حدَّثني رَحِمَهُ اللهُ يوماً فقال: «صلَّيتُ العشاء، ثمَّ قرأت في (منهاج السُّنَّة) لشيخ الإسلام، فلم أشعر إلَّا والمؤذِّن يُؤَذِّن الفجر».

٤ - كان حريصاً على وقته في الجمع والتَّصنيف، كتب للمطبعة: «بعض الصَّفحات من هذا الكتاب كمُسَوَّدة، لم يكن عندي وقتٌ أُحسِّن فيه الخَطَّ وأتأنَّى».

٥ - تَعلُوه الهيبة والوَقَار، وعليه سَمْتُ العلماء.

٦ - كان مُتَعَفِّفاً عمَّا في أيدي النَّاس؛ أعطيته يوماً سِواكاً فقال: «لو كان مِنْ أَحدٍ غيرك ما قَبِلتُه».

٧ - دَمِثُ الخُلُق، متأثِّرٌ بأخلاق كبار العلماء.

٨ - كثيرُ الصَّمْتِ، ينتقي في حديثه أطايب القول.

٩ - جميلُ العِشْرة، حَسَن المعاملة؛ لا يُؤذي أحداً بقولٍ أو فعل.

١٠ - واسع الحِلْم؛ لا يُعرَف عنه الغضب.

١١ - كان حَيِيّاً وقوراً، لم أَرَهُ كاشفاً عن رأسه حتى في البيت، ولم أُشاهِد شعر رأسه إلَّا وهو مُحرِم بالحجِّ أو العمرة.

١٢ - كان قليلَ النَّوم، فاغتنَمَ حياته بالعبادة والعِلم.

١٣ - كان يستمع لمَن يُسدِي له نُصْحاً أو إشارةً له بخير؛ كان يصلي آخر اللَّيل مُدَّة ساعة، فقلتُ له: «ساعة قليل»، فرأيته يقوم بعدها ساعتين، وأشرتُ عليه أن يَضَع له وقفاً، فوقف عقاراً للفقراء.

وأمَّا صفاته الخَلْقِيَّة: فكان طويل القامة، متوسِّط البُنْيَة، قمحيَّ اللَّون، على وجهه أثر الجُدَريِّ، لحيته ليست بالكثيفة، شعره أسود وخَطَّ الشَّيْبُ نِصفَه.

مَواهِبُه

وَهَبَه اللَّه مواهب فريدة سَخَّرَها لخدمة الإسلام والمسلمين؛ ومِنْ مواهبه رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ - كان جَهْوَرِيَّ الصَّوت، فصيحاً في القراءة.

٢ - سرعة قراءته للكُتُب، فكان يقرأ الصَّفحاتِ الكثيرةَ في وقتٍ وَجيزٍ.

٣ - يسَّر اللَّه له قراءة المخطوطات المُتعذِّر قراءتها على أربابها المختصِّين، وهذه الموهبة سَهَّلَتْ له إخراج كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة المخطوطة رغم صعوبتها.

٤ - أثناء متابعته لطباعة فتاوى شيخ الإسلام وفتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بالآلات القديمة، كانت تُعرَض عليه الصَّفحة مقلوبةً لمراجعتها، فكان يَقرؤُها بكل سهولةٍ ويُسْرٍ.

٥ - مَنَحَه اللَّه سرعة الكتابة بشكلٍ عجيب، وقد شَهِد له بذلك أقرانه، أمثال: الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين، والشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان، والشَّيخ عبد اللَّه ابن عقيل - رئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - وغيرهم.

وقد رأيتُه رَحِمَهُ اللَّهُ عِدَّة مرَّات يكتبُ ما يتكلَّم به الشَّخص بكلامٍ سريعٍ، ولا يفوتُه منه شيءٌ.

٦ - الجَلَدُ في الكتابة، فقد كَتَبَ بنفسه المجلَّدات الكثيرة، ومن ذلك ما يأتي:

أ - كَتَبَ عن سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم في درسه أكثر من ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) ورقة، في أكثر من ألف (١,٠٠٠) دفتر.

ب - كَتَبَ بيده فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم، وأخرجها في مجموع حافل، بَلَغَ ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً.

ج - كَتَبَ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة البالغة سبعة وثلاثين (٣٧) مجلَّداً.

د - كَتَبَ بيده «المُستدرَك على فتاوى شيخ الإسلام» البالغ خمسة (٥) مجلَّدات أكثر من مرَّة.

هـ - لَخَّصَ جميع كتب ابن القيِّم في عِدَّة مجلَّدات.

٧ - كان ذا فراسة قويَّة لا تكاد تُخطِئ، وله في ذلك مواقف كثيرة.

خطُّ شيخِ الإسلام الَّذي قرأه الوالد وطَبَعَه

حُسْنُ جَمْعِه وتَألِيفِه

امتاز رَحِمَهُ اللَّهُ بتحصيل الفنون المُتَعَدِّدة، ودِقَّة الجَمْعِ، وجَوْدَة التَّأليف، وحُسْنِ التَّرتيب والإعداد والإخراج في المُصَنَّفات، وقد نال ذلك بفَضْلِ اللَّه ثمَّ بما مَنَحَهُ من الذَّكاء، وسَعَة الفَهْم، ويَظهرُ ذلك في الآتي:

١ - جَمْعُه مع والده لـ«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة وثلاثين (٣٥) مجلَّداً، وكانت مُدَّة جَمْعِها وطَبْعِها أربعين (٤٠) عاماً، ومِنْ عَملِ الوالد فيها:

أ - سافر إلى الشَّام والعراق ومصر وباريس لجمع مخطوطات فتاوى شيخ الإسلام.

ب - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عمَّا وَجدَه هناك من مخطوطات لشيخ الإسلام: «وفيها من خَطِّ شيخ الإسلام بيده ما يزيد على ثمان مئة وخمسين صحيفة لم يَسبِق لأحدٍ العثور عليها».

ج - تصفَّح خلال سِتَّة أشهر من رحلته تسع مئة (٩٠٠) مجلَّد من اثني عشر ألف (١٢٠٠٠) مجلَّد مخطوط.

د - شاهَدَ المحدِّثُ الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ الوالدَ في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق وهو في العشرين مِنْ عُمُره يُفَتِّش في مئات المخطوطات والمجلَّدات؛ بحثاً

عن فتاوى لشيخ الإسلام، فعَجِب مِنْ صنيع الوالد، فدَوَّن شهادة بخَطِّه، هذا نَصُّها:

«فبياناً لِمَا رأيتُ بنفسي، أشهد بما يأتي: لقد رأيتُ الشَّيخ الفاضل مُحمَّد بن عبد الرَّحمن ابن قَاسم في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق سنة (**١٣٧٢هـ**)، وهو مُهتمٌّ اهتماماً بالغاً بدراسة مئات المخطوطات - من رسائلَ ومجلَّدات - المحفوظة في المكتبة؛ لاستخراج ما قد يكون فيها من فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه اللَّه تعالى...».

هـ - قال الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفاً مَشَقَّة قراءة مخطوطات شيخ الإسلام، وأمانته في نَسْخِها وإخراجها للنَّاس: «ومَنْ عَثر على بعضها لا يستطيع قراءتها؛ لصعوبة الخَطِّ، أو عدم حفظ المعاني التي يبحثها الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فمن ثمان مئة سنة لم يقرأها، ولم يتحمَّل نَسْخها ومسؤوليتها إلَّا أنا».

٢ - «فهرس مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في مجلَّدين.

وهو فهرسٌ لا نظير له في المُصَنَّفات، يُوحِي بقوَّة عِلمه، وذكائه، وفَهْمِه، ورسوخِه في مختلف العلوم، فلا توجد مسألة أو بحث مقصود أو مستطرد إلَّا ذكره في الفهرس، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما لم يكن موجوداً في هذين المجلَّدين فليس موجوداً في الخمسة والثَّلاثين».

ومثل هذا العمل يَتعسَّر على مجاميع عِلميَّة أن يعملوا مثلَه، وقد تَتَبَّعتُ فهرسته مراراً مُستعيناً بالتقنية الحديثة، فلم أجده فاته منها شيءٌ.

٣ - «المُستدرَك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة (٥) مجلَّدات.

جَمَع فيه جميع أقوال شيخ الإسلام مِنْ كتب طلَّابه وغيرهم، كما أضاف إليه مخطوطات لشيخ الإسلام ليست في «مجموع الفتاوى»، وقد مَكَثَ في جمعه ثلاثة عشر (١٣) عاماً، وقرأ الوالد لجمع هذا الكتاب أكثر من مئة (١٠٠) مجلَّد.

٤ - تصحيح وتكميل وتعليق على كتاب «بيان تلبيس الجهميَّة» لشيخ الإسلام الذي قال عنه ابنُ عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كتابٌ جليلُ القَدْرِ معدومُ النَّظير، كَشَفَ فيه الشَّيخ أسرار الجهميَّة، وهَتَكَ أستارَهم، ولو رَحَلَ طالبُ العِلم لأجل تحصيله إلى الصِّين ما ضاعت رحلتُه»[1].

وهو قطعة مخطوطة حَقَّقَها، وأكمل ما نقص منها من كُتُب شيخ الإسلام المخطوطة والمطبوعة.

٥ - تَبَحُّره في كُتُب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، وقدرته على اختيار العِلم الدَّقيق منها، ويظهر ذلك في الآتي:

أ - كتابه: «آل رسول اللَّه ﷺ وأولياؤه»، وقد انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»، ومَنْ طالَعه رأى فيه العجب.

ب - كتابه: «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»، والذي انتقاه أيضاً من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»،

(١) العقود الدُّرِّيَّة (ص٤٤).

قال في مُقَدِّمتِه[(١)]: «مُفَرَّقٌ في ثنايا (المِنْهَاجِ)، لا يُحْصَلُ عليه كاملاً إلَّا بمُطالعةِ الكتاب كلِّه، وفي ذلك مَشَقَّةٌ، ويحتاج إلى وقتٍ».

٦ - إلمامه بمؤلَّفات ابن القيِّم ﵀، فقد استخرج مِنْ كتبه كتابَ خُطَبٍ سمَّاه: «موضوعات صالحة للخُطَب والوعظ».

٧ - مِنْ حُسْنِ سَبْكِه، وعجيب تصنيفه للكُتُب الثَّلاثة «آل رسول اللَّه ﷺ، وأبو بكر ﵁، وموضوعات صالحة للخُطَب والوعظ»: أنَّ كلَّ جملة فيها انتقاها من موضع، حتى إنَّ القارئ يَظُنُّ أنَّ شيخ الإسلام وابنَ القيِّم ﵏ صَنَّفا هذه الكتب مُفْرَدَة في هذا الموضوع؛ ولا أظنُّ أنَّ أحداً في هذا العصر يصنع مثل ذلك.

٨ - جَمْعُه لـ«فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم ﵀» في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً من تسع جهات مُتَفَرِّقة[(٢)]، وقد مَكَثَ في جمعها ثلاثة عشر (١٣) عاماً.

٩ - فهرسته لـ«فتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم» فهرسة تفصيليَّة بديعة.

---

(١) (ص٩٨).

(٢) وهي: الشُّروح التي كان يُدَوِّنها من دروس سماحة الشَّيخ من عام (١٣٥٧هـ) إلى عام (١٣٨١هـ)، ودار الإفتاء، ورئاسة القضاة سابقاً (وزارة العدل حاليّاً)، والمكتب الخاص لسماحة المفتي، والدِّيوان الملكي، وديوان رئاسة مجلس الوزراء، ومكتبة سماحته، ومن الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة، وممَّا جمعه من أيدي بعض طلَّاب العِلم. فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٥).

شهادة الألبانيِّ للوالد رحمهما الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد، فبيانًا لما رأيت ينبغي أن أشهد بما يأتي:

لقد رأيت الشيخ الفاضل محمد بن عبد الرحمن بن قاسم في المكتبة الظاهرية بدمشق منذ سنة (١٣٧٢) وهو مهتم اهتمامًا بالغًا بدراسة مئات المخطوطات من رسائل ومجلدات المحفوظة في المكتبة، لاستخراج ما فيها من فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ولقد وفقه في ذلك توفيقًا إلى الغاية في الجمع، وقرب بذلك ليسير عند أيدي العلماء والطلاب من فتاوى الشيخ رحمه الله وعامله، فجزاه الله خيرًا.

ولقد كان من ثمرة طبع تلك الفتاوى تحت عنوان «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» في خمس وثلاثين مجلدًا، وفي آخرها مجلدان فهارس يسهل بها على المراجع أن يخرج ما يصبو إليه من الأحاديث والمعاني والأحكام والأخلاق وغيرها من أبواب الشريعة، وذلك من أثر صنيعه. أقول: ولقد كان من ثمرة طبعه توثيق نسبة بعض الكتب والرسائل التي كانت مطبوعة من قبل مثل كتاب: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» وغيرها مما هو مذكور في مقدمة الشيخ لهذا المجموع (ص م – ن)، أثابه الله وزاده توفيقًا في خدمة العلم.

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني

عمان الأردن ٢ ذي القعدة سنة ١٤١٠هـ

تَلامِيذُه

سَخَّر الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ حياته في طلب العِلم والتَّدريس والجمع والتَّأليف، وقد كانت مسيرته في ذلك ما يأتي:

١ - كان يُدَرِّس في معهد إمام الدَّعوة العِلمي بالرِّياض، فدَرَس عليه كبار طلَّاب العِلم، ومِنْ أبرز طلَّابه فيه: سماحة مفتي عام المملكة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه آل الشَّيخ حفظه اللَّه.

٢ - دَرَس عليه كثيرٌ من طلبة العِلم في كُلِّيَّة أصول الدِّين في جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض.

٣ - كان له طلَّاب في درسه في جامع أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمَلَز بالرِّياض، وكنتُ مِنْ ضِمْنِهم، وقد دَرَسْنا عليه كتاب التَّوحيد والواسطيَّة وغيرهما.

مَكانَتُه العِلميَّة

لِمَا امتاز به الوالد رحمه الله مِنْ عِلمٍ رَاسخٍ، ومُصَنَّفات فريدة، وأَعمالٍ جليلةٍ نَفَعَت المسلمين، تبوَّأ مكانةً عِلميَّة؛ ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - كان سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله يُكَلِّفه بالإفتاء في دار الإفتاء بالرِّياض، إضافة إلى ما كَلَّفَه به الملك فيصل رحمه الله من جمع «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ».

٢ - كان سماحة الشَّيخ ابن باز يسأله عن كلامٍ لشيخ الإسلام في الفتاوى.

٣ - طَلَبَ منه الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ صورةً من مخطوط كتاب «الضُّعفاء» للذَّهبيِّ.

٤ - كان العلماء يراسلونه عمَّا يُشكِل عليهم من مسائل عِلميَّة، فوجدتُ رسائل من مشايخ بخَطِّهم؛ أمثال الشَّيخ بكر أبو زيد، والشَّيخ حَمَّاد الأنصاريِّ، والشَّيخ إسماعيل الأنصاريِّ - الباحث في دار الإفتاء - رحمهم الله.

٥ - قال الشَّيخ ابن جبرين رحمه الله: «مُحمَّد ابن قاسم خَيرٌ مِنِّي وأَعلمُ».

٦ - كانت عِلميَّته تفوق الشَّهادات العالميَّة العَالِيَة، فكان يُكَلَّف بمناقشة الرَّسائل العِلميَّة العَالِيَة في الجامعات.

٧ - كان المشايخ يُجِلُّونه ويُوَقِّرونه، فكان سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم يزوره في بيته، وكذا بقيَّة المشايخ؛ أمثال الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رحمهم الله.

علاقتي بالوالد رَحِمَهُ اللَّهُ

كنتُ مِنْ أقرب النَّاس للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، وأحبِّهم إليه، وكان يأنسُ بي كثيراً، ويثق بي؛ ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

١ - كان يُوكِل إليَّ تدبير أمور البيت الماليَّة وأنا في سنِّ العاشرة.

٢ - كان يُكَلِّفني بالذَّهاب إلى المشايخ وغيرهم في كثيرٍ من شؤونه.

٣ - كنتُ الوحيد من أقاربه الذي تتلمذ عليه في المسجد.

٤ - كان فرحاً بالتحاقي بدروس المشايخ، وكان إذا خرج من المسجد بعد شروق الشَّمس لا يصعد إلى مكتبته حتَّى أعود من درس الشَّيخ عبد العزيز ابن باز ويسألني: «ماذا قال الشَّيخ من فوائد؟» وأُخبِرُه بها.

٥ - كان يأنسُ بي كثيراً، وعندما صَدَرَ قرار تعييني قاضياً في «البَدْع» - محافظة في منطقة تبوك - وسافرتُ إليها؛ بَكَى بكاءً شديداً.

٦ - كان ناصحاً مُرشِداً لي، ومِنْ نصائحه لي:

أ - كان يأمرني بقيام اللَّيل وعُمُري اثنا عشر (١٢) عاماً، وكان يَقولُ لي: «بعض أهل العِلم يرى وجوب قيام اللَّيل لحافظ القرآن».

ب - لَمَّا عُيِّنت إماماً وخطيباً للمسجد النَّبويِّ، وعند وداعي له للذَّهاب إلى «المدينة المنوَّرة» قال لي: «إذا صَلَّيتَ بالنَّاس راقب مَنْ هو فوقك - يعني: الرَّبَّ ﷻ -، واتَّبِع الذي على يسارك - يعني: النَّبيَّ ﷺ؛ لأنَّ قَبرَه يسار محراب المسجد النَّبويِّ -»؛ ومراده ﵀: حَثُّه لي على الإخلاص للَّه، واتِّباع النَّبيِّ ﷺ.

٧ - كنتُ إذا وَدَّعتُه وهو في البيت كي أسافر إلى «البَدْع» أو «المدينة المنوَّرة» يُشَيِّعني إلى باب البيت، وإذا غِبْتُ عنه مُدَّةً يفاجئني بقدومه إليَّ، ويقول: «أنا أحسب لك إذا غِبْتَ عنِّي ثلاثة أشهر أزورك».

٨ - أقامني ناظراً ووصيّاً على جميع ما يَخُصُّه منذ أن كان عمري ثمانية عشر (١٨) عاماً، وقد أكَّد ذلك ووَثَّقَه تحريريّاً تسعَ مرَّات، وبيان ذلك:

أ - أقامني ناظراً على جميع أوقافه، ووَثَّق ذلك في صَكٍّ من المحكمة، ونصُّه: «والنَّاظر على هذا الوقف بعد الوصي: ابنه عبد المُحسِن، ثمَّ الصَّالح من الذُّرِّيَّة الذي يُعَيِّنه هو».

وفي صَكٍّ آخرَ نصُّه: «وجَعَل النّظارة على هذا الوقف بعده لابنه عبد المُحسِن».

وكَتَبَ بخَطِّه: «والنَّاظر على هذا الوقف وذاك: ابني الشَّيخ عبد المُحسِن».

ب - أقامني وصيّاً على جميع وصاياه، ووَثَّق ذلك في صَكٍّ من المحكمة، ونصُّه: «والنَّاظر على تنفيذ هذه الوصيَّة: ابني عبد المُحسِن».

وكَتَبَ بخَطِّه آمراً بذلك: «والوكيلُ على الوصايا: ابني عبد المُحسِن؛ مقرّاً به آمراً».

وكَتَبَ بخَطِّه أيضاً: «والوكيل على تنفيذ هذه الوصيَّة ابني عبد المُحسِن».

٩ - آخر حَجَّة حَجَّها طَلَبَ منِّي أن أحجَّ معه، ولمَّا كنَّا في الطَّريق قال: «أريدك أن تَحُجَّ معي كلَّ سنة».

١٠ - قبل موته بعشرة أيام قال لي: «منذ أن مات والدي وأنا أعتمرُ عنه كلَّ عام في رمضان»؛ إشارةً منه لي أن أفعل له مثل ذلك بعد موته؛ فأصبحت أعتمر عنه كلَّ شهر.

١١ - قبل وفاته بثلاثة أيَّام قال: «عبد المُحسِن سواد عيوني، وما ضَيَّقَ صدري في شيء من يوم طَلَعَ على الدُّنيا».

١٢ - قبل وفاته بيومين قال لي: «إذا متُّ فزُرْني».

١٣ - آخر صلاةٍ صَلَّاها صلاة الفجر، وكنتُ إماماً له؛ فقد كنتُ بجانبه قبل الإقامة، ثمَّ قَدَّمني للصَّلاة نيابةً عنه، فقرأتُ فيها سورة الواقعة، ثمَّ توفِّي بعدها بساعات.

وَصيَّة الوالد لي بإخراج كُتُبِه

كما أوصاني الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بجميع ما يَخُصُّه بعد وفاته مشافهة وكتابة، أوصاني أيضاً بإخراج كُتُبِه، وبيان ذلك ما يأتي:

١ - كان يُخبِرني بتفصيل ما يعمله من كُتُبِه، ومراحل عمله فيها.

٢ - أوصاني شفويّاً وتحريريّاً مراراً بتحقيق كُتُبِه وطبعها، وبيان ذلك:

أ - بَيَّنَ في وصيَّتِه لي بخَطِّه مواضعَ كُتُبِه التي شَرَعَ فيها فقال: «شرح التَّوحيد والواسطيَّة في شَنْطة في الدُّكَّان - مستودع كُتُبِه -، وشرح الرَّوض بقيَّته في الصُّندوق الأخضر».

ب - حين زيارتي له في الرِّياض، وبعد خروجي من المسجد بعد صلاة العشاء قال لي: «سأقول لك كلاماً ضَعْهُ في سِرِّك، أخشى أنِّي أموت قريباً، وقد وضعتُ لك مُسَوَّدة كتاب (المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيميَّة)، وهو في خمسة مجلَّدات، في الشَّنْطة، في الدَّالوب الثَّاني على اليسار، لو متُّ اطبعه».

ج - أوصاني بإخراج كتابه «المستدرك على فتاوى ابن تيميَّة»، وكَتَبَ بخَطِّه: «الابنُ عبد المُحسِن حفظه الله:

(المستدرك على فتاوى ابن تيميَّة) في الشَّنْطة، في الدَّالوب الثَّاني على اليسار، إنْ قُدِّر عَلَيَّ بشيءٍ قبل تبييضه، بَيِّضْهُ واطبَعْهُ على حسابي، وحقوقه له - لعبد المُحسِن -، أثابك اللَّه».

د - أوصاني وأَمَرَنِي في الوصيَّة بتحقيق وطَبْع جميع كُتُبِه بعد وفاته، فكتب بخَطِّه: «إن أراد عبد المُحسِن يُحَقِّقها فبعد - أي: بعد وفاته -؛ مُقِرّاً به آمِراً».

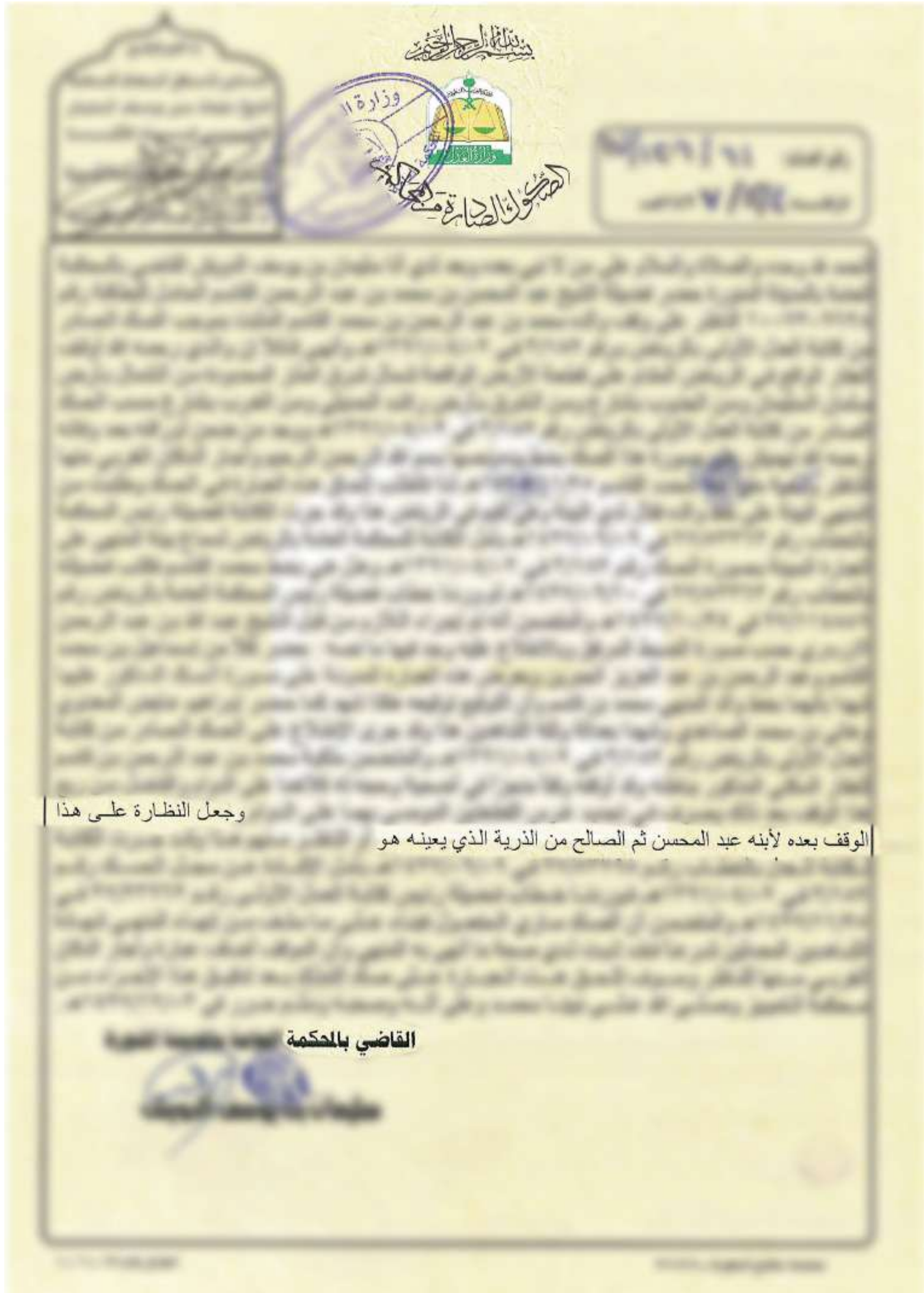
٣ - قبل وفاته بخمسة أيَّام، وَضَعَ في يدي مُسَوَّدة «شرح الرَّوض المُرْبع»، وفتَح على آخرِ صفحةٍ عَمِلَ عليها، وقال: «وصلتُ في العمل إلى هذه الصَّفحة».

٤ - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «دعوتُ اللَّه عند المُلْتَزَم أنْ يرزقني ولداً بارّاً بي ينفعني»؛ ولعلَّ اللَّهَ استجاب دعوته بما أوصاني به من تحقيقِ وطبع كُتُبِه، وبما جعلني ناظراً لأوقافه، ووصيّاً على وصاياه.

٥ - رأيتُ فيه رؤى كثيرة جدّاً، كلُّها تَدُلُّ على سروره بالعمل على تحقيق كُتُبِه وإخراجها.

وَصايَاه لي، وإقامتي ناظراً على أوقافه





بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة العدل

الصكوك الصادرة من المحاكم

وجعل النظارة علـى هذا

الوقف بعده لأبنه عبد المحسن ثم الصالح من الذرية الذي يعينه هو

القاضي بالمحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع ....

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بأني كاتب هذه الأحرف محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

والناظر على هذا الوقف وذاك ابني الشيخ عبد المحسن

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم





وصية

والناظر على تنفيذ هذه الوصية أبني عبد المحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

ص تابعه لملحق الوصية

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

المملكة العربية السعودية

والوكيل على الوصايا ابني عبد المحسن

مقرانه أدناه

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

المملكة العربية السعودية

الرقم ....

التاريخ اثنا عشر ربيع الثاني

التوابع عام سبعة عشر وأربعمائة وألف

بسم الله الرحمن الرحيم

وأشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

وهذا ما أوصى به كاتب هذه الأسطر محمد بن عبد الرحمن

ابن محمد بن قاسم

والوكيل على تنفيذ هذه الوصية ابني عبد المحسن

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم
تابع للوصايا

الرقم
التاريخ ١٥/٦/١٤٢١هـ
التوابع

الكتب شرح التوحيد والواسطية في شنطة في الدكان وشرح الروض
بقيته في الصندوق الأخضر

أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
١٥/٦/١٤٢١هـ كتبه/ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم محمد بن

١٠٠

الابن عبد المحسن حفظه الله

المستدرك على فتاوى

ابن تيمية في الشنطة

في الدالوب الثاني

على اليسار

إن قدر علي شيء فقبل

تبييضه بيضه واطبعه

على حسابي وحقوقه له

لعبد المحسن

رعاك الله

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

الرقم ....
التاريخ ١٥/١٢/١٤١٠هـ
التوابع ....

إن أراد عبد المحسن يحققها فبعد

الأعمال الَّتي قام بها

لِمَا امتاز به الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من العِلم والنُّبوغ؛ قام بعدَّة أعمال، منها:

١ - في عام (١٣٧٤هـ) عُيِّن مُعلِّماً في معهد إمام الدَّعوة العِلميِّ بالرِّياض، وهو طالب في كُلِّيَّة الشَّريعَة.

٢ - في عام (١٣٨٦هـ) كُلِّف بالعمل في مكَّة المكرَّمة لطبع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة» في مطابع الحكومة بمكَّة، بالإضافة إلى التَّدريس في معهد مكَّة العِلميِّ.

٣ - في عام (١٣٩٠هـ) صَدَر أمر الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ بأَنْ يُفرَّغ الوالد لجمع «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ».

٤ - في عام (١٤٠٣هـ)، درَّس في كُلِّيَّة أصول الدِّين بجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض.

٥ - في عام (١٤٠٥هـ) اعتذر عن التَّدريس في الجامعة؛ ليتفرَّغ لإخراج شروحات سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ - في عام (١٤٠٥هـ) أقام دروساً في العقيدة والفقه وغيرهما، في المسجد المُجاوِر لمنزله بالمَلَز بالرِّياض - جامع أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

٧ - كان خطيباً للجمعة تسعة وعشرين (**٢٩**) عاماً، خَلَفاً لوالده من عام (**١٣٩٢هـ**) إلى وفاته عام (١٤٢١هـ)، في جامع أبي الكِباش في طريق العمارية شمال الرِّياض.

٨ - لحِرْصِه على التَّفرُّغ للعِلم، وزهده في المناصب اعتذر عن أعمالٍ كثيرةٍ؛ منها:

أ - عضويَّة هيئة كبار العلماء.

ب - القَضَاء.

ج - إدارة الدَّعوة في الخارج التَّابعة لدار الإفتاء سابقاً.

آثَارُه ومُصنَّفاتُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ مُحِبّاً للعلماء، شديد الحُبِّ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه ابن القيِّم، وسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُمُ اللَّهُ، بارّاً بهم، وَفِيّاً لهم، فقَضَى عُمُره في إخراج عِلْمِهم للمسلمين، ويظهر ذلك فيما يأتي:

١ - «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، جَمَعَها مع والده في خمسة وثلاثين (٣٥) مجلَّداً.

٢ - فهرس «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في مجلَّدين.

٣ - «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة (٥) مجلَّدات.

٤ - «بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بِدَعِهم الكلاميَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ تصحيح وتكميل وتعليق في مجلَّدين.

٥ - «آل رسول اللَّه ﷺ وأولياؤه»، انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٦ - «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»، انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٧ - «موضوعات صالحة للخُطَب والوعظ»، منتقاة من كتب ابن القيِّم.

٨ - «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ»؛ في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً.

٩ - فهرس تفصيلي لـ«فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ».

١٠ - «شرح العقيدة الواسطيَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١١ - «شرح كشف الشُّبهات» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٢ - «شرح ثلاثة الأصول» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٣ - «شرح كتاب التَّوحيد» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ في ثلاثة (٣) مجلَّدات.

١٤ - «شرح الحمويَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ في مجلَّدين.

١٥ - «شرح الأربعين النَّوويَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٦ - «شرح شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٧ - «شرح آداب المشي إلى الصَّلاة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٨ - «شرح الرَّوض المُرْبِع» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ يزيد على عشرين (٢٠) مجلَّداً.

وغيرها من شروح سماحته رَحِمَهُ اللهُ.

وَفاتُه

بعد عُمُرٍ زاخرٍ بالعِلم وخدمة الدِّين، رأى الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاث رؤى تُشير بقُرْبِ أَجَلِه، وفي السَّاعة الثَّامنة صباحاً من يوم الاثنين في السَّابع والعشرين من شهر جُمَادى الآخرة لعام ألف وأربع مئة وواحد وعشرين (٢٧/ ٦/ ١٤٢١هـ) كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يَسِيرُ على قدميه في مدينة الرِّياض، فصدمته سيَّارةٌ مُسْرِعة، وأُصيبَ بإصاباتٍ بَالغةٍ في رأسه وجسده، ثمَّ نُقِل إلى مدينة الملك سعود الطِّبِّيَّة بالرِّياض - المعروفة قديماً بـ«مستشفى الشميسي» - وتوفِّي فيها؛ وهو المستشفى نفسه الذي توفِّي فيه والده رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

ومنذ وقوع الحادث إلى أنْ فارق الحياة وهو يتلفَّظ بالشَّهادة، مع أنَّه فاقدٌ وَعْيَه، وقد فارق الحياة عن ستَّةٍ وسبعين (٧٦) عاماً.

وصُلِّي عليه عصر الثُّلاثاء في الجامع الكبير بالرِّياض، في الثَّامن والعشرين من شهر جُمَادى الآخرة، عام ألف وأربع مئة وواحد وعشرين (٢٨/ ٦/ ١٤٢١هـ)، وقد أَمَّ المصلِّين سماحة مفتي المملكة العربيَّة السُّعوديَّة الشَّيخ عبد العزيز آل الشَّيخ، وحَضَرَ الصَّلاة عليه الأمير سلطان بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلِيُّ العهد -، وسماحة الشَّيخ صالح بن مُحمَّد اللُّحيدان رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس مجلس القضاء الأعلى -، وجَمْع من العلماء والأعيان، وعامَّة النَّاس، وقد حزن الجميع لوفاته؛ لِمَا قَدَّم من خِدمة عظيمة للدِّين.

وقد قال لي الشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّه شَهيدٌ بإذن اللَّه؛ لأنَّ الصَّدْمَ بالسَّيَّارة كالهَدْمِ، والنَّبيُّ ﷺ قال: (وَصَاحِبُ الهَدَمِ شَهِيدٌ)[(١)]».

أسأل اللَّه أنْ يغفر له، وأنْ يجزيَه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأنْ يُسكِنَه الفردوس الأعلى بغير حساب.



(١) رواه النَّسائي، كتاب الجنائز، النَّهي عن البكاء على الميت، رقم (١٨٤٦)، من حديث جابر بن عَتِيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَهَمِّيَّةُ ٱلعَقِيدَةِ ٱلوَاسِطِيَّةِ

من الكتب العظيمة المُصنَّفة في بيان اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة «العقيدة الواسطيَّة»، وتَظهَرُ منزلتُها في الآتي:

١ - إمامة مصنِّفها، ورسوخُ عِلمه؛ فهو شيخ الإسلام والمسلمين، العالم المجتهد الذي نَصَر اللَّهُ به السُّنَّة والدِّين، وأقام به الحُجَّة، وأبان المحجَّة للعالمين.

٢ - عِظم شأن موضوعها، فقد اشتملت على أصول العقيدة.

٣ - أنَّها من أَجَلِّ وأجمعِ وأوضحِ وأخصرِ كتب الاعتقاد، قال الشَّيخ السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَمَعَتْ - على اختصارها ووضوحها - جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصَّحيحة»(١).

٤ - أنَّها مبنيَّةٌ على الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سَلَف الأُمَّة، مع وَفْرَة الأدلَّة وقوَّة الاستدلال، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تحرَّيتُ في هذه العقيدة اتِّباع الكتاب والسُّنَّة»(٢).

٥ - جميع ألفاظها شرعيَّة، بعيدة عن الألفاظ البِدعيَّة أو المُجمَلة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا اعتقاد رسول اللَّه ﷺ، وكلُّ لفظٍ ذكرتُه

---

(١) التَّنبيهات اللَّطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطيَّة (ص١٣).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٦٥).

فأنا أذكر به آيةً أو حديثاً أو إجماعاً سلفيّاً»[١].

٦ - أنَّها خُلاصةُ استقراءِ شيخ الإسلام وفَهْمِه لعقيدة السَّلَف وأقوالِهم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما جمعتُ إلَّا عقيدة السَّلَف الصَّالح جميعهم»[٢].

٧ - أنَّ شيخ الإسلام حَرَّر ألفاظ هذه العقيدة تحريراً بالغاً، فكانت واضحة المعاني، مُحكَمة المباني، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد أمهلتُ مَنْ خالفني في شيءٍ منها ثلاث سنين؛ فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثَّلاثة يُخالِف ما ذكرتُه فأنا أرجع عن ذلك»[٣].

٨ - كلُّ ما فيها أصولٌ وقواعدُ عظيمةٌ في بابها، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إلى غير ذلك ممَّا فيها من القواعد الجليلة»[٤].

٩ - جَمَع فيها شيخ الإسلام بين التَّأصيل لمعتقد أهل السُّنَّة والرَّدِّ على مَنْ خالفهم، فهي في تقرير العقيدة السَّلَفيَّة أصالة، وفي الرَّدِّ على المُنَاوِئين ضِمناً وتَبَعاً، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلُّ مَنْ خالفني في شيءٍ ممَّا كتبتُه فأنا أعلم بمذهبه منه»[٥]، وقال: «ما ذكرتُ فيها فَصْلاً إلَّا وفيه مخالف من المنتسبين إلى القِبلة، وكلُّ جملة فيها خلاف لطائفة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٨٩).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٦٩).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٩٧).
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٧٦).
(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٦٣).

من الطَّوائف»[(١)].

١٠ - أنَّها قُرِئت في مجالسِ مناظرةٍ على القضاة والفقهاء وبحضور المُنَاوِئين، وكان ذلك بأمر سلطان المسلمين في وقته وحضور نائبه، فوقع الاتِّفاق على قَبولِها وتلقِّيها، قال الذَّهبي ﵀: «وَقَع الاتِّفاق على أنَّ هذا معتقَدٌ سَلَفيٌّ جيِّد»[(٢)]، وقال ابن رجب ﵀: «وَقَع الاتِّفاق بعد ذلك على أنَّ هذه عقيدةٌ سُنِّيَّة سَلَفيَّة»[(٣)].

١١ - أنَّها عمدةٌ لطالبِ عقيدة السَّلَف، وقد قَصَد شيخ الإسلام هذا الأمر بتأليفِها؛ حين سأله بعض قضاة واسط[(٤)] أن يكتب له ذلك[(٥)].

١٢ - إقبال أهل العلم على هذه العقيدة واعتناؤهم بها؛ حفظاً وشرحاً ومدارسةً وتحقيقاً، وقد بَلَغَتْ شروحها وتحقيقاتها إحدى وخمسين (٥١) كتاباً، وكان سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم ﵀ يُدَرِّسها طلَّابه باستمرار[(٦)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٦٣).
(٢) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢١٢).
(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥١١).
(٤) واسط: محافظة تقع جنوبَ شرقِ بغداد، تبعد عنها مئة وسبعين (١٧٠) كيلومتراً، بناها الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيُّ عام ثمانية وسبعين (٧٨) هجريّاً. معجم ما استعجم (٤/ ١٣٦٣)، معجم البلدان (٥/ ٣٤٧).
(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٦٤).
(٦) مقدِّمة فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ١٢).

١٣ - لعُمُوم نفعها وما امتازت به؛ حقَّقتُها، وجَعلتُها ضمن سلسلة «**متون طالب العلم**».

١٤ - لأهمِّيَّتها يرويها العلماء بأسانيدهم إلى المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأنا أرويها إلى مُصَنِّفها رَحِمَهُ اللَّهُ من طُرُقٍ متعدِّدةٍ، أعلاها: ما أخبرني به مُحمَّد بن عبد الرحمن آل الشَّيخ إجازة، عن حَمَد بن فارس ابن رُمَيح، عن عبد الرَّحمن بن حسن آل الشَّيخ، عن مُحمَّد بن عبد الوهاب التَّميميِّ، عن عبد اللَّه بن إبراهيم بن سَيف الشَّمَّريِّ، عن مُحمَّد بن عبد الباقي البَعْلِيِّ، عن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد الغَزِّيِّ، عن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد الغَزِّيِّ، عن زكريا بن مُحمَّد الأنصاريِّ، عن عمر بن إبراهيم المقدسيِّ، عن مُحمَّد بن عبد اللَّه المقدسيِّ، عن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

مَزَايَا ٱلشَّـرْحِ

امتاز شرح سماحة الشَّيخ رحمه الله بعدَّة مزايا؛ منها:

١ - أنَّه شرحُ عالِمٍ راسخٍ، وإمامٍ من أئمَّة الدَّعوة، وهو شيخ كِبار مشايخ عصرنا؛ أمثال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله.

٢ - أنَّه أوَّلُ شرحٍ وافٍ مدوَّنٍ لـ«العقيدة الواسطيَّة» مُنذ زمن المُصَنِّف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة رحمه الله.

٣ - أنَّه النُّسخة الوحيدة لشرح سماحته رحمه الله.

٤ - أنَّه مجموعُ شرحِ سماحته لـ«العقيدة الواسطيَّة» ثماني مرَّات.

٥ - أنَّه من أدقِّ الشُّروح وأجودها لـ«العقيدة الواسطيَّة».

٦ - أنَّه مُستَمدٌّ من كتاب اللَّه عز وجل، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال سَلَف الأُمَّة رحمهم الله.

٧ - عناية الشَّارح بتقرير العقيدة الصَّحيحة وترسيخها أصالة؛ مع الحِرْصِ على الرَّدِّ على المخالفين بالتَّبَع.

٨ - أنَّه يشرح كلَّ جملة من جمل المتن شرحاً وافياً، يَقِفُ على كلِّ لفظٍ فيه.

٩ - عناية الشَّارح رحمه الله بألفاظ المتن ومقاصده، وعدم الاستطراد فيما لم يذكره المُصنِّف رحمه الله.

١٠ - جزالة ألفاظه، ودِقَّة عباراته.

١١ - وضوح العبارة، وسهولة فهمها.

١٢ - تأكيد المسائل بأساليب مختلفة؛ لترسخ في ذهن وقلب المُتَلَقِّي.

١٣ - فيه بيان الشَّاهد من الأدلَّة، ووجه الدَّلالة.

١٤ - العناية بالتَّقسيم والتَّفريق، والتَّعليل والتَّفصيل.

١٥ - العناية بالتَّعاريف اللُّغويَّة والشَّرعيَّة.

١٦ - أنَّه مليءٌ بالقواعد العقديَّة الشَّرعيَّة.

١٧ - يذكر الخلاف في المسائل المُهمَّة مع بيان الرَّاجح بالأدلَّة.

١٨ - التَّحقيق والرُّسوخ العِلميُّ.

١٩ - أنَّه جاء وافياً، بعيداً عن التَّطويل المُمِلِّ، وعن التَّقصير المُخِلِّ.

٢٠ - أنَّه كاشفٌ لحسن المتن وجماله ورصانته.

٢١ - يتجلَّى في هذا الشَّرح نَصَاعة الحقِّ وقوَّة حُجَّة أهله، واضمحلال الباطل وضعف شُبَه أتباعه.

٢٢ - أنَّه شرحٌ يُحَقِّق - بإذن اللَّه - إصلاح النَّفس وتزكيتها؛ عِلْماً وعملاً.

٢٣ - أنَّ هذا الشَّرح وأمثاله من شروح سماحته أخرج أئمَّةً في العِلم والدِّين؛ أمثال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مَنهَجِي فِي ٱلتَّحقِيقِ

سِرتُ في تحقيق الشَّرح وَفْق الآتي:

١ - بَيَّض الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ النُّسخ التي كتبها مع سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم اخترمته المَنِيَّة قبل فراغه من تكميل بعضها ببعض، فأعدتُ قراءة جميع النُّسخ التي كتبها الوالد أثناء شرح سماحته ونَسَختُها، وأضفتُ ما فات الوالد منها ممَّا بَيَّضه.

وقد أخذ ذلك جهداً كبيراً وزمناً طويلاً؛ لكتابة الوالد شرح سماحته بخَطٍّ سريعٍ جدّاً، يَصِلُ فيها الحروف بعضها ببعض، فتتعسَّر قراءتها جدّاً.

٢ - كَمَّلْتُ النُّسخ بعضها ببعض، مع مراعاة المعاني فيها، سائراً في ذلك على منهج الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح سماحته لـ«كشف الشُّبهات»، و«آداب المشي إلى الصَّلاة»، وراجعتُ ذلك مرَّات عديدة؛ فخرج شرحاً وافياً كأنَّما حَرَّره سماحته بيده.

٣ - ضبطتُ بالشَّكْل جميعَ الأحاديث والآثار الواردة، وكذا أبيات الشِّعر.

٤ - ضبطتُ بالشَّكْل ما يحتاج إلى ضبط.

٥ - كلُّ فقرة لها معنىً مستقلٌّ جعلتُها مرتبطةً بنَسَقٍ واحدٍ، وإذا تجدَّد المعنى في الشَّرح جعلتُها في فقرةٍ جديدةٍ.

٦ - وَضعتُ علامات التَّرقيم بدِقَّة؛ لِيَسْهُلَ فَهْمُ الكِتاب.

٧ - وضعتُ عناوين جانب الشَّرح؛ ليسهل فَهْمُه وضبطُه، وقد بَلَغَتْ ستَّ مئة وخمسين (٦٥٠) عنواناً.

٨ - أثبتُّ تعليقات الوالد رَحِمَهُ اللهُ في الهامش، وصَدَّرتُها بلفظ: «قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ»، وعَزَوْتُ ما يحتاج منها إلى عَزْوٍ.

٩ - علَّقتُ في الهامش على ما يحتاج إلى بيانٍ وإيضاحٍ.

١٠ - خرَّجتُ الأحاديث الواردة في المتن والشَّرح من مصادرها؛ فإن كان الحديث في الصَّحيحَيْن أو أحدهما اكتفيتُ بذلك، وإن كان في غيرهما ذكرتُ مَنْ رواه من كتب السُّنَّة.

وقد أنقل نصَّ الحديث في الحاشية عند الحاجة لذلك، وإذا تكرَّر الحديث أُشير إلى موضع تخريجه السَّابق.

١١ - وثَّقتُ الآثار والأقوال والأبيات الشِّعريَّة من مصادرها عند أوَّل ورودها.

١٢ - بيَّنتُ معاني الكلمات الغريبة عند أوَّل ورودها، معتمداً على معاجم اللُّغة وكتب الشُّروح.

١٣ - تَرْجَمْتُ الأعلام الوارد ذِكْرُهم عند أوَّل ورودها.

١٤ - عرَّفتُ بالطَّوائف والفِرَق الوارد ذكرها عند أوَّل ورودها.

١٥ - بيَّنتُ مواضع البلدان والأمكنة عند أوَّل ورودها، وربطتُها بمَعْلَمٍ معروف.

١٦ - كلُّ موضع سابق أحال إليه سماحة الشَّيخ أو الوالد، أو أشارا إليه في اللَّاحق؛ بَيَّنتُ موضعه.

١٧ - اعتمدتُ المتن الذي أثبته الوالد بقراءته على سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وصَحَّحتُ منه ما يحتاج إلى تصحيحٍ من متن «العقيدة الواسطيَّة» بتحقيقنا ضمن سلسلة «**متون طالب العلم**».

١٨ - ضبطتُ بالشكل نَصَّ المتن، ملتزماً بذلك القواعد النَّحْويَّة والصَّرْفيَّة.

١٩ - وضعتُ متن «العقيدة الواسطيَّة» أعلى الصَّفحة مفصولاً عن الشَّرح، ثم جعلتُه مُدمَجاً مع الشَّرح ومَيَّزتُه بلون أحمر، وإذا تكرَّر شرحه مَيَّزتُه بلونٍ أسودَ ثقيل، وغيَّرتُ علاماتِ إعرابه بما يتوافق مع الشَّرح.

٢٠ - وضعتُ فهرساً تفصيليّاً للكتاب.



نَمَاذِجُ مِنَ المَخْطُوطَاتِ

[illegible]

لا مزية لأن هذه تخالف العلم والسعة والإرادة
على قسمين: شرعية دينية، وكونية قدرية
وبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في
صفات من أطاع كالطائع، وتنفرد الكونية في المعصية؟
في معاصي العاصي وكفر الكافر، تنفرد الشرعية
مستوفية قدرية ... يحببكم الله
وذلك لأن الله قال ... اتباع الرسول
وثمرة محبة الرسول ... محبة الرسول
... عقيدته ... محبة الله ورسوله
أعلى درجات الإيمان والحافز له
ثانيًا: محبة ... من الوجود إنما تنشأ عن
مسببة إما عن محبة لوده أو محبة
منفعة والخوف ... وغيره مما يشابه
المحبة ... محبة العبادة محبة عبادة
وتعظيم وخضوع وجلال ... تعظيم

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

شرح

العقيدة الواسطية

من تقريرات

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله

(١٣١١ - ١٣٨٩ هـ)

مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ . . . .

مَشْرُوعيَّة الابتداء بالبَسْمَلَة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ابتدأ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بالبَسْمَلَة:

- اقتداءً بالكتاب العزيز - وهو القرآن -.

- وتأسِّياً بالنَّبيِّ ﷺ في مُكاتَباتِه ومُراسَلاتِه[١].

- وعملاً بحديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَهُوَ أَقْطَعُ»[٢]، وفي رِوايةٍ: «أَجْذَمُ»[٣]، وفي رِوايةٍ: «أَبْتَرُ»[٤]، والمعنى: نَاقِصُ البركة[٥].

معنى الحَمْد

(الحَمْدُ لِلَّهِ) (الحَمْدُ) قال المُصنِّف: «هو: ذِكْرُ مَحَاسِنِ المَحمُود، مع حُبِّه وتَعْظيمِه وإِجْلَالِه»[٦]، وقال معناه أيضاً

---

(١) من ذلك: كتاب رسول اللَّه ﷺ إلى هِرَقْل، كما في حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ...» رواه البخاري، رقم (٦٢٦٠)، ومسلم، رقم (١٧٧٣).

(٢) رواه الخطيب البغداديُّ في الجامع (٢/ ٦٩)، رقم (١٢١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواها أبو داود، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، رقم (٤٨٤٠)، ولفظه: «كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالحَمْدُ لِلَّهِ؛ فَهُوَ أَجْذَمُ».

(٤) رواها أحمد في المسند، رقم (٨٧١٢)، ولفظه: «كُلُّ كَلَامٍ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ؛ فَهُوَ أَبْتَرُ - أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ -».

(٥) الأذكار للنووي (١١٢)، فتح القريب المُجيب للفيوميِّ (١/ ١٢٦).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٢٥٩)، (١٠/ ٢٥٢).

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، . . . .

ابن القَيِّم[١].

وذِكْر الحَمْد بعد البَسْمَلَة؛ لأنَّ الابتداء بالبَسْمَلَة حقيقيٌّ، وبالحَمْدَلَة نِسبيٌّ إضافيٌّ[٢].

(الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ) مُحمَّداً ﷺ، **(بِالهُدَى)** هو: العلم النَّافع، **(وَدِينِ الحَقِّ)** هو: العَمَل الصَّالح.

ظهور دين الإسلام على سائر الأديان

(لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) لِيُعليَه ويَنصرَه على سائر الأديان، من اليهوديَّة والنَّصرانيَّة والوثنيَّة، وغير ذلك.

فلَمَّا بعث اللَّه نبيَّه ﷺ وأَرْسَله بالهُدَى ودين الحقِّ وكان له أعداء أَظهرَه عليهم وأتمَّه؛ فإنَّ هذه النِّعمَة - وهي نعمة الدِّين - لا تَتمُّ إلَّا بما يَحمِيها ويَحوطُها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾، وكما قال تعالى:

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٥٣٦).
وابن القَيِّم هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب الزُّرعيُّ الأصل، ثمَّ الدِّمشقيُّ، الحَنبليُّ، ابنُ قيِّم الجوزيَّة، ولد سنة (٦٩١هـ)، تفقَّه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأخذ عنه، له في كلِّ فنٍّ من الفنون اليد الطُّولَى، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٧٥١هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠)، المقصد الأرشد (٢/ ٣٨٤).

(٢) أي: بالنِّسبة إلى ما بعد الحَمْد يكون مبدوءاً به. فتح المجيد (ص٦).

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِقْرَاراً بِهِ وَتَوْحِيداً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ . .

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾، وغير ذلك من الآيات.

(وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً) على أنَّك نَبيٌّ، وسَيَنْصُرك ويُظهِر دِينك.

معنى شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه

(وَأَشْهَدُ) يعني: أُخبِرُ عن اعتقادٍ وعِلْمٍ وعملٍ: (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي: أنَّه لا مَعبُود حقٌّ إلَّا اللَّه، فالإلهيَّة بحقٍّ للَّه وحده، وكلُّ ما عُبِد من دون اللَّه فهو مَعبُود بالباطل والضَّلال، أعطوها شيئاً لا تستحقُّه، وظَلَمُوا أكبرَ الظُّلم، فإنَّ العبادةَ بحقٍّ للَّه ربِّ العالمين.

(وَحْدَهُ) تأكيد للإثبات، (لَا شَرِيكَ لَهُ) تأكيد للنَّفي.

هذا تأكيد بعد تأكيد؛ اهتماماً بمقام التَّوحيد.

(إِقْرَاراً بِهِ وَتَوْحِيداً) مُقِرّاً به، مُوَحِّداً.

العُبوديَّة أخصُّ وَصْفٍ للنَّبيِّ ﷺ

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ) هذه العُبوديَّة في حقِّ المُصطَفى ﷺ هي عُبوديَّة التَّشريف والتَّكريم، وهذا أخصُّ وَصفِه ﷺ، فإنَّه ﷺ خُيِّر بين أن يكون مَلِكاً نَبيّاً، وبين أنْ يكون عَبْداً رسولاً، فاختار أن يكون عَبْداً رسولاً[١]، وله ﷺ من هذه العُبوديَّة أكملها وأعلاها.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٧١٦٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: =

وَرَسُولُهُ، . . . .

أنواع العُبوديَّة

فإنَّ العبوديَّة عُبوديَّتان: خاصَّة، وعامَّة.

- عُبوديَّة تابعة للرُّبوبيَّة: وهي التي داخلٌ فيها جميع الخَلْقِ؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾.

- وعُبوديَّة تابعة للأُلوهيَّة والعبادة: وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ الآية.

ذُكِر النَّبيُّ ﷺ بالعبوديَّة في أشرف مقاماته

وقد ذُكِر ﷺ بالعُبوديَّة في أشرف مقاماته:

كما في آية الإسراء: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾.

وقال في مقام الإنزال عليه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾.

وقال في مقام التَّحدِّي: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾.

فائدة الجَمْع بين العُبوديَّة والرِّسالة

(وَرَسُولُهُ) الجمع له ﷺ بين العُبوديَّة والرِّسالة فيه:

- الرَّدُّ على أهل الإفراط الذين غَلَوْا فيه حتَّى جوَّزوا

= «جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا المَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، أَفَمَلِكاً نَبِيّاً يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْداً رَسُولاً؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: بَلْ عَبْداً رَسُولاً».

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. . . . .

الاستغاثة به في كلِّ ما يستغاث باللَّه فيه، فهؤلاء في الحقيقة ما جعلوه عبداً؛ بل اتَّخذوه معبوداً، ورفعوه فوق منزلته.

- وعلى أهل التَّفريط بتَرْكِ مُتابعَتِه، والرِّضا عن سُنَّته بالأوضاع والقوانين الباطلة، فهم ما شَهِدوا في الحقيقة أنَّه رسول اللَّه؛ بل شهادتهم ناقصة على حسب ما كان معهم من تلك الأمور.

معنى الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ) معنى الصَّلاة عليه: «ثَناؤُه على عَبْدِه في المَلَأ الأعلى» كما حكاه البُخاريُّ[1] - نسأل اللَّه أنْ يثنيَ على نبيِّه في المَلَأ الأعلى -.

مَنْ هم آل النَّبيِّ ﷺ؟

(وَعَلَى آلِهِ) (آلُهُ) قيل: إنَّهم أَتباعُه على دِينِه.

وقيل: هم بَنُو هاشم الذين تَحْرُم عليهم الزَّكاة.

وقيل: إنَّهم أَزواجُه وذرِّيَّتُه، وهذا أَرجحُ الأقوال، كما أنَّ

(١) في صحيحه (٦/ ١٢٠)، عن أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ، ولفظه: «صلاةُ اللَّه: ثَناؤُه عليه عند الملائكة، وصَلاةُ الملائكة: الدُّعاء».
والبخاريُّ هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجُعْفِيُّ مولاهم، البخاريُّ، ولد سنة (١٩٤هـ)، شيخ الإسلام، وسيِّد الحُفَّاظ، صاحب الصَّحيح والتَّصانيف، كان رأساً في الذَّكاء والعِلم والوَرَع والعبادة، قال ابنُ خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما تحت أدِيم السَّمَاء أعلم بالحديث من البخاريِّ»، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٥٦هـ). وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨)، تذكرة الحُفَّاظ للذَّهبيِّ (٢/ ١٠٤).

وَأَصْحَابِهِ. . . . .

الذي يليه[١] هم: مَنْ تَحْرم عليهم الزَّكاة[٢].

تعريف الصَّحابيِّ

(وَأَصْحَابِهِ) أَصْحَاب: جَمْع صاحب، والصَّحابيُّ: مَنِ اجتمعَ بالنَّبيِّ ﷺ ولو لحظة، وآمَنَ به[٣].

فائدة الجَمْعِ بين الآل والصَّحْب

وجَمَع بين الآل والصَّحْب:

- للرَّدِّ على الرَّوَافِض[٤]؛ مِنْ قوله: **(وَأَصْحَابِهِ)**.

- وعلى النَّواصب[٥]؛ مِنْ قوله: **(وَعَلَى آلِهِ)**؛ إذا عُنِي بهم أهل بيته[٦].

---

(١) أي: في الرُّجحان.

(٢) ذَكر هذه الأقوال وفَصَّل فيها ابنُ القيِّم رحمه الله في جلاء الأفهام (ص٢١٠-٢٢٨).

(٣) الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ١٥٨)، المنهاج القويم شرح المقدِّمة الحضرميَّة (ص١٠).

(٤) الرَّافضة: طائفةٌ زَعَمَتْ أنَّ عليّاً هو الأحقُّ بالخِلَافَة ممَّنْ قبلَه، وغَلَا فيه بَعضُهُم وادَّعَوْا فيه الأُلوهيَّة؛ ومِنْ مُعتقداتِهِم: الإمامة، والبراءة من الخلفاء الثَّلاثة، وعصمة أئمَّتهم من الخطأ، والتَّقيَّة، وليس في الطَّوائف المُنتسِبَة إلى القِبْلَة أعظم افتراء للكذب على اللَّه وتكذيباً بالحقِّ منهم. مقالات الإسلاميين (ص٥)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ٢٠، ٢٧، ٣٨، ٣٠٦، ٤٨٦)، (٢/ ٣٤)، (٤/ ٣٤٥).

(٥) النَّواصب: لقبٌ يُطلَق على الخَوَارِج وغيرهم؛ لمُبالَغَتِهم في نَصْبِ العِدَاء لعَلِيٍّ رضي الله عنه، ويُطلِقُه الرَّافِضَة على أهل السُّنَّة زُوراً وبُهْتاناً. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٥٤)، (٤/ ٤٦٨)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٣٨٦)، فِرَق معاصرة (١/ ١١٤، ٢٣١)، موسوعة الفِرَق المنتسبة للإسلام (١/ ١٥١)، (٤/ ٣٣٩).

(٦) قال الوالد رحمه الله: «ويأتي ذِكْر مُعتَقَد الرَّوَافِض، والنَّواصِب والخَوَارِج، والرَّدُّ عليهم» (ص٤٦٥).

وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

(وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً) أي: سلاماً زائداً كثيراً.

و«صلَّى اللَّه عليه وسلم» لفظُه لفظُ الخبر، والمراد: الدُّعاء.

وجَمَع بين الصَّلاة والسَّلام عليه، كما جَمَع اللَّه بينهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا اعْتِقَادُ . . . .

معنى «أمَّا بعد» وأوَّلُ مَنْ قالها

(أَمَّا بَعْدُ) هذه الكلمة يؤتى بها عند الانتقال من أُسلوبٍ إلى أُسلوبٍ.

والمعنى: أمَّا بَعْدَ ما تقدَّمَ مِنْ حَمْدِ اللَّه والثَّناء عليه والصَّلاة على رَسولِه ﷺ.

وأَقربُ الأقوال فيمَنْ قال هذه الكلمة أوَّلاً: داود عليه السلام[1].

وقيل: إنَّها فَصْل الخِطَاب الذي أُعطيَه[2]، والصَّحيح: خِلَافه، وأنَّ فَصْلَ الخِطَاب الذي أُعطيَه عليه السلام هو: الفَصْل بين الحقِّ والباطل[3].

(فَهَذَا) الإشارة إلى ما في هذه العقيدة الجليلة.

معنى الاعتقاد

(اعْتِقَادُ) الاعتقاد: مصدر اعتقد، والاعتقاد من العَقد، مأخوذ من عقد الأصابع على ما تُشَدُّ عليه؛ وهو: يُطلَق على التَّصديق مُطلقاً، وعلى ما يُعتَقد من الأمور الدِّينيَّة ممَّا يُشَدُّ عليه ويُعتَقد، وتَعيه وتُمْسِكه القلوب.

وسُمِّي الاعتقاد اعتقاداً؛ لأنَّ القُلوبَ تَعقِد عليه وتَدين به وتَلزَمه.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٠٤).

(٢) تفسير الطَّبريِّ (٢٠/ ٥٠).

(٣) تفسير الطَّبريِّ (٢٠/ ٥٢).

الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ . . . .

واعتقاد الشَّيء: قبل عَمَلِه، والغالب أنَّ مَن اعتقد بقلبه عَمِلَه.

الفِرْقَة النَّاجية هم أهل السُّنَّة والجماعة

(الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ) عند هلاك الفِرَق والأمم، فإنَّه لا يَنْجُو منها إلَّا هذه الفِرْقَة؛ كما أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ أمَّته «سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ»[١]، وفي رواية: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[٢].

حكم تعيين الثَّلاث والسَّبعين فِرْقَة

وبعض أهل العلم ذكر الثَّلاث والسَّبعين فرْقَة باجتهاده[٣]، لكن هذا من الإخبار بالغيب، وإنْ كان الكلُّ مُبتدِعَة لا شكَّ، لكن التَّعيين ما فيه نصٌّ، وإنْ كانت أصول هذه البدع ترجع إلى الخمس التي وُجِدت في زمن السَّلَف: الجَهْمِيَّة[٤]، والمُرْجِئة[٥]،

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (١٦٩٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواها الطَّبرانيُّ في المعجم الأوسط (٨/ ٢٢)، رقم (٧٨٤٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) كالسَّفَّارينيِّ في لوامع الأنوار البهيَّة (١/ ٧٤-٩٢).

(٤) هم: أتباع جَهْم بن صفوان، وهم من الجَبريَّة الخَالِصَة، مِنْ مُعتقداتِهِم: نفيُ صفات اللَّه ﷻ الأَزَليَّة ككونه سبحانه حيّاً عالِماً، وأنَّ الإيمانَ هو المعرفة باللَّه تعالى فقط، فمَنْ جحدَ بلِسانِه لا يَكفُر، وأنَّ الإيمانَ لا يَتبعَّض، ولا يَتفاضَل أهلُه فيه، فإيمانُ الأنبياء وإيمانُ الأُمَّة كلِّها سواء، وقد اتَّفقت الأُمَّة على تكفيرهم. الفَرْق بين الفِرَق (ص١٩٩)، المِلَل والنِّحَل (١/ ٨٦-٨٧).

(٥) هم: فِرْقَةٌ يقولون بإخراجِ العملِ عن مُسمَّى الإيمان، وأشهرُ أقوالِهم: أنَّ الإيمانَ هو التَّصديقُ فقط دون العَمل، ومنهم مَنْ يَقولُ: إنَّه القولُ باللِّسانِ وحدَه، ومنهم مَنْ يقول: هو المَعرِفةُ بالقلب فقط، ومنهم مَنْ يقول: إنَّه يكونُ بالقلبِ واللِّسانِ فقط - وهم مُرْجِئَة الفُقَهَاء -، ومِنْ مُعتقداتِهِم: أنَّه لا تَضرُّ مع الإيمان معصية، =

المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ . . . .

والخَوَارِجِ[(١)]، والرَّافِضَة، والقَدَرِيَّة[(٢)].

كثرة الافتراق في هذه الأُمَّة لا يدلُّ على أنَّها أشرُّ الأُمَم

وهذا الحديث لا يدلُّ على أنَّ هذه الأُمَّة أَشرُّ من غيرها من الأُمم - كالنَّصارى واليهود -؛ بل فيه بيان أنَّ ما يوجد من الافتراق في تلك الأُمم يوجد في هذه الأُمَّة مثله في الافتراق وأكثر.

موضوع الكتاب: بيانُ اعتقاد الفِرْقَة النَّاجية

(فَهَذَا) المذكور في هذا الكتاب، هو **(اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ)** الواحدة **(النَّاجِيَةِ)** من بين الفِرَق كلِّها.

(المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ) كما جاء في الحديث: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[(٣)].

= كما لا تَنْفَعُ مع الكفر طاعة؛ لكون الإيمان عندهم لا يَزيدُ ولا يَنقصُ. المِلَل والنِّحَل (١/ ١٣٩-١٤٦)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ١٤١، ٢٠٤، ٣٨٦، ٣٩٣)، فرق معاصرة (٣/ ١٠٨٥-١٠٩٠).

(١) هم: أوَّل فِرْقَةٍ خَرَجَت في الإسلام، خَرَجَت على عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه سنة (٣٧هـ)، وكفَّرُوه وبعضَ الصَّحابة، فقَاتَلَهم رضي الله عنه، مِنْ مُعتقداتِهم: تكفير صاحب الكبيرة، وقد جاءت أحاديث بمُرُوقِهم من الإسلام. المِلَل والنِّحَل (١/ ١١٤)، البداية والنِّهاية (١٠/ ٥٥٩).

(٢) هم: فِرْقَة أَنْكَرَت القَدَر، وغُلَاتُهم زَعَمُوا أنَّ الأَمْرَ أُنُف - أي: أنَّ اللَّه لا يَعْلَم بالأمر إلَّا إذا وَقَعَ -، وجمهورهم يُنكِرُون عموم خَلْقِه ومشيئته وقُدْرَته، وأوَّل مَنْ تَكلَّم بالقَدَر: مَعْبَد الجُهَنِيُّ، ظَهَر في زمن المُتأخِّرين من الصَّحابة وتَبَرَّؤُوا منه. الفَرْق بين الفِرَق (ص١٤)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٤٢٩، ٤٥٠)، درء تعارض العقل والنَّقل (٨/ ٤٢١).

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب المناقب، رقم (٣٦٤١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب =

- أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ -: وَهُوَ: الإِيـمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

سبب تسمية أهل السُّنَّة بذلك

(أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) هذا من ألقاب أهل الحقِّ وليس من ألقاب أهل الطُّرُق؛ لَمَّا كانوا يُؤثِرون السُّنَّة على غيرها من الطُّرُق[١].

اعتقاد الفِرْقَة النَّاجية

فهذه هي الفِرْقَة النَّاجِيَة المذكورة في هذا الكتاب، (وَ) اعتقادها: (هُوَ: الإِيـمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) كما في حديث جبريل[٢].

= قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه.

ورواه ابن حِبَّان في صحيحه، كتاب التَّاريخ، ذِكْر البيان بأنَّ حدوث وقع السَّيف في هذه الأُمَّة بين المسلمين يبقى إلى قيام السَّاعة، رقم (٦٧١٤)، من حديث ثوبان رضي الله عنه، وفيه: «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ».

(١) قال الوالد رحمه الله: «يأتي سبب استحقاقهم لهذا اللَّقب في آخر العقيدة، عند قوله: (وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُّوا: (أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، وَسُمُّوا: (أَهْلَ الجَمَاعَةِ)؛ لِأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الِاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ)».

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النَّبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلام، رقم (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله، رقم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه أيضاً مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقَدَر وعلامة السَّاعة، رقم (٨)، من حديث عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه.

. . . .

منهج المُصنِّف فيما أطال فيه وما ذكره إشارة

وكلُّ ما يأتيك؛ بيان وإيضاح لهذه الأصول السِّتَّة، فمنها ما بَسَطَ وأطال عليه الكلام، ومنها دون ذلك؛ فالذي تُكلِّم فيه ووقع فيه النِّزاع بين أهل السُّنَّة والمبتدعة أطال فيه، وعَقَد له فصولاً، والذي لم يُنازِعوا فيه ذَكَر فيه كالإشارة.

بيان معنى الأصول السِّتَّة إجمالاً

(الإِيمَانُ بِاللَّهِ) يعني: وبما وصف به نفسَه في كتابه.

(وَمَلَائِكَتِهِ) الكرام، بوجودهم وعددهم، إجمالاً في الإجماليِّ، وتفصيلاً في التَّفصيليِّ.

معنى إجمالاً: أنَّك تؤمن بهم جميعاً - جميع ما جاء عن اللَّه فيهم -، والتَّفصيل: إذا بلَغَك تفصيلاً تَسميتُه.

(وَكُتُبِهِ) وكذلك الإيمان بكتبه.

(وَرُسُلِهِ) وكذلك الإيمان برُسُلِه إجمالاً في الإجماليِّ، وتفصيلاً في التَّفصيليِّ - فالرُّسُل الذين جاء تَسميتُهُم نُؤمِنُ بهم تفصيلاً -.

(وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ) وكذلك تؤمن الفِرْقَة النَّاجِيَة - أهل السُّنَّة والجماعة - بالبعث بعد الموت.

وحقيقة الإيمان بالبعث: أنْ يُؤمِنَ الإنسان ويُقِرَّ أنَّ هذه الأَجسام تُعاد كما كانت، ليست أجساماً ثانية تُخلَق؛ بل تُرَدُّ

. . . .

إليها أرواحُها، وتُنعَّم أو تُعذَّب.

سبب اختيار المُصنِّف لفظة: «وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ»

وذكر المُصنِّف هذا اللَّفظ بدل: «واليوم الآخر»؛ لأنَّ المُنكِرين لليوم الآخر لا يُنكِرون قدرة اللَّه على خلق الأجسام وإنزال المطر - فإنَّهم يُشاهِدون حدوث المطر وغيره بعد أن لم يكن -، لكن هم ينكِرون ويستبعدون بعث هذه الأجساد بعد فنائها، وإعادة أجزاء هذا البَدَن بعد بَلائِه وتفرُّقِ أوصاله وأجزائه في الأرض؛ ولهذا قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾.

وقرَّر تعالى هذا الأصل بكمال عِلْمِه وكمال قُدْرَتِه[١]؛ ولهذا كان المَعاد معلوماً بالعقل والشَّرع.

(وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) وهذا هو السَّادس من أركان الإيمان السِّتَّة.

سبب تصنيف أهل السُنَّة المُصنَّفات في العقائد

فهذه أصول الإيمان السِّتَّة التي عليها مبنى الإيمان، ويأتي تفصيلُها فيما بعد، فإنَّ المبتدعة صاروا شَجَاً[٢] في حلوق أهل السُّنَّة وأهلِ الحقِّ، وصنَّفوا وبدَّعوا وحَبَسوا، فلذلك صنَّف أهل

(١) كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

(٢) الشَّجَا: ما يَنشَب في الحَلْقِ مِنْ عظم وغيرِه. الصِّحاح (٦/ ٢٣٨٩).
والمراد: أنَّهم أعلَنُوا الأذيَّة لأهل السُّنَّة.

. . . .

السُّنَّة في العقائد المُصنَّفات، وبيَّنوا خطأ وضلال أهل البِدَع.

مراتب الدِّين

والدِّين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان؛ فكلُّ خَصْلَةٍ من خِصَال الإسلام داخلة في مُسمَّى الإيمان، وكلُّ خَصْلَةٍ من خِصَال الإيمان داخلة في مُسمَّى الإسلام، ولكن إذا اقترنا فُسِّر الإسلام بالأعمال الظَّاهرة؛ لأنَّها أغلب عليه، وفُسِّر الإيمان بالأعمال الباطنة؛ لأنَّه أصدق في القلوب، وذلك أنَّه مُشتقٌّ من الأمن والائتمان على الأمور الباطنة الخَفيَّة، فإنَّ المُصدِّق أَمِن المُخْبِر، وأصله التَّصديق، وفي الشَّرع: تصديق خاصٌّ - كما يأتي[1] -.

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «في فَصْلٍ خاصٍّ» (ص٤١٤).

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، . . . .

من الإيمان بالله: الإيمان بصفاته

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ) هذا هو الأصل الأوَّل مِنْ أصول الإيمان السِّتَّة، وبدأ به المُصنِّف رحمه الله لكونه أعظمها.

ولم يَقُل: «وَالإِيمَانُ بِاللَّهِ»؛ بل قال: **(وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ)**؛ لكون الإيمان بالله أقساماً:

الأوَّل: الإيمان بوجوده ورُبوبيَّته.

والثَّاني: الإيمان بوحدانيَّته في الأُلوهيَّة - إفراده بالوحدانيَّة -.

والثَّالث: الإيمان بأسمائه وصفاته.

قاعدة أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصِّفات

(الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ) يُقتصَر عليه، ولا يُزاد فيه ولا يُنقَص، لا يُردُّ شيءٌ مِنْ لَفظِه ولا معناه، وهذا سماعٌ مَحضٌ لا مجال فيه للرَّأي، قال الإمام أحمد رحمه الله[1]: «لا يُوصَف اللَّه سبحانه إلَّا بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ في السُّنَّة، لا يُتجاوز القرآن والحديث»[2].

وهذا الذي قاله الإمام أحمد رحمه الله هو الذي عليه جميع الأئمَّة

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه أحمد بن مُحمَّد بن حنبل الشَّيبانيُّ المَرْوَزِيُّ البغداديُّ، ولد سنة (١٦٤هـ)، مُحدِّث، فقيه، زاهد، ورع، إمام أهل السُّنَّة والجماعة، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، توفي رحمه الله سنة (٢٤١هـ). طبقات الحنابلة (١/ ٤)، سير أعلام النُّبلاء (١١/ ١٧٧).

(٢) الإبانة الكبرى (٧/ ٣٢٦).

=

مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ . . . .

من أهل السُّنَّة، فيُقتصَر على ما وصف به نفسه، ويُثبَت، ويُؤْمَن به، ويُعتَقدُ على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته.

معنى التَّحريف وأنواعه

(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ) التَّحريف هو: التَّصريف[(١)]، مِنْ قولك: «حَرَفْتُ الدَّابَّة وصَرَفْتُها».

يعني: من غير تصريف عن المراد به، إنَّما ذلك لأهل البدع.

وتحريف النُّصوص: تارة يكون للَّفظ والمعنى جميعاً، وتارة للمعنى وحده، وتارة للَّفظ وحده.

- فمِنْ تحريفهما جميعاً: قول اليهود: «حِنْطَة» بدل ﴿حِطَّةٌ﴾[(٢)]، وقول جَهْم[(٣)]: «اسْتَوْلَى»؛ فإنَّه قال: «لو اسْتَطَعتُ أن أَحُكَّ من المُصْحَف ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ لَحَكَكْتُهَا»[(٤)].

= قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ردَّ هذه العبارة ثلاثُ طوائف: أهل التَّخْيِيل، وأهل التَّأويل، وأهل التَّجْهِيل» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣١).

(١) القاموس المحيط (ص٧٩٩).

(٢) لمَّا قيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال: «دَخَلُوا زَحْفاً، ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ قَالَ: بَدَّلُوا فَقَالُوا: حِنْطَةٌ فِي شَعَرَةٍ» رواه أحمد في المسند، رقم (٨١١٠).

(٣) هو: أبو مُحْرِزٍ الجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ الرَّاسبيُّ مولاهم، السَّمرقنديُّ، تُنسَب إليه فرقة الجهميَّة، أقام ببلخ، وكان يُصلِّي مع مقاتل بن سليمان في مسجده، ويتناظران حتى نُفِي إلى تِرْمذ، مبتدعٌ ورأسٌ في الشَّرِّ والفتنة، ينفي الأسماء والصِّفات، ويقول بخلق القرآن، وبفناء الجنَّة والنَّار، وهو جبريٌّ في الأفعال، قتله سلم بن أحوز - نائب مَرْو - سنة (١٢٨هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦)، البداية النهاية (١٣/ ١٤٧).

(٤) خلق أفعال العباد (ص٣٨).

. . . .

- والثَّاني: تحريف المعنى، وهي حِرْفَة اليهود، ومثال تحريف المعنى: سائر تحريف نصوص الصِّفات الذي يُسمِّيه المبتدعة: «تأويلاً».

- والثَّالث: تحريف للَّفظ فقط، ومثال تحريف اللَّفظ فقط[(١)] كقولهم: «وكلَّم اللَّهَ موسى تكليماً» بنصب الاسم الشَّريف[(٢)].

التَّفويض في الصِّفات شرٌّ من التَّحريف

وإطلاق التَّفويض[(٣)] في الصِّفات شرٌّ من التَّحريف.

وقول مالك[(٤)] ظَاهِرٌ[(٥)]، وابن عبَّاس وغيره من الصَّحابة ﷺ فسَّروا الصِّفات[(٦)]،فيجب إمرار آيات الصِّفات وأحاديثها على ظاهرها، ولا يُتعرَّض لها بتأويل.

قاعدة في الصِّفات

(١) ويَلزم منه تحريف المعنى. (٢) الصَّواعق المُرسَلة (١/ ٢١٧).

(٣) التَّفويض في الصِّفات: تفويض علم معناها إلى اللَّه؛ ومذهب السَّلَف أنَّ معناها معلوم. درء تعارض العقل والنَّقل (١/ ١٤)، الصَّواعق المرسلة (١/ ٢٠١).

(٤) هو: أبو عبد اللَّه مالك بن أنس بن مالك الأَصبحيُّ، ولد سنة (٩٣هـ)، إمام دار الهجرة، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، كان عالم المدينة في زمانه، وقَصَدَه طلبة العِلم من الآفاق، توفي ﷺ سنة (١٧٩هـ). حلية الأولياء (٦/ ٣١٦)، سير أعلام النُّبلاء (٨/ ٤٨).

(٥) وهو: «الاستواءُ منه معلومٌ، والكَيْفُ منه غير معقول، والسُّؤال عن هذا بِدْعَة، والإيمانُ به واجب» رواه الدَّارميُّ في الرَّدِّ على الجَهْمِيَّة (ص٦٦)، رقم (١٠٤).

(٦) كما في تفسير ابن عبَّاس ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: «إِنَّ الكُرْسِيَّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَمَوْضِعُ القَدَمَيْنِ، وَلَا يَعْلَمُ قَدْرَ العَرْشِ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ» رواه ابن أبي زَمَنِين في تفسيره (١/ ٢٥١).
وفسَّرها أبو موسى ﷺ بقوله: «الكُرْسِيُّ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ، وَلَهُ أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ» رواه الطَّبريُّ في تفسيره (٤/ ٥٤٨).

وَلَا تَعْطِيلٍ، . . . .

وتفويض الكُنْهِ[١] والكيفيَّةِ صواب.

(وَلَا تَعْطِيلٍ) للَّفظ وللمعنى.

معنى التَّعطيل

التَّعطيل في الأصل: الإخلاء[٢]، مِنْ قولهم: «جِيدٌ[٣] عاطل»، أي: خالٍ من الحُليِّ.

فالتَّعطيل هو: إخلاؤه تعالى من صفاته التي وَصَف بها نفسه، وأهل السُّنَّة بريئون من ذلك.

الجَهْمِيَّة أهل التَّعطيل

وأهل التَّعطيل هم الجَهْمِيَّة؛ عطَّلوا النُّصوص.

أسانِيدُ جَهْم في إنكار الصِّفات

والجَهْمِيَّة هم: أَتْبَاع جَهْم بن صفوان، أخذ هذا المذهب عن شَيخِه الجَعْد بن دِرْهَم[٤] - ولم يكن يُظْهِرها -، والجَعْد أخذها عن أبانَ بن سَمْعَان[٥]، وأبان أخذها عن طَالُوت[٦] ابن

---

(١) كُنْه الشَّيء: حقيقته ونهايته. المصباح المنير (٢/ ٥٤٢).

(٢) مقاييس اللُّغة (٤/ ٣٥١). (٣) الجِيد: العُنُق. الصِّحاح (٢/ ٤٦٢).

(٤) هو: الجَعْد بن دِرْهَم، مُبتدِعٌ ضالٌّ، أوَّل مَنْ قال بخَلْقِ القرآن، وزَعَم أنَّ اللَّه لم يتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولم يُكَلِّم موسى تكليماً؛ فقُتِل على ذلك بالعراق يوم النَّحْر في حدود سنة عشرين ومئة، وله أخبار كثيرة في الزَّندقة. الوافي بالوفيات (١١/ ٦٧)، البداية والنِّهاية (١٣/ ١٤٧).

(٥) هو: أبان - ويُقالُ: بَيان - بن سَمْعَان التَّميميُّ النَّهْدِيُّ، الزِّنديق، ظَهَر بالعراق بعد المئة، وقال بإلَهيَّة عليٍّ رضي الله عنه، وأنَّ فيه جُزْءاً من الإلَهيَّة متَّحِداً بناسوته، ثمَّ تَحوَّل من بعده في ابنه مُحمَّد ابن الحَنفيَّة، ثمَّ في ولده أبي هاشم، ثمَّ من بعده في بَيَان - يعني: نَفسَه -، ثمَّ إنَّه كتب كتاباً إلى أبي جَعْفر البَاقِر يَدعُوه إلى نَفسِه وأنَّه نَبيٌّ، قَتَلَه خالد بن عبد اللَّه القَسْرِيُّ أمير العراق. تاريخ الإسلام (٣/ ٢١٤)، الوافي بالوفيات (١٠/ ٢٠٥).

(٦) هو: ابنُ أختِ لبيد بن أعصم اليهوديِّ وزوجُ ابنته، جهر بزندقته وأفشاها، وأخذ =

. . . .

أخت لَبِيد بن الأَعْصَم[1]، وطَالُوت أخذها عن لَبِيد بن الأَعْصَم اليَهوديِّ - السَّاحر الذي سَحَر النَّبيَّ ﷺ[2] -، وأظهرها الجَهْم فنُسِبت إليه.

وقيل: إنَّ الجَهْم أَخذَها عن كُفَّار الهند[3].

وممَّا يُبيِّن لك عظيم كفر أهل التَّعطيل قول بعض السَّلف: «المُعطِّل يَعبُد عَدَماً، والمُشبِّه يَعبُد صنماً، والمُوحِّد يَعبُد إلهاً واحداً فرداً صمداً»[4]، ومن المعلوم أنَّ الذي يعبد عَدَماً أعظم[5] من الذي يَعبُد صَنَماً.

المُعْتَزِلَة والأشاعِرَة والماتريديَّة إخوان الجَهْمِيَّة في التَّعطيل

ومِنْ هؤلاء[6]: المُعْتَزِلَة[7]؛ فإنَّهم يُثبِتُون الأسماء وينفون

= عن خاله اليهوديِّ القول بخَلْقِ التَّوراة، وقال بخَلْقِ القرآن، وصَنَّف في تقرير ذلك. الكامل في التَّاريخ (٦/ ١٤٩)، البداية والنِّهاية (١٣/ ١٤٧).

(١) هو: لَبِيد بن الأَعْصَم الزُّرَقيُّ، حَلِيف اليهود، وكان يَقولُ بخَلْقِ التَّوراة، وإليه ينتهي سَنَدُ الجَهْمِيَّة. غوامض الأسماء المُبْهَمة (٢/ ٦٥٩)، الكامل في التَّاريخ (٦/ ١٤٩)، الوافي بالوفيات (١١/ ٦٨).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الطِّبِّ، باب السِّحر، رقم (٥٧٦٣)، ومسلم، كتاب السَّلام، باب السِّحر، رقم (٢١٨٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «مبدأ التَّجهُّم في هذه الأُمَّة كان أصلُه من المُشْرِكين ومُبَدِّلة الصَّابِئِين من الهند واليُونان، وكان من مُبدِّلة أهل الكتاب من اليهود، وأنَّ الجَعْد بن دِرْهَم ثمَّ الجَهْم بن صفوان ومَن اتَّبَعَهُما أَخذُوا ذلك عنهم» بيان تلبيس الجَهْمِيَّة (٢/ ٤٧٢).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٢٦١).

(٥) أي: كفراً.

(٦) أي: المُعطِّلة.

(٧) هم: فِرْقَةٌ كلاميَّةٌ ظَهَرَت في أوَّل القرن الثَّاني الهجريِّ، وسُمُّوا بذلك؛ لاعتزال =

وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ . . . .

الصِّفات، ويَرَوْن أنَّ الأسماء لا معنى لها، لا تدلُّ إلَّا على الذَّات فقط.

ومِنْ فُروعِ هؤلاء: الأشاعِرَة(١) الذين يَنْتَسِبُون إلى أبي الحسن الأَشعريِّ(٢)، وهو منهم بريء، ومثلهم الماتريديَّة(٣).

معنى التَّكييف

(وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ) التَّكييف: تعيين كيفيَّة من الكيفيَّات للصِّفة، كقولهم - والعياذ باللَّه -: هذا كيفيَّته كذا وكذا.

فَمَنوعٌ «كَيْفَ» و«لِمَ».

معنى التَّمثيل

(وَلَا تَمْثِيلٍ) وهو أنْ يقال: هذا مثل هذا، كأن يقول: يَدٌ

= إمامِهم واصل بن عطاء مَجلسَ الحسن البصريِّ بعد قولِ واصلٍ قولَه المُبتدَع في مُرْتَكِب الكبيرة، وقيل: لاعتزالهم المسلمين ومُخالَفَتِهم لهم في ذلك، ومِنْ بِدَعِهِم: نفيُ الصِّفات والقَدَر، والقَوْل بخَلْق القرآن، وتقديم العقل على النَّقل. الفَرْق بين الفِرَق (ص٧٨)، المِلَل والنِّحل (١/ ٤٣).

(١) هم: طائفة تُنسَب إلى أبي الحسنِ الأَشْعَرِيِّ، ظَهَرَت في القرن الرَّابع وما بعده، مِنْ مُعتقداتِهم: أنَّهم لا يَقبَلُون حديث الآحاد في العَقِيدة، ويُؤوِّلون أكثر الصِّفات، وأنَّ الواجبات كلَّها سَمعيَّة، والعقل لا يوجب شيئاً، ولا يَقْتَضِي تحسيناً ولا تقبيحاً. المِلَل والنِّحَل (١/ ٩٤، ١٠١)، موسوعة الفِرَق المنتسبة للإسلام (١/ ١٩٦، ٢٩٥، ٣٧٠).

(٢) هو: أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل بن إسحاق الأَشْعَرِيُّ، ولد سنة (٢٦٠هـ)، كان عجباً في الذَّكاء، وقوَّة الفهم، له تصانيف جَمَّة، برع في معرفة الاعتزال ثمَّ كرهه، وأَعْلَن تَوبتَه منه، وأَخذَ يَرُدُّ على المُعْتَزِلَة، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٣٢٤هـ). تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٠)، سير أعلام النُّبلاء (١٥/ ٨٥).

(٣) هم: فِرْقَة كلاميَّة تُنسَب إلى أبي منصور مُحمَّد بن مُحمَّد المَاتريديِّ السَّمَرْقَنديِّ الحَنفيِّ، قامت على استخدام البراهين والدَّلائل العقليَّة والكَلاميَّة في مُحاجَجة خصومها من المُعْتَزِلَة والجَهْمِيَّة وغيرهم، مِنْ مُعتقداتِهم: أنَّهم جَعَلُوا معظم =

. . . .

كيَدِي، ونحو ذلك، وهو مذهب أهل التَّشبِيه، وهم كفَّار.

ولم يَقُل المُصنِّف: «وَلَا تَشْبِيهٍ»، وقد أجابَ عن هذه اللَّفظة حين امْتِحَانِه[1]، فقال: «إنَّها لَمْ تَرِد في القرآن، إنَّما وَرَدَ نفي التَّمثيل؛ كقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ فاقتصرتُ عليها»[2].

أقسام النَّاس في باب الصِّفات

فالنَّاس في باب الصِّفات طرفان ووسط:

الطَّرف الأوَّل: حرَّفوا ونفوا وجحدوا الصِّفات؛ وهم الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة وأضرابهم.

والجَهْم إنَّما سَلَكَ هذا المَسْلَك - نفي الصِّفات - مِنْ جَهْلِه، زعم أنَّه إذا أثبتها وقع في التَّشبيه، فنفاها مخافة التَّشبيه، وزعم أنَّ نَفيَها تَحقيقٌ لقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾؛ فلم يفهم من صفات اللَّه تعالى إلَّا ما يفهمه من صفات المخلوقين.

وقيل: إنَّه يُثبِت «القادر»؛ لأجل أصله؛ وهو: الجَبْر[3].

= مباحث الإلَهيَّات عَقليَّاتٍ، فجعلوا السَّمع تابعاً للعقل فيها، ومن ذلك: الصِّفات الثَّمان التي يُسَمُّونها: «صفاتٍ عقليَّة ثُبُوتيَّة»، ونَفَوْا جميع الصِّفات الخَبريَّة والاختياريَّة، وتركوا الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقيدة، كما أنَّهم مُرجِئَة في باب الإيمان. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٥١٠)، موسوعة الفِرَق المنتسبة للإسلام (٢/ ٢٠٣، ٢١٨، ٢٢٣).

(١) وذلك حين اجتمع في مجلس نائب سلطان الدِّيار المِصريَّة مع قضاة المذاهب الأربعة، والمفتين وغيرهم، ونَاظَرَهُم بما يعتقده، وما كَتَبَه في العقيدة الواسطيَّة. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٦٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٦٦).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٢٦٠).

. . . .

الطَّرف الثَّاني: أفرطوا في الإثبات وشبَّهوا، ومثَّلوه بصفات المخلوقين، فهؤلاء ضَرَبُوا النُّصوص بعضها ببعض، وزعموا أنَّ هذا مدلولها، وردُّوا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

كفر المُعَطِّلة أعظم من كفر المُمَثِّلة

وهاتان الفِرْقَتَان في طَرَفي نَقِيض، والمعطِّلة أعظم كفراً وضلالاً من أهل التَّشبيه بأمرين:

- الأوَّل: أنَّ عابد العَدَم أعظم كفراً مِنْ عابد الصَّنَم.

- الثَّاني: أنَّ هذا التَّعطيل مَحفُوفٌ بتمثيلين:

الأوَّل: مثَّلوا أوَّلاً؛ حيث لم يفهموا من النُّصوص الواردة في الصِّفات إلَّا التَّشبيه، كما يُفهَم من صفات المخلوقين - زعموا أنَّهم إذا أَثْبَتُوها وقعوا في التَّشبيه -.

الثَّاني: أنَّهم لَمَّا نفوا الصِّفات لزمهم التَّمثيل لزوماً لا محيد لهم عنه، فشبَّهوه تعالى بالجمادات وبالمعدومات وبالممتنعات، فإنَّهم قالوا: ليس بكذا ولا كذا ولا كذا، حتَّى عطَّلوه من جميع الصِّفات، فشبَّهوا أوَّلاً، وعطَّلوا ثانياً، وشبَّهوا ثالثاً، وأولئك مثَّلوه بالحيوانات - تعالى اللَّه وتقدَّس -.

وبهذه الأوجه عَرَفْنَا أنَّ كُفرَ المُعطِّلة أَعظمُ مِنْ كُفرِ المُمثِّلة.

والقسم الثَّالث: الأُمَّة الوسط بين هذين الطَّرفَيْن - أهل سواء السَّبيل، أهلُ السُّنَّة والجماعة -، سَلَكُوا في هذا الباب

. . . .

العظيم المَسْلَك القويم الذي جاءت به الكتب السَّماويَّة، ونَطَقَت به الرُّسُل، ودَرَج[١] عليه الصَّدْر الأوَّل، ومَنْ تبعهم مِنْ أَهلِ السُّنَّة والجماعة.

وهذا المَسْلَك الذي هداهم اللَّه له هو الوسط بين الطَّرفين، والهُدى بين الضَّلالتين، فأثبتوا للَّه ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ في السُّنَّة؛ إثباتاً بريئاً مِنْ تَمثيلِ المُمثِّلين، ونفوا عن اللَّه ما لا يليق بجلاله وعظمته نفياً بريئاً من تَعطيلِ المُعطِّلين، على حدِّ قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ لأنَّ بابَ الأسماء والصِّفات توقيفيٌّ، لا مجال للعقول والقياس والذَّوْق فيه.

فأهل التَّشبيه أثبتوا وغلوا وزادوا في الإثبات حتَّى وقعوا في كفر التَّشبيه.

وأهل التَّعطيل غلوا وزادوا في التَّنزيه حتَّى وقعوا في كفر التَّعطيل.

قال بعض السَّلف: «مَنْ شبَّه اللَّه بخَلْقِه فقد كفر، ومَنْ نفى عنه ما وَصَفَ به نَفْسَه فقد كفر، وليس فيما وَصفَ اللَّه به نَفسَه

(١) أي: مشى. الصِّحاح (١/ ٣١٣).

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

ووَصفَه به رَسولُه ﷺ تَشبيه»[1]، وهذه العبارة عند السَّلف شهيرة مُتَلَقَّاة بالقَبول عند الأئمَّة[2].

والتَّحريف حِرْفَة اليهود والجَهْمِيَّة.

والتَّعطيل حِرْفَة الجَهْمِيَّة.

والتَّمثيل طريقة المُشبِّهة.

آية فيها مُجمَل معتقد أهل السُّنَّة والرَّدُّ على المبتدعة

(بَلْ يُؤْمِنُونَ) يعني: أهل السُّنَّة والجماعة (بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾) لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في شرعه ودينه أيضاً، (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾) ويُثْبِتُون ما أثبته اللَّه لنفسه من الأسماء والصِّفات، كالسَّميع والبصير.

والكلام في باب الأسماء والصِّفات دَائرٌ بين النَّفي والإثبات.

ففي هذه الآية: الرَّدُّ على الطَّائفتَيْن؛ أهل التَّعطيل، وأهل التَّشبيه.

---

(١) رواه الذَّهبيُّ في العُلُوِّ للعليِّ الغفَّار (ص١٧٢)، رقم (٤٦٤)، عن نُعَيْم بن حمَّاد الخُزاعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ١١٠)، الرُّوح لابن القيِّم (ص٢٦٣)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٧)، شرح الطَّحاوية لابن أبي العِزِّ الحنفيِّ (ص٧٣).

. . . .

فقوله: (﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾) فيه: الرَّدُّ على أهل التَّشبيه والتَّمثيل.

وقوله: (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾) فيه: الرَّدُّ على أهل التَّعطيل.

طريقة الكتاب والسُّنَّة في الأسماء والصِّفات

وفي هذه الآية أيضاً: بيان طريقة الكتاب والسُّنَّة في الأسماء والصِّفات، وأنَّ طَريقتَهما في النَّفي: الإجمال، وفي الإثبات: التَّفصيل، فإنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ جاءا بنفيٍ مُجمَلٍ وإثباتٍ مُفصَّلٍ، وهي طريقة أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ بخِلَاف طَريقةِ الجَهْمِيَّة وأَضرابِهِم، فإنَّهم أَثبتُوا إثباتاً مُجمَلاً[١]، ونفوا نفياً مُفصَّلاً، فخالفوا الكتابَ والسُّنَّة وأهلَ السُّنَّة والجماعة في التَّأصيل والتَّفصيل؛ زعماً منهم أنَّه تَنزِيهٌ للَّه.

طريقة الجَهْمِيَّة وأَضْرَابِهِم في الأسماء والصِّفات

والكاف في (﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ﴾) فيها كلام كثير[٢]، وليست زائدة، والصَّواب - واللَّه أعلم -: ليس مثل اللَّه شيءٌ، ولكن جاءت إحداهما مُؤكِّدة للأخرى[٣]؛ لمزيد تأكيد عدم المماثلة.

---

(١) أي: أثبتوا الذَّات إثباتاً مُجمَلاً.

(٢) تفسير الطَّبريِّ (٢٠/٤٧٦-٤٧٧)، تفسير القرطبيِّ (١٦/٨)، تفسير ابن جُزَي (٢/ ٢٤٥).

(٣) أي: «الكاف» و«مثل».

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، . . . . .

محاذير يَتجنَّبُها أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصِّفات

(فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ) حاشا وكلَّا؛ بل هذه طريقة الجَهْمِيَّة والأَشاعِرَة.

(وَلَا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) بل يُقرُّون الكَلِمَ على معانيه وما أُريد به.

معنى الإلحاد

(وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ) والإلحاد في اللُّغة هو: المَيْل[1]، ومنه سُمِّي موضع الميِّت في القبر: «لحداً»؛ لأنَّه مَائلٌ عن وسطه.

وفي الشَّرع هو: المَيْلُ والخروجُ عن الحقِّ الواضح إلى الجَوْر[2].

فمَنْ عطَّل فقد أَلْحَد، ومَنْ مثَّل فقد أَلْحَد، ولا يَسلَمُ مِنَ الإِلْحَاد إلَّا مَنْ آمَنَ بها كما جاءت مِنْ غيرِ تَمثيلٍ، وكذلك الآيات مَنْ حَمَّلَها ما لا تُطِيق فقد أَلْحَد، ومَنْ نَقَّصها فقد أَلْحَد، وأهل التَّعطيل والتَّشبيه كلُّهم مِنْ أهل الإلحاد.

---

(١) مقاييس اللُّغة (٥/ ٢٣٦).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ١٢٤).

وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ،.....................

وقد ذمَّ اللَّه تعالى وتوعَّد مَنْ أَلْحَد في أسمائه وآياته، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾.

(وَلَا يُكَيِّفُونَ) صفاته؛ فلا يقولون: كيفيَّته كذا وكذا.

(وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ) فما يضاف إلى الخالق فهو يليق به ويختصُّ به، كما أنَّ ما يضاف إلى المخلوق ويليق به يختصُّ به، وإنِ اجتمعا في الاسم أو الصِّفة، فإنَّه سبحانه ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فإنَّ القول في الصِّفات كالقول في الذَّات، يُحتذَى حَذوُه ويُقاسُ عليه، فتُثْبَت إثبات وجود، لا ثبوت تمثيلٍ فيه، فكما أنَّ ذاتَ الباري سبحانه لا تُدانِيها ولا تُقارِبها ولا تُشابِهها ذوات المخلوقين؛ فكذلك صفاته سبحانه.

قاعدة: «القول في الصِّفات كالقول في الذَّات»

(لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ) المعنى: لا أَحدَ يُسامِيه، أو لا يَستحقُّ مثل اسمه، وكِلَا المَعْنَيَيْن راجعٌ إلى الآخر؛ لكون اسمه تعالى دالّاً على الكمال، والخَلْقُ وإنْ كان لهم نوع كمال فإنَّ اللَّه هو الذي أكسبهم إيَّاه.

لماذا يتجنَّب أهل السُّنَّة تلك المحاذير في الصِّفات؟

وَلَا كُفْءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثاً مِنْ خَلْقِهِ.

(وَلَا كُفْءَ لَهُ) الكُفْءُ: المُسَاوِي[1]، أي: لا مُسَاوِي له؛ كما قال سبحانه في سورة الإخلاص: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾.

(وَلَا نِدَّ لَهُ) لا مِثْل له.

(وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ) فجميع القياس في حقِّه تعالى مُمتنعٌ شرعاً وعقلاً، فلا يُضرَب مَثلٌ للَّه يُقَاس بالمخلوق فيه ويُسوَّى به - تعالى اللَّه وتقدَّس - إلَّا قياس الأَوْلَى؛ فيقال: ما كان في حقِّ المخلوق كمالاً فإنَّ اللَّه أحقُّ بالكمال؛ فيُثبَت للَّه تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته من غيرِ تَمثيلٍ.

أسباب الإيمان بما أخبرنا اللَّه به من صفاته

(فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ) مِن خَلْقه، وبما يجوز في حقِّه وما يمتنع عليه، والعلم أقسام؛ فأعلاها: العلم بالتَّوحيد، والتَّوحيد ثلاثة أقسام ومنها: توحيد الأسماء والصِّفات، وهو من التَّوحيد العِلميِّ الخبريِّ الاعتقاديِّ، وقد أخبرنا تعالى في كتابه بصفاته، فعلينا أنْ نُذعِنَ ونُصَدِّقَ ونُؤمِنَ بما يَصِلُ إلينا، ونَعْتَقِدَه حقيقةً على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته.

(وَبِغَيْرِهِ) وأعلم بخلقه من أنفسهم.

(وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثاً مِنْ خَلْقِهِ) فيُنْطَق حيث نَطَقَ

---

(١) مقاييس اللُّغة (٥/ ١٨٩).

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ، . . . .

الكتاب والسُّنَّة، وقد نَطَقَ الكتاب والسُّنَّة بالصِّفات، وهو الحقُّ والتَّوحيد، فلا محذور في النُّطق بما وصف به نفسه.

أسباب الإيمان بما أخبر به الرُّسُل من صفات اللَّه

(**ثُمَّ رُسُلُهُ**) هذا عَطفٌ على قوله: (**فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ**) مع ما تَقدَّم مِنْ قوله: (**وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ...**) إلخ، لا على قوله: (**وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثاً مِنْ خَلْقِهِ**).

فإنَّ مَصدرَ الصِّفات شيئان: ما صَدَر عن اللَّه، وما صَدَر عن رُسُلِ اللَّه.

يعني: ثمَّ الرُّسُل أيضاً (**صَادِقُونَ**) مَعصُومُون في كلِّ ما جَاؤُوا به عن اللَّه وبلَّغوه، لا يَنطِقون عن الهَوَى، ومِنْ جُمْلَة ذلك: ما أتوا به مِنْ نُصوصِ الصِّفات.

(**مُصَدَّقُونَ**) فيما أخبروا به عن ربِّهم، فتعيَّن تَصديقُهم فيما بلَّغوه من الصِّفات عن ربِّهم، والالتفات إلى ما قالوا والتَّمسُّك به، فلا يُقالُ في اللَّه إلَّا ما أخبر به المُرسَلُون.

وفي بعض النُّسَخِ: «مَصْدُوقُونَ»[1]، أي: مُؤْتَمَنُون فيما أُوحِي إليهم.

---

(١) العقيدة الواسطيَّة - ضمن متون طالب العلم -، نسخة الحواشي بتحقيقنا (ص٥١٢).

بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ؛ . . . .

وباب الصِّفات تَوْقِيفيٌّ، كلُّه من باب الخبر المَحْض - الدَّائر بين النَّفي والإثبات -، ليس مِنْ باب الإدراكات[1] والرَّأي والاستنباط والأفهام؛ والخَلْقُ ليس لهم علمٌ بالأمور الاعتقاديَّة إلَّا ما أخذوه من مشكاة النُّبوَّة.

أهل التَّعطيل والتَّمثيل قائلون على اللَّه بغير علم

(بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ) هذا راجع إلى أهل التَّعطيل والجحد - جَهْم بن صفوان وشِيعَتِه -، وإلى أهل التَّمثيل؛ كلُّهم قائلون على اللَّه بغير علم، فإنَّهم لا صَادِقُون ولا مُصدَّقون، ولا التفات إلى ما قالوا؛ بل كاذبون ومُكذَّبون، ومُعتمِدون على نُحاتة[2] الأفكار وزُبالة الأذهان.

فإنَّ منهم مَنْ عطَّل وجَحَد، فهو قائل بلا علم، مع مخالفتهم - أيضاً - لِمَا عَرَفوا من العلم.

وكلُّ مَنْ وصف اللَّه بغير ما وصف به نفسه؛ فهو قائلٌ على اللَّه بلا علم.

وكلُّ مَنْ حَرَّف أو أَلْحَد؛ فهو قائلٌ على اللَّه بلا علم؛ بل هو مُخالفٌ للعلم الواضح، وكذلك الذين يقولون: إنَّها لا تدلُّ على كذا ولا على كذا.

---

(١) أي: الاجتهادات. المصباح المنير (١/ ١٩٢).
(٢) النُّحاتة: ما سَقَطَ مِنَ المَنْحُوت. مقاييس اللُّغة (٥/ ٤٠٤).

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **فَسَبَّحَ نَفْسَهُ.** . . . . .

فكلُّهم مُخالِفُون للرُّسل، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فكلٌّ من الجَهْمِيَّة وأَضْرَابِهِم والمُمثِّلة تائه، الكلُّ قائلٌ على اللَّه بغير علم، وواقعٌ فيما هو أَعظم من الشِّرك.

نزَّه اللَّه نفسه عمَّا وصفه به أعداء الرُّسُل

(وَلِهَذَا) هذا تَعليلٌ من المُصنِّف؛ فاللَّه سبحانه الذي هذا شأنه **(قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾)** فإنَّ اللَّهَ نزَّه نفسه والرُّسُلَ[1] عمَّا وصفه به أعداء الرُّسُل.

سَلَّم اللَّه على الرُّسُل لأنَّهم لا يَصِفُونَه بباطل

(﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾) لأنَّهم لا يَصِفُونَه بباطل؛ بل بالحقِّ، فاسْتَحقُّوا السَّلامَ من اللَّه.

حَمِد اللَّه نفسَه لِمَا له من الأسماء والصِّفات

(﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) حَمِد تعالى نفسه؛ لِمَا له من الأسماء والصِّفات وبديع المخلوقات.

(فَسَبَّحَ نَفْسَهُ) وقدَّسها مِنْ جميع ما لا يليق بجلاله ممَّا قالوه في أسمائه وصفاته، وشَرْعِه وقَدَرِه.

ومعنى التَّسبيح: التَّنزيه، والتَّقديس[2].

---

(١) أيضاً نزَّهوا اللَّه.

(٢) المصباح المنير (١/ ٢٦٢).

عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى المُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالعَيْبِ.

فنزَّه اللَّهُ نفسَه والرُّسُلُ **(عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ)**؛ لأنَّ ما قاله أعداء الرُّسُل نَقصٌ وعَيْبٌ لا يليق بجلال اللَّه.

(وَسَلَّمَ عَلَى المُرْسَلِينَ) ذَكَر في الآية السَّلام عليهم؛ **(لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ)** في اللَّه، وفي أَسمائِه وصِفاتِه، وشَرْعِه ودِينِه **(مِنَ النَّقْصِ وَالعَيْبِ)**؛ لأنَّ ما ذكروه هو الصِّدق والكمال، وضدُّه الكذب والعيب، فاستحقُّوا السَّلام من اللَّه.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ: بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ، فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ المُرْسَلُونَ؛. . . . .

طريقة أهل السُّنَّة في الصِّفات: النَّفيُ المُجمَل والإثباتُ المُفصَّل

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ) يعني: في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ (بَيْنَ) نوعين: (النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ)، فنفى ما لا يليق بجلاله وعظمته نفياً عامّاً مُجمَلاً كقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، والنَّفي هنا ليس هو النَّفي المَحْض، وإنَّما المراد: النَّفي المُتضمِّن للكمال.

وأمَّا الإثبات: فأثبت إثباتاً مُفصَّلاً كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾، ونظائر ذلك من الإثبات.

فطريقة الكتاب والسُّنَّة في النَّفي: الإجمال، وفي الإثبات: التَّفصيل، فعكس ذلك أهل التَّجهُّم والاعتزال؛ زعماً منهم أنَّه تنزيهٌ للَّه، ووقعوا في ضلالتين: في معاكسة الكتاب، وفي وَصْفِه تعالى بغير ما وصف به نفسه، فخالفوا الكتاب والسُّنَّة تأصيلاً وتفصيلاً.

يتعيَّن التَّمسُّك بمَسْلَك المُرسَلين

(فَـ)إذا كان كذلك، تبيَّن أنَّه (لَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ المُرْسَلُونَ)؛ بل مُتعيِّنٌ عليهم التَّمسُّك بمَسْلَك المُرسَلِين، والأخذ بما جاء عنهم - الذي مَنْ تَمَسَّك به نجا،

فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

ومَنْ تركه هلك -، ولا استَقَام مقصدُهم إلَّا بعدم العدول عمَّا جاء به المُرسَلُون، وما جاء به المُرسَلُون هو: إثبات صفات الكمال على وجه التَّفصيل، وفي النَّفي: نفي ما لا يليق باللَّه على وجه الإجمال - كما تقدَّم -.

لا طريق إلى اللَّه إلَّا مِنْ طريق المُرسَلين

(فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ) يعني: الطَّريقُ **(المُسْتَقِيمُ)** الذي يَصِل الخَلْقُ إلى ربِّهم منه، فلا طريق لهم مُوصِلٌ إلى ربِّهم ودار كرامته إلَّا مِنْ هذا الطَّريق.

أنواع النِّعمة

(صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) النِّعمة الكاملة نعمة الدِّين؛ فإنَّ النِّعمة نعمتان:

- نِعمةٌ كاملةٌ مُطلَقة، وهي: نعمة الدِّين.

- ونِعمةٌ ناقصةٌ مُقيَّدة، وهي: التي يَشترِك فيها البَرُّ والفاجر، والمسلم والكافر؛ مِن المأكل والمشرب ونحو ذلك.

فالأُولى: نِعمَة الأرواح، والثَّانية: نِعمَة الأجسام - وشتَّان بين مشرق ومغرب -، فإنَّ الإنسانَ مَخلوقٌ مِنْ مادَّتين: روحانيَّة نورانيَّة، وأَرضيَّة جسمانيَّة.

فالنِّعمَة التَّامَّة لأهل الإيمان، وهي المَعنيَّة بقوله في الفاتحة:

. . . .

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والمُنْعَمُ عليهم الذين يُسأل اللَّه الهداية إلى طريقهم هم في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فنِعمَة هؤلاء هي النِّعمَة المُطلَقة - معرفة الدِّين والعَملُ به -، وهؤلاء الطَّبقات الأربع أئمَّة هذه النِّعمَة، وترتيبهم على ما في الآية، ولهم أتباع على حسب اتِّباعهم.

والنِّعمَة المُقيَّدة يَستحقُّ الرَّبُّ عليها الشُّكر، ولكنَّها بالنِّسبَة إلى المُطلَقة كَلَا نعمة، فتلك هي التي تستمرُّ في الدُّنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، أمَّا الثَّانية فهي أيضاً نعمة ابتلاء وامتحان.

طريق المُنْعَم عليهم نِعْمَة الدِّين

فهذا طريق المُنْعَم عليهم النِّعمة الكاملة، هو: إثبات ما أثبته اللَّه لنفسه، على ما يليقُ بجلاله وعظمته من الصِّفات من غيرِ تَمثيلٍ، ونفي ما نفاه اللَّه عن نفسه نفياً بريئاً من التَّعطيل.

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ يعني: مَنْ صار معهم فهو مرافق لهم، والذي يُحَصِّل حَصَّل رفيقاً ما مثلُه رفيقٌ، يعني: وحَسُنَ هذا الرَّفيق رفيقاً، يعني: هؤلاء هم أَحسنُ الرُّفقاء.

ونظير النِّعمَة الرَّحمة، هل للَّه على الكُفَّار رحمة؟

أنواع الرَّحمة

فالجواب: أنَّ الرَّحمة خاصَّة وعامَّة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ

. . . .

أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، فهذه رحمة حتَّى للكفَّار؛ فإنَّهم سَلِمُوا من العذاب[١].

والرَّحْمَة التَّامَّة خاصَّة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾.

وهم[٢] داخلون في النَّاقصة، وأمَّا التَّامَّة فليس لهم منها نصيب، وهي رحمة اللَّه بالدِّين، وهي الرَّحْمَة الحقيقيَّة.

(١) قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ كُتِبَ لَهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الأُمَمَ مِنَ الخَسْفِ وَالقَذْفِ» رواه الطَّبريُّ في تفسيره (١٦/ ٤٤٠).
(٢) أي: الكُفَّار.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ، الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ،. . . . .

الأدلَّة من القرآن على إثبات صفات اللَّه

(وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ) السَّابقة، أي: جملة (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ: بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ).

(مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ) يعني: التَّوحيد؛ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ السُّورَة، وكذلك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تُسمَّى: «سورة الإخلاص»[(١)]؛ فإنَّها دلَّت على التَّوحيد.

فـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ دلَّت على التَّوحيد العِلميِّ الخبريِّ الاعتقاديِّ، وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ دلَّت على التَّوحيد القصديِّ الإراديِّ الطَّلَبيِّ.

سورة الإخلاص تَعدِل ثُلُث القرآن ووجه ذلك

(الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ) كما جاء ذلك عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إِذَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مَرَّةً، فَكَأَنَّمَا قَرَأْتَ ثُلُثَ القُرْآنِ، وَإِذَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مَرَّتَيْنِ، فَكَأَنَّمَا قَرَأْتَ ثُلُثَي القُرْآنِ، وَإِذَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

---

(١) كما في حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتَي الطَّوَافِ بِسُورَتَي الإِخْلَاصِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾» رواه التِّرمذيُّ، رقم (٨٦٩).

حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . . . .

فَكَأَنَّمَا قَرَأْتَ القُرْآنَ كُلَّهُ»[١].

ووجه كونها تَعدِل ثلث القرآن: مِنْ حيث إنَّ القرآنَ ثلاثة أقسام:

- قسم خَبَر عن اللَّه ﷻ وإثبات صفاته.
- وقسم خَبَر عن المخلوق، وحاله وشأنه، وما أُعِدَّ له.
- وقسم طلب - أمر، ونهي -.

وهذه السُّورة خَبَر عن الخالق تعالى، وسبب نزولها: أنَّ المشركين قالوا للنَّبيِّ ﷺ: «انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَنَزَلَتْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إِلَى آخِرِهَا»[٢].

واشتملت على النَّفي المُجمَل، والإثبات المُفصَّل.

ما تضمَّنته سورة الإخلاص من الإثبات المُفصَّل والنَّفي المُجمَل

(**حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾**) هذا فيه: إثبات الأَحديَّة للرَّبِّ تعالى، وتَفرُّده بها، المنافية للشَّريك والمَثِيل والنَّديد مِنْ كلِّ وجهٍ.

---

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الأوسط (٦/ ١٢٦)، رقم (٥٩٩٦)، من حديث عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٢١٢١٩)، من حديث أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه.

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

(﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾) فيه: إثبات الصَّمديَّة للَّه سبحانه، ووَصْفُه بها.

ومعنى (﴿ٱلصَّمَدُ﴾): الذي يَصمِد[1] إليه الخلائق كلُّهم يوم القيامة[2].

وكلُّ تفسيرٍ للصَّمَد[3] فهو يرجع إلى إثبات الكمال.

(﴿لَمْ يَلِدْ﴾) أحداً؛ هذا فيه: نفي الولد عنه - سبحانه وتعالى عمَّا يقول الجاهلون علوّاً كبيراً -؛ لمنافاته لكماله ﷻ.

(﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾) ولم يَلِدْه أحد؛ ففيه: نفي الوالدة عنه ﷻ؛ لمنافاته لكماله تعالى.

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾) فيه: نفي الكُفْءِ، وهو المُسَاوِي له سبحانه؛ لمنافاته لكماله.

---

(١) أي: يقصد. الصِّحاح (٢/ ٤٩٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٩).

(٣) كتفسير الصَّمَد بأنَّه: «الذي لا يأكل الطَّعام، ولا يشرب الشَّراب»، أو أنَّه: «السَّيِّد الذي قد انتهى سُؤْدَدُه»، أو أنَّه: «الدَّائِم». تفسير الطَّبريِّ (٢٤/ ٧٣١-٧٣٦).

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ . . . .

ففي هذه السُّورة: نفي النَّقائص والعيوب عنه تعالى، وإثبات الكمال له تعالى؛ فالشَّطر الأوَّل إثبات، والثَّاني نفي.

اشتمال آية الكُرْسيِّ على الإثبات المُفصَّل والنَّفي المُجمَل

(وَ) كذلك دَخَل في هذه الجملة (مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ) وهي آية الكرسي، كما ثبت ذلك عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّ أعظمَ آيةٍ في كتاب اللَّه هي هذه الآية[١].

وقد اشتملت على عَشرِ جُمَلٍ من الصِّفات، جَمَع تعالى فيها بين النَّفي والإثبات؛ (حَيْثُ يَقُولُ):

(﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢]) فيه: نفي الأُلوهيَّة عن كلِّ ما سوى اللَّه، وأنَّها لا تَصلُح لغير اللَّه؛ بل لا تَصلُح إلَّا للَّه سبحانه، وأمَّا غيره فلا يَصلُح لها، وكلُّ مَأْلُوه غير اللَّه فإِلهيَّته بالباطل والضَّلال.

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقَصْرها، باب فَضْل سورة الكهف وآية الكرسيِّ، رقم (٨١٠)، من حديث أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه، ولفظه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

(٢) وهذه الجملة الأُولى.

ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ . . . .

(﴿إِلَّا هُوَ﴾) فيه: الإثبات، إثباتها للَّه سبحانه دون كلِّ ما سواه.

(﴿ٱلۡحَيُّ﴾) فيه: إثبات صفة الحياة الكاملة المُطلَقة للَّه سبحانه.

(﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[1]) فيه: إثبات صفة القيُّوميَّة.

والحياة والقيُّوميَّة تستلزمان سائر الصِّفات من القُدْرَة والسَّمع والبصر وغير ذلك.

(﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾) هذا فيه نفي السِّنَة، وهي: الذُّهول والغفلة، وهي دون النَّوم[2].

(﴿وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[3]) فيه: نفي النَّوم.

والنَّفي قسمان:

- نفي مَحْض، وهذا مراد لذاته، ولا يقع في الصِّفات.

- ونفي مراد به الإثبات، كنفي السِّنَة والنَّوم عنه سبحانه، وذلك لمنافاتهما لكمال حياته وقيُّوميَّتِهِ تعالى.

---

(١) وهذه الجملة الثَّانية.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٨).

(٣) وهذه الجملة الثَّالثة.

لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ . . . .

(﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾[(١)]) هذا فيه: إثبات ملك السَّموات والأرض، وتفرُّد اللَّه بملك ذلك.

(﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾[(٢)]) فيه: نفي الشَّفيع، وهذا نفيٌ ظاهر، وهذا النَّفي دخل فيه جَمِيع الشُّفعاء، حتَّى سيِّد الخَلْقِ صلوات اللَّه وسلامه عليه؛ ولهذا في القيامة لا يَشْفَع حتَّى يسجد، ويقال له: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ»[(٣)]، ففيه: نفي الشَّفاعة التي من غير إذنه، وإثباتها بإذنه تعالى.

(﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ﴾[(٤)]) فيه: إثبات تفرُّده بالعلم سبحانه.

(﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾[(٥)]) أنْ يُطلِعهم

---

(١) وهذه الجملة الرَّابعة.

(٢) وهذه الجملة الخامسة.

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى آخر السُّورة، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجَنَّة منزلة فيها، رقم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) وهذه الجملة السَّادسة.

(٥) وهذه الجملة السَّابعة.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾ - أَيْ: لَا يَكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ - . . . .

عليه، ففيه: إثبات سَعَة عِلمِه.

(﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾[1]) يعني: أنَّه أوسع منها بكثير.

فيه: إثبات الكُرْسيِّ، وجاء في الأحاديث: أنَّه مِنْ جُمْلَة المخلوقات، وأنَّه «مَوضِعُ القَدَمَيْنِ»[2].

وليس كُرْسِيُّه عِلْمَه كما يقوله المُبتَدِعَة، فإنَّ في هذه الآية الرَّدَّ عليهم، فهم ينفون الكُرْسيَّ والعرش، يريدون بذلك نفي العُلُوِّ.

ولهذا أهل العلم يترجمون بـ«بابٌ في العرش»، «بابٌ في الكُرْسيِّ»[3]، وهذا كلُّه ردٌّ على الجَهْمِيَّة والمُبْتَدِعَة.

(﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾[4] - أَيْ: لَا يَكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ -) لا

---

(١) وهذه الجملة الثَّامنة.

(٢) رواه أبو الشَّيخ الأصبهانيُّ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، ولفظه: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، وَالكُرْسِيُّ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ».
ورواه المقدسيُّ في المختارة (١٠/ ٣١٠)، رقم (٣٣١)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما موقوفاً، ولفظه: «﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ قَالَ: مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ، وَلَا يُقَدَّرُ قَدْرُ عَرْشِهِ».

(٣) كما في كتاب «العظمة» لأبي الشَّيخ الأصبهانيِّ (٢/ ٥٤٣)، ذِكر عرش الرَّبِّ تبارك وتعالى وكُرْسيِّه، وعظم خلقهما، وعلوِّ الرَّبِّ تبارك وتعالى فوق عرشه، وكتاب «أصول السُّنَّة» لابن أبي زَمَنِين (ص٩٦)، باب في الإيمان بالكُرْسيِّ.

(٤) وهذه الجملة التَّاسعة.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

يَثقُل عليه ولا يَشُقُّ عليه؛ لكمال قدرته وقهره.

(﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾) الذي لا أَعلَى منه تعالى، فله العُلُوُّ المُطلَقُ الكَاملُ مِنْ جَمِيع الوجوه: عُلوُّ القَدْر والشَّرَف، وعُلوُّ القَهْر والسُّلطان لكلِّ شيءٍ، وعُلوُّ الذَّات والفَوقيَّة على جميع المخلوقات، فإنَّه أعلى مِنْ كلِّ شيء قَدْراً وفَضْلاً، وأعلى مِنْ كلِّ شيءٍ قَهْراً وسلطاناً، وعُلُوّاً وذاتاً.

(﴿ٱلْعَظِيمُ﴾[١]) الذي لا أَعظَمَ منه سبحانه، ولا أَكبرَ ولا أَجلَّ.

عِظَمُ شأن آية الكُرْسيِّ لاشتمالها على صفات اللَّه وأسمائه

(وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ) يعني: آية الكُرْسيِّ (فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ) يعني: جَمِيع تلك اللَّيلَة (حَتَّى يُصْبِحَ) إلى الصَّباح، أشار بهذا إلى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا جَعلَه ﷺ يَحْفَظُ الصَّدَقَةَ، فَجَاءَ شَيْطَانٌ لِيَأْخُذَ مِنْهَا فَأَمْسَكَهُ، ثُمَّ عَادَ ثَانِيَةً، وَفِي الثَّالِثَةِ قَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ؟ فَذَكَرَ لَهُ آيَةً يَسْلَمُ بِهَا مِنَ

---

(١) وهذه الجملة العاشرة.

. . . .

السُّرَّاقِ، فَقَالَ ﷺ: صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»[1]؛ من عادته.

فيفيد عِظَم شأن هذه الآية الكريمة.

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الوكالة، باب إذا وكَّل رجلاً فترك الوَكِيلُ شيئاً، فأجازه المُوكِّل؛ فهو جائز، وإنْ أَقْرَضَه إلى أجلٍ مُسمّىً جاز، رقم (٢٣١١).

وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ . . .

(وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ) - بالجَرِّ؛ عطفاً على قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ)[١] -: (﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾) هذا أيضاً ممَّا دخل في الجملة السَّابق ذكرها، وقد دخل فيها سائر الآيات التي في صفات اللَّه وأسمائه.

إثبات اسم الأوَّل والآخِر والظَّاهر والباطن للَّه واتِّصافه بها ومعانيها

وهذه الآية (﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾) اشتملت على أربعة أسماء للَّه ﷻ، واشتملت على اتِّصافِه تعالى بها، وتفسير هذه الأسماء الأربعة جاء في الحديث: «أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»[٢].

وحديث: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»[٣]، يعني: أنَّه ﷻ بوجوده وأوَّليَّته، «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ» ليس معناه: كان قبل أنْ لم يكن حَدَثَ؛ لا، لم يَزَل بجميع صفاته.

اللَّه أَوَّلٌ بجميع صفاتِه

ومذهب السَّلف: أنَّ اللَّه أوَّلٌ بجميع صفاته؛ لم يَزَل ولا

---

(١) (ص١٩٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النَّوم وأخذ المَضْجَع، رقم (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، رقم (٧٤١٨)، من حديث عمران بن حُصينٍ رضي الله عنهما.

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يزال بجميع صفاته فاعلاً مريداً قادراً بذاته، وصفاته قديمة النَّوع حادثة الآحاد، كما دلَّت عليه النُّصوص والعقل والفِطَر والحِسُّ والمُشاهَدة.

عِلم اللَّه بجميع الأشياء

(﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾) واشتملت هذه الآية على اتِّصافه بالعلم بكلِّ شيءٍ، فشَمِل علمه الموجودات كلَّها، والمعدومات التي تكون، والتي لا تكون كيف تكون لو كانت، بخلاف الممتنعات؛ فإنَّها ليست شيئاً حتَّى تُشمَل بالعلم.

وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.

إثباتُ اسم الحيِّ للَّه ومدلوله وما يستلزمه من الصِّفات

(وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾) هذه الآية فيها: إثبات هذا الاسم، وإثبات مدلول هذا الاسم، وهي: صفة الحياة للَّه سبحانه، وهي تستلزم السَّمع والبصر والعلم والقُدْرَة ونحو ذلك، ونفي الموت لمنافاته للحياة.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾.

إثباتُ اسمي الحكيم والخَبِير ومدلولهما

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾) هذا فيه:

- إثبات هذين الاسمين:

أحدهما: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾) وهو: الذي يضع الأشياء مواضعها[١].

والثَّاني: (﴿ٱلْخَبِيرُ﴾) نوع من العلم[٢].

- وإثبات مدلول هذين الاسمين، وهما: صفة الحكمة، والخِبْرَة.

معنى الحكمة والخِبْرَة

والحكمة هي: ضدُّ العَبَث والسَّفَه[٣]، فهو تعالى الحكيم في أَقْضِيَتِه وشَرعِه ودِينِه، وهي أبعد شيء عن السَّفَه وعن خلاف المصلحة.

والخِبْرَة: أَخصُّ من العِلم، هي كمال العِلم[٤].

إثباتُ صفة العلم

(﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾) فيه: إثبات علمه الشَّامل، فما مِنْ داخلٍ في الأرض

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٩).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢١٠).
(٣) طريق الهجرتين (١/ ٢٧٦).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٣٩).

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

أو خارجٍ منها، ولا نازل مِن السَّماء ولا صاعد إليها؛ إلَّا وهو مشمولٌ بالعلم.

شمول علم اللَّه لجميع الأشياء

(﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾) وهي الخمس المذكورة في الحديث: «خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾»[1].

(﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾) فهذه الخمس لم يَطَّلع عليها مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ.

(﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾) هذه الآية فيها:

- إثبات صفة العلم، وشموله لجميع الأشياء، فما مِنْ شيءٍ إلَّا وهو مَشمولٌ بالعلم.

- وفيها: إثبات الكتابة.

---

(١) وهو جزءٌ من حديث جبريل السَّابق تخريجه (ص١٧٣).

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾.

وهي إحدى المرتبتين في القَدَر - كما يأتي[١] -.

(﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة العلم.

(١) (ص٣٩٧).

وَقَوْلِهِ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾.

صفة القُدْرَة وشمولها

(**وَقَوْلِهِ**: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾) هذه الآية فيها:

- إثبات صفة القُدْرَة الشَّاملة لجميع المقدورات؛ من المَوجُودات والمَعدُومَات والمُمْكِنات؛ إلَّا المُمْتَنِعات فإنَّها لم تكن شيئاً حتَّى تُشمَل، وهي مدلول اسمه «القدير».

- وإثبات صفة العلم.

العلم أشمل من القُدْرَة

- وشُمُولُ القُدْرَة وشُمُولُ العلم؛ فما مِنْ شيءٍ إلَّا دخل في القُدْرَة إلَّا ذاته ﷻ فإنَّها لا تَقبَل التَّصريف، فإنَّ القادرَ لا يكون مقدوراً، فالشُّمول الذي في العلم أعمُّ من الشُّمول الذي في القُدْرَة؛ فإنَّه تعالى أعلم بذاته وبأسمائه وصفاته وبشرعه ودينه وبجميع مخلوقاته.

بطلان قول: «إنَّ اللَّه لا يَقدِر إلَّا على ما يشاء»

وفي إثبات القُدْرَة على كلِّ شيءٍ: الرَّدُّ على المُرْشِدَة(١) الذين يقولون: «إنَّ اللَّه لا يَقدِر إلَّا على ما يشاء، وأمَّا ما لا

---

(١) هم: أتباع مُحمَّد بن عبد اللَّه بن تومرت البربريِّ، ظَهَر في المغرب في أوائل المئة الخامسة، أسَّسَ دولة المُوَحِّدين، وادَّعى أنَّه عَلَويٌّ حَسَنيٌّ، وأنَّه المَهديُّ، وافق المُعْتَزِلَة في شيء، والأشاعِرَة في شيء، وألَّف كتاباً سمَّاه: «المُرشِدَة»، ذكر فيه عقيدته، توفي سنة (٥٢٤هـ). مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٤٦٧)، بغية المرتاد (ص٤٩٤)، البداية والنِّهاية (١٦/ ٢٤٥).

. . . .

يَشاؤُه فلا يَقدِر عليه»، وهم طائفةٌ من المبتدعة مَعلومٌ بُطلانُ قَولِهم.

وهؤلاء الرَّدُّ عليهم من نحو ثمانين موضعاً من القرآن: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ونحوها.

كمالُ عِلْمِ اللَّه

وقوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾) فيه: كمال العلم؛ فإنَّ الإحاطةَ بالشَّيء عِلْماً هي الإحاطة به مِن كلِّ الجهات.

وقد جاء في قصَّة الخضر وموسى عليهما السلام حين أَتَى عصفورٌ فأخذ بمِنْقَاره من البحر، فقال الخضرُ لموسى عليهما السلام: «مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْرِ»[1]، وكما في الآية: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾، رقم (٤٧٢٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، رقم (٢٣٨٠)، من حديث أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

إثباتُ اسم الرَّزَّاق والقَويِّ والمَتِين للَّه

(**وَقَوْلِهِ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾) هذه الآية فيها: إثبات هذه الأسماء الثَّلاثة للَّه ﷻ حقيقةً على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته من غيرِ تَمثيلٍ.

وَقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(وَقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾) هذا من النَّفي المُجمَل - كما تَقدَّم[1] -.

أصلٌ عظيمٌ وهو: «عدم مشابهة اللَّه لخَلْقِه»

هذا فيه: نفي مماثلة الخَلْقِ للَّه ﷻ، فتقرَّر بذلك أَصلٌ عظيمٌ، وهو عدم مشابهته لخلقه.

إثباتُ اسمي السَّميع والبصير ومدلولهما

(﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾) هذا من الإثبات المُفصَّل، مع البُعد عن المشابهة للمخلوقين كلَّ البعد، فإنَّ أبعدَ شيءٍ مُشابَهةً هو بُعْدُ مُشابَهة الخَلْقِ بالخالق.

فيه: إثبات هذين الاسمين، وإثبات صفة السَّمع والبَصَر، على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته.

في الآية الرَّدُّ على طائفتين

وفيه: الرَّدُّ على الطَّائفتَيْن:

- أهل الجحد والتَّحريف والتَّعطيل.

- وأهل التَّشبيه والتَّمثيل.

فإنَّ طائفتي المبتدعة تقاسموا هذه الآية نصفين، وأهل السُّنَّة أثبتوا الصِّفات على حدِّ قوله: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾).

(١) (ص١٨٧).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

طريقة الكتاب والسُّنَّة في النَّفي والإثبات

وفي هذه الآية: بيان طريقة الكتاب والسُّنَّة في النَّفي والإثبات؛ أنَّ النَّفيَ إِجْمالٌ، والإثباتَ تَفصيلٌ - نفيٌ مُجمَل، وإثباتٌ مُفصَّل -.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾) هذه الآية فيها:

- إثبات هذين الاسمين؛ السَّمِيع والبَصِير.

- وإثبات صفتين - وهما مدلول هذين الاسمين - على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته.

وتعرف أنَّ الاسمَ من أسماء اللَّه له ثلاث دلالات[(١)].

جواز وَضْع الإبهام على الأذن والسَّبَّابة على العين لإثبات مدلول الصِّفة

ولمَّا قرأ النَّبيُّ ﷺ هذه الآية: وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه[(٢)]؛ بياناً منه أنَّه سَمْعٌ حقيقةً، وبَصَرٌ حقيقةً.

---

(١) دلالة على الذَّات والصِّفة بالمُطابَقة؛ ودلالة على إحداهما بالتَّضمُّن؛ ودلالة على الصِّفة الأخرى باللُّزوم. بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥).

(٢) رواه أبو داود، كتاب السُّنَّة، باب في الجَهْمِيَّة، رقم (٤٧٢٨)، عن أبي يونس سُلَيم بن جُبَيْر ﵀، ولفظه: «سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ».

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

إثباتُ صفة المشيئة والإرادة للَّه

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة المشيئة للَّه ﷻ التي تكون بها الأشياء، كما أنها لا تكون إلَّا بالقُدْرَة والعِلْم.

(﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾) هذه الآية فيها: إثبات المشيئة والإرادة.

(﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾) فيه: إثبات صفة الإرادة.

(﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾) فيه: إثبات صفة الإرادة للَّه ﷻ؛ وكذلك بقيَّة الآيات التي فيها إثبات صفة الإرادة.

. . . .

فهذه الآيات فيها: إثبات صفة المشيئة، وإثبات صفة الإرادة.

الإرادة قسمان

ووَرَدَ في النُّصوص إرادةٌ ومشيئة، وصرَّح مَنْ صرَّح بترادفهما[(١)]؛ ولم يفطن للتَّفصيل، ولكن أَولَى ما يكون أنَّ الإرادة إرادتان:

- إرادة كونيَّة قَدَريَّة، وهذه مُوافقةٌ للمشيئة، وليست حُجَّة لأَحدٍ.

- وإرادة شرعيَّة دينيَّة، فأراد اللَّه مِنَ العِبَاد شرعاً عبادته.

المشيئة لا تنقسم

وأمَّا المشيئة فلا تنقسم، فورودها في النُّصوص ما وردت إلَّا كونيَّة قَدَريَّة.

العلاقة بين الإرادة الشَّرعيَّة والكونيَّة

إذا عَرَفْنَا ذلك؛ فالإرادتان بينهما عُمومٌ وخُصوصٌ مُطلَق، يجتمعان في المُخلِص المُطِيع، ويفترقان في العاصي:

فالمُطيعُ أطاع اللَّه فيما أراده اللَّه منه شرعاً وديناً، وتبع الإرادة الكونيَّة القَدَريَّة.

وانفردت الكونيَّة القَدَريَّة في حقِّ العاصي؛ فالكفَّار أَبَوْا عمَّا

(١) من الخائضين في القَدَر من المُجْبِرة؛ كالجَهْم بن صفوان وأمثاله، حيث قالوا: «ليست الإرادة إلَّا بمعنى المشيئة». مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٧).

. . . .

أراد اللَّه منهم شرعاً، فلا تنالهم الإرادة الشَّرعيَّة، ولا لهم فيها نَصيبٌ؛ لحكمة اللَّه، وعدم صلاحيتهم لشيءٍ من ذلك، هم خارجون عن إرادة اللَّه الشَّرعيَّة الدِّينيَّة؛ وهي ما أراده على أَلسُن رُسُلِه من عبادته وحده.

والشَّرعيَّة الدِّينيَّة تَستَلْزِم مَحبَّته ورضاه ﷻ، بخلاف الكونيَّة القَدَريَّة.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

إثباتُ صفة المَحبَّة

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة المَحبَّة، وأنَّ اللَّه يُحِبُّ أهل طاعته مَحبَّةً تليق بجلاله وعظمته.

(﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾) هذه مثل التي قبلها.

(﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾) كذلك.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة المَحبَّة.

اللَّه يُحِبُّ ويُحَبُّ

(﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾) هذه الآية فيها زيادة: أنَّه يُحَبُّ.

مَحبَّة اللَّه للعباد مَحبَّة تفضُّل وإحسان

ففيها: إثبات المَحبَّة من الجانبين، ومَحبَّة العباد له مَحبَّةُ عبادةٍ وتعظيم وخضوع وإجلال، ومَحبَّة الباري لهم مَحبَّةُ تفضُّلٍ وإحسانٍ.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾.

(﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾) وهذه كالتي قبلها؛ في أنَّه يُحِبُّ ويُحَبُّ.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾) فيها: إثبات صفة المَحبَّة.

اسم الوَدُود ومعناه

(﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾) قال البخاريُّ: «يعني: الحَبِيب»[(١)].

فيها: إثبات صفة المغفرة، وهي مدلول اسمه «الغفور».

والمغفرة هي: التَّغطية مع الوقاية[(٢)]، يعني: الذي يَستُر عِبادَه ويَقِيهم عقوبة الذُّنوب.

هذه الآيات قَصْدُ المُصنِّفِ منها كلِّها: إثبات صفة المَحبَّة، وأنَّ اللَّه ﷻ يُحِبُّ حقيقةً؛ مَحبَّةً تليق بجلاله وعظمته، لا كمَحبَّة المخلوقين، يُحِبُّ رُسُلَه وعبادَه الموصوفين بهذه الصِّفات.

---

(١) رواه البخاري معلَّقاً (٩/ ١٢٤)، كتاب التَّوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، عن ابن عبَّاسٍ ﭭ موقوفاً.

(٢) الغريبَيْن في القرآن والحديث (٤/ ١٣٧٩)، شرح الطِّيبيِّ على مشكاة المصابيح (٦/ ٢٠٤٤).

. . . .

وفيها زِيادةٌ: أنَّهم يُحِبُّونه مَحبَّة تَديُّنٍ(١) وتَذلُّلٍ وتَعبُّدٍ، ومَحبَّته لهم مَحبَّة إحسانٍ وتفضُّلٍ.

الجَهْمِيَّة ينفون المَحبَّة من الجانبَيْن والرَّدُّ عليهم

وفيها: الرَّدُّ على الجَهْمِيَّة؛ فإنَّهم ينفون أنْ يُحِبَّ أو يُحَبَّ - ينفون المَحبَّة من الجانبَيْن -، كما أنكروا الخُلَّة(٢)، وهذا مِنْ ضلالِهم وجَهلِهم، قالوا: إنَّ المَحبَّة لا تكون إلَّا بين اثنين بينهما نوعٌ من المناسبة، كمناسبة مَحبَّة المخلوقين بعضهم لبعض؛ ففرُّوا منها إلى النَّفي.

نَعَم، مَحبَّة اللَّه لا مناسبة بينها وبين مَحبَّة المخلوقين، مَحبَّةً تليق بجلال اللَّه وعظمته من غيرِ تَمثيلٍ، لا يعلم كُنْهها ولا كيفيَّتها إلَّا هو ﷻ؛ فإنَّه أعلم بنفسه، وقد أعلمنا عن نفسه أنَّه يُحِبُّ ويُحَبُّ؛ فنحن نُؤمنُ باللَّه وبما جاء عن اللَّه على مراد اللَّه.

فالحاصل: أنَّ مَحبَّة الخالق غير مَحبَّة المخلوق؛ بل مَحبَّته جنس آخر على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته.

قاعدتان عظيمتان في أسماء اللَّه وصفاته

كلُّ ما جاء في القرآن أو الحديث الثَّابت فخُذْ معك أصلاً أنَّه على ما يليق بجلال اللَّه.

---

(١) أي: تَعبُّدٍ وتَألُّهٍ.

(٢) الخُلَّة: أعلى درجات المَحَبَّة. طريق الهجرتين (٢/ ٥٢٦).

. . . .

وكلُّ ما يجيء في الأسماء والصِّفات يُثْبَتُ على حدِّ قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ....

إثباتُ صفة الرَّحْمَة

(وَقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾) هذه آية البَسْمَلَة، وهي آية في القرآن بين كلِّ سورتين إلَّا في «براءة»، وهي أيضاً آية في النَّمل[1].

هذه الآية فيها هذان الاسمان للَّه (﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾) دلَّا على اتِّصافه تعالى بالرَّحْمَة، فالرَّحْمَة إحدى صفات الباري ﷻ.

الفَرْقُ بين الرَّحْمَن والرَّحِيم

وقول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: اسْمَانِ رَقِيقَانِ؛ أَحَدُهُمَا أَرَقُّ مِنَ الآخَرِ»[2] المَقصُود: السَّعَة، يعني: أسماء مبالغة؛ أنَّ كلّاً منهما صفة مبالغة، هذا معنى: «رَقِيقَانِ أَحَدُهُمَا أَرَقُّ - وَأَوْسَعُ - مِنَ الآخَرِ»، وأَوْسعُهما الرَّحْمَن؛ ولهذا جاء في التَّفسير: «رَحْمَن الدُّنيا والآخرة»[3]، فلولا رحمته العامَّة ما بقي أحدٌ على وجه الأرض، أمَّا الرَّحِيم فهي خاصَّة بالمؤمنين.

إثباتُ سَعَة رحمة اللَّه

(﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة الرَّحْمَة، وإثبات سَعَتِها، وإثبات صفة العلم، وإثبات سَعَتِه.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة النَّمل: ٣٠].
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٥).
(٣) تفسير الطَّبريِّ (٢٢/ ٥٥٠).

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

ففيه: شُمُول رَحْمتِه، كما فيه: شُمُول عِلْمِه، فما استقام أمر العَالَم إلَّا بالرَّحْمَة.

(﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾) فيها: إثبات صفة الرَّحْمَة.

رَحْمَةَ اللَّه وَسِعَت كلَّ شيءٍ بخلاف غَضَبِه

(﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾) فيه: إثبات صفة الرَّحْمَة أيضاً، وما كان من صفة الرَّحْمَة فهو غالبٌ لِمَا كان مِنْ صفة الغضب، فرَحْمَتُه وَسِعَت كلَّ شيءٍ، وغَضَبُه لم يسَعْ كلَّ شيءٍ.

(﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾).

رَحمَة اللَّه حقيقيَّة على ما يليق بجلاله وعظمته

كلُّ هذه الآيات فيها: إثبات صفة الرَّحْمَة للَّه تعالى، رَحْمَةً حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، مِنْ غير تَحريفٍ ولا تَعطيلٍ، ومِنْ غير تَكييفٍ ولا تَمثيلٍ، على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فهي رَحْمَةٌ حقيقيَّةٌ كلَّ الحقيقة؛ بل هي أَحقُّ الحقيقة، كما أنَّ للمَخلوقِ رَحْمَةً حقيقيَّةً تَختصُّ به.

. . . .

وكثيرٌ من شُرَّاح الكتب صرفوا معنى هذين الاسمين عن مدلولهما، فمنهم مَنْ يقول: «إنَّه المُنْعِمُ الحقيقيُّ»، ومنهم مَنْ يقول: «الرَّحْمَة إرادة الإنعام»، ونحو ذلك[1].

الرَّدُّ على مَنْ أوَّلَ صفة الرَّحْمَة

وكلُّ هذا من الكلام الباطل، ما حَمَلَهُم عليه إلَّا سوء الفهم، ولو فهموا فهماً صحيحاً ما صرفوه عن مَدلُولِه:

- فإنَّ الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة أنَّهم يَصِفُون اللَّه تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، مِنْ غير تَحريفٍ ولا تَعطيلٍ، ومِنْ غير تكييفٍ ولا تَمثيلٍ.

- ثمَّ يلزمهم في قولهم: «الرَّحْمَة إرادة الإنعام»، إمَّا أنْ يَقولُوا: «إنَّها كإرادة المخلوقين»، فنقولُ لهم: شبَّهتُم.

وإمَّا أنْ يَقولُوا: «إنَّها إرادةٌ حقيقةٌ تليق بجلال اللَّه وعظمته»، فنقولُ لهم: فما يمنعكم أنْ تقولوا في الرَّحْمَة: إنَّها حقيقيَّةٌ تليق بجلال اللَّه وعظمته؟!

- وأيضاً: فما يقال في الصِّفات فرعٌ عمَّا يقال في الذَّات، فيجب أنْ نَصِفَ اللَّه تعالى بما وصف به نفسَه في كتابه، ونُؤمنَ بما جاء عن اللَّه على مراد اللَّه، على ما يليق بجلال اللَّه

(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٥٦٤)، فيض القدير للمناوي (٢/ ٢٣٤)، دليل الفالحين لطرق رياض الصَّالحين (١/ ٣٠).

. . . .

وعظمته، ونقولَ: للَّه صفاتٌ ثابتةٌ حقيقةٌ لا تُشبِه صفاتِ المخلوقين، كما أنَّ للَّه ذاتاً حقيقيَّةً ثابتةً لا تُشبِه ذوات المخلوقين، ونَعتقِدَ أنَّ الصِّفات حقائقُ ولا نَقِف عندها؛ بل نستمرُّ كما استمرَّ الكتابُ العزيزُ، ونَقِفُ حيث وَقَف.

وَقَوْلِهِ: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ. . . . . .

إثباتُ صفة الرِّضا للَّه

(وَقَوْلِهِ: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾) فيه: إثبات صفة الرِّضا؛ رضاً يليق به، اللَّه أعلَم بكُنْهِه وكيفيَّتِه.

إثباتُ صفة الغَضَب واللَّعْن بالقول

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾) فيه: إثبات صفة الغضب على ما يليق بجلال اللَّه مِنْ غيرِ تَمثيلٍ.

وفيه: إثبات صفة اللَّعْن بالقول على ما يليق بجلال اللَّه مِنْ غيرِ تَمثيلٍ، قال المُصنِّف: «لا مانع مِنْ أنْ يقع اللَّعْن مِنَ اللَّه قولاً بالكلام»[(١)]، وهو ظاهر النُّصوص؛ أنَّه يَلعن مَنْ يَستحقُّ اللَّعْن بالقول، كما أنَّه تعالى يرضى عمَّن يستحقُّ الرِّضا، ويغضب على مَنْ يستحقُّ الغضب.

إثباتُ صفة السَّخَط للَّه

(وَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾) هذا فيه: إثبات صفة السَّخَط للَّه، وأنَّ اللَّه يَسخط حقيقةً.

---

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٥٠٣).

وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا . . . .

الفَرْقُ بين السَّخَط والغضب

السَّخَط هو: عدم الرِّضا[1]؛ وبين السَّخَط والغضب فرقٌ واضح: كثيراً ما يُقابَل السَّخَط بالرِّضا، والغضب لا يُقابَل به، فالسَّخَط إلى الكراهة أَقربُ منه إلى الغضب، فإنَّ الغضبَ يُعدَّى بـ«عَلَى»، والسَّخَط يُعدَّى بها تارةً، وبنفسه أخرى، والمُعدَّى بـ«عَلَى» يمكن أنَّ فيه شائبةَ الغضب[2].

(﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾) فيه: إثبات الرِّضا، وأنَّه حقيقة؛ فإنَّ اللَّه يرضى حقيقةً كما أنَّه يَسْخَط حقيقةً.

إثباتُ صفة الأَسَف

(وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾) يعني: أغضبونا.

فيه: إثبات صفة الأَسَفِ الذي بمعنى الغضب[3].

الأَسَفُ جاء في القرآن على مَعْنَيَيْن

والأَسَفُ جاء في القرآن على مَعنَيَيْن:

- على معنى الغضب؛ كما في هذه الآية.

- وجاء بمعنى الحُزْن، كما في قصَّة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾، والأَسِيفُ: الحَزِينُ، مثلُ قولِ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ

---

(١) الصِّحاح (٣/ ١١٣٠).

(٢) أي: شيء من الغضب.

(٣) الصِّحاح (٤/ ١٣٣٠).

ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

رَجُلٌ أَسِيفٌ؛ إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يَبْكِي، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى القِرَاءَةِ»[1]، وهو غير مُرادٍ هنا، ولا هو من صفات اللَّه، وإنَّما هو من صفات المخلوقين؛ فاللَّه سبحانه مُنزَّهٌ عن الحزن؛ فلا بدَّ من الفَرْق.

إثبات صفة الانتقام

(﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾) فيه: إثبات صفة الانتقام.

إثباتُ صفة الكراهة

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾) فيه: إثبات صفة الكراهة، وأنَّ اللَّه يَكره مَنْ يَستحقُّ الكراهة على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنَّ اللَّه يكرَه ما يُوجِب الكراهة من الأعمال.

إثباتُ صفة المَقْت

(وَقَوْلِهِ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾) فيه: إثبات صفة المَقْت[2] على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته، وأنَّ اللَّه يَمْقُتُ مَنْ يستحقُّ المَقْتَ؛ من الأقوال والأفعال.

وهذه الآيات فيها: إثبات هذه الصِّفات للَّه ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غيرِ تَمثيلٍ.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الأذان، باب مَنْ أسمعَ النَّاس تكبيرَ الإمام، رقم (٧١٢)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب استخلاف الإمام إذا عَرَض له عُذرٌ من مَرضٍ وسَفَرٍ وغيرهما مَنْ يُصلِّي بالنَّاس، رقم (٤١٨).

(٢) وهو: أشدُّ البُغْض. لسان العرب (٢/ ٩٠).

وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

إثباتُ صفة الإتيان للّه يوم القيامة

(وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾) هذا فيه: إثبات إتيان الرَّبِّ حقيقةً يوم القيامة لفَصْل القضاء بين عباده، إتياناً يليق بجلاله وعظمته، لا نُكيِّفُ ولا نُشبِّهُ.

وفيه: ما يَرُدُّ على المُحرِّفين؛ الذين يَقولُون: «يأتي أَمْرُه»:

- فأَمْرُه معطوفٌ على إتيانه.
- وأَمْرُه لم يزل يأتي دائماً في الدُّنيا والآخرة.

فدعواهم فيه[1] مَجازَ الحذف؛ باطلةٌ مخالفةٌ للنُّصوص وما عليه الجمهور[2]؛ بل يأتي تعالى بذاته على ما يليق بجَلالِه وكِبريَائِه.

(﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾) كالتي قبلها، فيها: إثبات إتيان الرَّبِّ يوم القيامة حقيقةً مِنْ غيرِ تَمثيلٍ.

---

(١) أي: في إتيانه سبحانه.

(٢) أي: جميع أهلِ الدِّيانةِ والسُّنَّة والجماعةِ من السَّلَفِ الماضين والصَّحابةِ والتَّابعينَ، من الأئمَّة المُهْتَدِين الرَّاشِدين المَشْهُورين إلى زماننا هذا. الصَّواعق المُرسَلة (١/ ١٨٩)، اجتماع الجيوش الإسلاميَّة (٢/ ١٧١).

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾، ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

إثباتُ صفة المجيء للَّه يوم القيامة

(﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة مجيء اللَّه سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته مِنْ غيرِ تَمثيلٍ.

(﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفةٍ؛ وهي: إتيان الرَّبِّ يوم القيامة لفَصْل القضاء بين عباده، فإنَّه كما جاء في تفسيرها: «أنَّ الأرضَ بعدما تُمَدُّ يوم القيامة مدَّ الأَدِيم العُكَاظيِّ[1]، فيُحشَر جَمِيع مَنْ كان في الأرض، ثمَّ بعد ذلك تَنشقُّ السَّماء الدُّنيا؛ فيَنزلُ مَنْ فيها من الملائكة، فتحيط بمَنْ في الأرض كلِّهم، ثمَّ الثَّانية، ثمَّ الثَّالثة إلى آخر السَّبع، ثمَّ يَنزلُ الرَّبُّ تعالى للفَصْل بين عباده؛ ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾»[2]؛ فصار فيه إثبات مجيء الرَّبِّ تعالى، لا نَعلَم كُنْهَهُ ولا كَيفيَّتَهُ؛ مَجيئاً حقيقةً على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته.

---

(١) رواه البيهقيُّ في البَعْثِ والنُّشور (ص٣٣٦)، رقم (٦٠٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وتُمَدُّ: أي: تُبسَط، والأَدِيم: بَاطِن الجِلْد الذي يلي اللَّحْم، والعُكَاظِيُّ: ما حُمِل إلى سُوقِ عُكَاظ فبِيعَ فيه، وعُكَاظ: سُوقٌ شمال شرق الطَّائف تَجْتَمِع فيه قبائل العرب قديماً فيَتَفاخَرُون ويَتَناشَدُون. الصِّحاح (٥/١٨٥٨)، القاموس المحيط (١/٦٩٦)، تاج العروس (٢٠/٢٣٩)، معجم المعالم الجغرافيَّة (ص٢١٥).
(٢) تفسير الطَّبريِّ (٢٠/٥٢٩)، تفسير ابن كثير (٣/٣٨٣).

. . . .

المراد بالذي «دَنَا» في الآية والحديث

ونعرف أنَّ ما جاء في الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ أنَّ المراد: هو جبريل[١]، وأمَّا ما في الحديث في البُخاريِّ[٢] فالمراد: الباري ﷻ، وهو مَعروفٌ عند أهل التَّحقيق[٣].

(١) تفسير الطَّبريِّ (٢٢/ ١٤).

(٢) كتاب التَّوحيد، باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، رقم (٧٥١٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: «حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، وَدَنَا الجَبَّارُ رَبُّ العِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى».

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٢٣٤)، زاد المعاد (٣/ ٣٤).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

إثباتُ صفة الوجه للَّه وَوصْفُه

(**وَقَوْلِهِ**) سبحانه: (﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة الوجه للَّه ﷻ، على ما يليق بجَلالِ اللَّه وكِبريَائِه وعَظمتِه مِنْ غيرِ تَمثيلٍ.

وفيها: وَصْفُ وجه الباري بالجَلَال والإكرام.

(﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾) فيه: إثبات صفة الوجه، على ما يليق بجَلالِ اللَّه وكِبريَائِه وعَظمتِه وتَقدَّستْ أَسمَاؤُه.

وهذه الصِّفة ممَّا ادَّعت فيه الجَهْمِيَّة المَجَاز، واختلفوا في جهة مَجَازِه؛ وهو بَاطلٌ كالذي قبله.

وَقَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

إثباتُ صفة اليَدَيْن للّه

(وَقَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾) هذا قوله لإبليس تَبْكيتاً له[1].

هذه الآية فيها: إثبات صفة اليدَيْن للَّه ﷻ حقيقةً، على ما يليق بجلاله وعظمته.

الرَّدُّ على مَنْ أَوَّلَ اليد بالنِّعْمَة أو القُدْرَة

وفيه إبطال قول مَنْ قال: إنَّ اليد النِّعْمَة أو القُدْرَة، وهو بَاطلٌ:

- فإنَّ اللَّه تعالى ذكر الخَلْقَ، وذكر ما يَخْلُقُ به.

- وأيضاً: القُدْرَة ما جاءت قُدرتَيْن أو نِعمتَيْن.

- وَقُرِن بالفعل؛ ومثل: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ»[2]، المراد: اليَد التي بها الفعل.

فتعيَّن أنْ تكون اليَدَيْن، ويدلَّ على الحقيقة.

(﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾) هذه الآية أيضاً فيها: إثبات صفة

---

(١) أي: تَوْبيخاً له وتَقْبيحاً لفِعْلِه. المصباح المنير (١/٥٨).

(٢) رواه النَّسائيُّ في السُّنن الكبرى، كتاب عمل اليوم واللَّيلة، باب ما يقول إذا عطس، رقم (٩٩٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

اليَدَيْن للَّه سبحانه حقيقةً على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته، الأُولَى بالإفراد، والثَّانية بالتَّثنيةِ.

معنى «وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ»

وجاء في الحديث: «إِحْدَاهُمَا يَمِينٌ، وَالأُخْرَى شِمَالٌ»(١)، وما جاء في الحديث: «وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ»(٢)؛ فليس نفياً لليَدَيْن، وإنَّما كلٌّ منهما يَمِين في الفضل والبركة والكمال.

إثباتُ وَصْفِ اليدَيْن بأنَّهما مبسوطتان

وفيها: إثبات هذا البَسْط، والبَسْطُ في كلام العرب هو: السَّعَة وكثرة العطاء(٣)، كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ الآية.

كمالُ جُود اللَّه

وفيها: بيانٌ لكمال جُوده سبحانه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجَنَّة والنَّار، رقم (٢٧٨٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «يَطْوِي اللَّهُ عز وجل السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟».

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحَثِّ على الرِّفْق بالرَّعِيَّة، والنَّهي عن إدخال المَشقَّة عليهم، رقم (١٨٢٧)، من حديث عبد اللَّه بن عَمرٍو رضي الله عنهما، ولفظه: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ».

(٣) مقاييس اللُّغة (١/ ٢٤٧).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾.

إثباتُ صفة العَينَيْن لله

(**وَقَوْلِهِ**: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة العَينَيْن للَّه ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته.

(﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾) هذه الآية مثل التي قبلها، فيها: إثبات العَينَيْن للَّه سبحانه وتعالى.

المراد بالجَمْعِ في العَيْن: المُثنَّى

وأتت بصيغة الجمع (﴿بِأَعْيُنِنَا﴾) لتناسب ضمير العَظَمَة، والمراد به: المُثنَّى.

وجاء في الحديث أنَّه ﷺ وضع إبْهَامَه على أذنه والتي تَلِيها على عينه - وتَقدَّم[1] -، إشارة منه على أنَّ للَّه سبحانه سمعاً حقيقةً وبَصَراً حقيقةً.

(﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾) هذا فيه: إثبات العَينَيْن للَّه ﷻ.

المراد بالمُفرَد في العَيْن: المُثنَّى

(﴿عَيْنِىٓ﴾) مُفردٌ مضافٌ جارٍ على ما تقوله العرب في كلامهم: «رَعَيْتُك بعَيْنِي»، ونحو ذلك، والمراد: المُثنَّى.

---

(١) (ص٢١٨).

. . . .

وكذلك الثَّلاث فيها تَشوُّه، وكذلك الواحدة، فإنَّ في الحديث: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[1]، نؤمن به ونَكِلُ كيفيَّته.

(١) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ «تُغَذَّى»، وقوله جلَّ ذِكرُه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، رقم (٧٤٠٨)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذكر الدَّجَّال وصفته وما معه، رقم (٢٩٣٣)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَـوْلِـهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، . . . .

إثباتُ صفة السَّمعِ للَّه

(وَقَـوْلِـهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة السَّمعِ للَّه على ما يليق بجلاله من ثلاثة أوجه:

الأوَّل: بصيغة الماضي[١].

والثَّاني: بصيغة المضارع[٢].

والثَّالث: بصيغة اسم الفاعل[٣].

وفيها: إثبات صفة البَصَر مِنْ غيرِ تَمثيلٍ.

وهذه الآية نَزلت في المرأة المُجادِلة؛ التي ظَاهَرَ منها زَوجُها، وكان لها منه عِيال، وكانت فقيرة؛ فجاءت تشتكي إلى النَّبيِّ ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، إِنْ كَانَتْ لَفِي البَيْتِ تُكَلِّمُ الرَّسُولَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُ حَدِيثِهَا، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلَ مَالِي، وَأَفْنَى شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي[٤]، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ

(١) في قوله تعالى: ﴿سَمِعَ﴾.
(٢) في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ﴾.
(٣) في قوله تعالى: ﴿سَمِيعُۢ﴾.
(٤) تُريد أنَّها كبرت وأولدت له. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٧٤).

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَذِهِ الآيَةِ»[١].

(﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾) فيها: إثبات صفة السَّمع أيضاً.

أهل السُّنَّة يُثبِتون الصِّفاتِ الخَبريَّةَ والفِعليَّة

وأهل السُّنَّة يُثْبِتون: السَّمعَ، والبَصَرَ، والحياةَ، والقُدْرَةَ، والعِلْمَ، والكَلامَ، وغيرَها من الصِّفات الخَبريَّة كالوجه واليَدَيْن والعَينَيْن، والصِّفات الفِعليَّة كالضَّحك والغضب والرِّضا والنُّزول والاستواء على العرش؛ وهي صفات كمال، وأضدادها صفات نقص يُنزَّه عنه الرَّبُّ، ويَعتَقِدُون لها معانيَ حقيقيَّة، ويُفسِّرونها ويُبيِّنونها، خلافاً للجَهْمِيَّة وغيرهم.

إنكار اللّه على مَنْ ظنَّ أنَّه لا يَسْمَع

(﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ﴾) أنكر تعالى على مَنْ ظنَّ أنَّه لا يَسْمَع، (﴿بَلَىٰ﴾) يعني: بلى نَسْمَع سرَّهم ونجواهم، (﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾).

(﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الطَّلاق، باب الظِّهار، رقم (٢٠٦٣).

. . . .

السَّمع، كما أنَّه يَسْمَع جَمِيع المَسمُوعَات، فكذلك يَرَى جَمِيع المرئيَّات.

وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

إثباتُ أنَّ اللَّه يَرَى

(**وَقَوْلِهِ**: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾) فيه: إثبات أنَّ اللَّه يَرَى جَمِيع المرئيَّات والمُبصَرات.

(﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾) هذه الآية كالتي قبلها.

(﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) فيه: إثبات رؤية اللَّه لأعمال العباد.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾.

إثباتُ صفة المُمَاحلة ومعناها

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾) أي: المُمَاحَلة، وهي: العقوبة، والأخذ لمَنْ عَصاه(١).

إثباتُ صفة المَكْر

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة المَكْر، وأنَّه سبحانه يَمْكُر مَكْراً حقيقيّاً على وجهٍ لا نقص فيه، على ما يليق بجَلالِه وعَظمتِه، مِنْ غيرِ تَمثيلٍ، بخلاف مَكْر المخلوق؛ فإنَّ فيه ما هو على وجهه، وفيه ما هو مذموم.

﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾) فيه: إثبات صفة المَكْر للَّه حقيقة بمَنْ مَكَر به، على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته، حقيقةً على وجهٍ جَميلٍ حَسنٍ يليق به سبحانه، مِنْ غيرِ تَمثيلٍ بمَكْر المخلوقين وصفاتهم، فما فيه الذَّمُّ والعيب فهو مُنزَّهٌ عنه تعالى وتَقدَّس.

إثباتُ صفة الكَيْد

(وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة الكَيْد.

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٧٦٢).

. . . .

صفة المُماحَلة والمَكْر والكَيْد يُضافُ للَّه منها الوَجْه المَحمُود

ونعرف أنَّ ما جاء في النُّصوص من ذلك[١] أنَّ ما كان منه على وَجهٍ مَذمومٍ لا يُضافُ إلى اللَّه، لا يُضافُ منه إلَّا الوجه المحمود الممدوح الكمال.

قاعدة: «الإخبار بالفعل لا يُشتقُّ منه اسم»

ونَعرِف أنَّ ما ورد بلفظ الفعل لا يُطلَق على اللَّه إلَّا ما جاء في النَّص، فلا يلزم من الإخبار عنه بالفعل أنْ يُشتَقَّ منه اسمٌ مُطلَق، كالمُضلِّ والمَاكِر.

قاعدة: «الإخبار بالفعل أَوسعُ من التَّسمية»

وهنا قاعدة ذكرها ابن القَيِّم في «المدارج»[٢] - وكأنَّه أخذها من الاستقراء -: «أنَّ الإخبار بالفعل أوسعُ من التَّسمية».

---

(١) أي: مِنْ إثبات صفة المُمَاحَلة والمَكر والكيد للَّه تعالى.

(٢) قال ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السَّالكين (٤/ ٣٩٤): «الفعل أوسعُ من الاسم؛ ولهذا أطلق اللَّه على نفسه أفعالاً لم يتسمَّ منها بأسماء الفاعل، كـ(أراد) و(شاء) و(أحدث)، ولم يُسمِّ نفسَه بـ(المريد) و(الشَّائي) و(المُحدِث)، كما لم يسمِّ نفسَه: بـ(الصَّانع) و(الفاعل) و(المُتقِن)، وغير ذلك من الأسماء التي أَطْلَق أفعالها على نفسِه.

فباب الأفعال أوسعُ من باب الأسماء، وقد أخطأ أَقبح خطأ مَنِ اشتقَّ له مِنْ كلِّ فِعلٍ اسماً، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسمَّاه: المَاكِر والمُخادِع والفَاتِن والكَائِد، ونحو ذلك».

وَقَـوْلِـهِ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

إثباتُ صفة العَفْو والقُدْرَة

(وَقَوْلِهِ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة العَفْو والقُدْرَة.

والعَفُوُّ: أَصلُه بواوين، لكن أُدْغِمت الواو في الواو، فصار «عَفُوّاً».

معنى العَفْو

والعَفْو هو: التَّرْك[1]، تَرْكُ صاحب الجريمة عن مُجازَاتِه عليها.

والعَفُوُّ - مُشدَّداً -: الكثيرُ والعظيمُ العَفْوِ والتَّجاوزِ عن عباده.

اسمه «عَفُوٌّ»، وصفته «عَفْوٌ» - بالتَّخفيف -، عَفُوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ، ويُحِبُّ مِنْ عباده أنْ يَعفوَ بعضهم عَنْ بعضٍ عَنْ حقِّه.

أكملُ العَفْو ما كان عن قُدْرَة

والعَفْوُ أكملُ ما يكون وأجْمَلُه إذا كان عن قُدْرَة، وإلَّا فرُبَّما يُوجَد عَفْوٌ ممَّنْ يَصدُر منه العَفْو مع عدم قُدْرَة، أو ضعف، أو يَخافُ أنْ لا يَأخذَ حقَّه، أمَّا مَنْ عفا لا عن ضعفٍ فهذا أكمل، ولذلك جاء مقروناً به القُدْرَة.

إثباتُ صفة المغفرة والرَّحْمَة

(﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) الصِّحاح (٦/ ٢٤٣٣).

رَّحِيمٌ﴾.

رَّحِيمٌ﴾) هذه الآية فيها:

إثبات هذين الاسمين للَّه تعالى: «الغفور»، و«الرَّحيم»؛ فأفادا اتِّصافه بمدلولهما من الرَّحْمَة والمغفرة.

وأفاد أيضاً: بصفة الفعل.

فكان في الآية دليلان: الأوَّل: يغفر، والثَّاني: غفور.

معنى المغفرة

والمَغفرةُ: اشتقاقها من الغَفْر، وهو: السَّتْر[١]، ومنه: المِغْفَر على الرَّأس، فمغفرة الذُّنوب وِقايةُ شرِّها وسَتْرُها.

والمُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ قرَّر في هذه المسألة: أنَّه لا بدَّ من الوقاية والسَّتْر؛ فإنَّ المِغْفَر يستر الرَّأس ويَقِيه السِّلاح[٢].

ليس في القرآن عطفٌ على متساويَيْن معناهما واحد

والقرآنُ لا يُسَلَّم أنْ يكون فيه عطفٌ على متساويَيْن - مثل اسمٍ على اسمٍ، أو فعلٍ على فعلٍ - معناهما واحد، وهو نَزَل بأفصح اللُّغات، وإلَّا بعض أُناسٍ يظنُّ أنَّ فيها عطفاً مُرادِفاً مَحْضاً على مُرادِفه بمعانيه الكلِّيَّة الكاملة، وهذا ذَكَرَه شيخ الإسلام في «الإيمان الكبير» في العطف[٣].

---

(١) تهذيب اللُّغة (٨/ ١١٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٣١٧).

(٣) أي: في «فَصْل: وعَطْف الشَّيء على الشَّيء في القرآن وسائر الكلام...» (ص١٣٨).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

إثباتُ صفة العِزَّة ومعناها

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) هذه فيها: إثبات صفة العِزَّة، وهي مدلول اسمه تعالى «العزيز».

العِزَّةُ تُطلَق ويراد بها: القوَّة والغَلَبَة[1].

وقوله عن إبليس: (﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾) فيها: إثبات صفة العِزَّة، وهي مدلول اسمه سبحانه «العزيز».

---

(١) الصِّحاح (٣/ ٨٨٦).

وَقَوْلِهِ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

إثباتُ الأسماء للَّه وأنَّها بلغت الغاية في كثرة النَّفْعِ والخير

(وَقَوْلِهِ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾) (﴿تَبَٰرَكَ﴾) أي: أنَّه بلغ في البركة النِّهاية والغاية، والنَّفع والسَّعَة.

والبركة هي: كثرة النَّفع[1].

وفي هذه الآية: إثبات الأسماء للَّه سبحانه.

والمراد بالاسم: جنس - جَمِيع الأسماء -، فإنَّه مُفردٌ مُضافٌ إلى معرفة، فَشَمِلَ وعَمَّ جَمِيعَ الأسماء.

فدلَّ على أنَّ للَّه سبحانه أسماء، وأنَّها بلغت في كثرة النَّفع والخير الغاية.

إثباتُ صفة الجلال والإكرام للَّه

وفيها: إثبات صفة الجلال والإكرام للَّه سُبحانه وتعالى.

---

(١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٧/ ٧٢).

وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ....

نفيُ السَّمِيِّ والكفو والنِّدِّ للَّه

(**وَقَوْلِهِ**: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾) استفهامٌ بمعنى النَّفي العامِّ، وصيغة الاستفهام في قوله: (﴿هَلْ﴾) أبلغُ في النَّفي، أي: لا سَميَّ له، أي: لا أحدَ يَستحقُّ مثل اسمه، ولا مُساوِي له، ولا مُسامِي.

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾) الكُفْوُ: المُسَاوِي[1]، لم يكن له مُسَاوِياً أحد؛ لكماله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته، وهذا من النَّفي العامِّ يُراد منه الكمال، فهو مقصودٌ لغيره، بخلاف الإثبات المُفصَّل فإنَّه مَقصودٌ لذاته - وتقدَّم[2] -.

النَّفيُ المُجْمَل يُراد منه الكمال

وهذه طريقة الكتاب العزيز في النَّفي: النَّفي المُجْمَل - نفي ما لا يليق باللَّه نفياً مُجملاً -.

(﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾)، النِّدُّ: المثل والشَّبيه، يعني: لا مِثْلَ له ولا نَظيرَ.

ففيه: نفي النِّدِّ عن اللَّه سبحانه.

وهذه الآية من النَّفي العامِّ المُجمَل، وكذلك نظائرها؛ كقوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾.

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٨٩).
(٢) (ص١٩٥).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾، ....

(﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾) (﴿أَندَادًا﴾): أشباهاً ونُظراء، إنكارٌ على النَّاس الذين يتَّخذون الأنداد مع اللَّه.

(﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾) هذه الآية يُقالُ لها: «آيةُ العِزِّ»[١]، وجاء في بعض الأخبار أو الآثار: «أنَّ البَيتَ الذي تُقرَأ فيه هذه الآية يَأمَنُ أَهلُه من السُّرَّاق»[٢].

إثباتُ جَميع الحَمْد للَّه

وهذه الآية فيها إثباتُ جَمِيع الحَمْد للَّه سبحانه - لذاته ولأسمائه وصفاته، وعلى قضائه وقدره -، واستحقاقه تعالى الحَمْد يفيد أنَّه مُتنزِّهٌ عَنْ جَميعِ النَّقائص؛ إذ يستحيل ثبوت الحَمْد لمَنْ ليس كذلك.

كلُّ جُمْلَة في الآية من النَّفي المُجمَل

(﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾) إلى آخر الآية، كلُّ جُمْلَةٍ مِنْ جُمَلِها من النَّفي المُجمَل.

---

(١) كما في حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «آيَةُ العِزِّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآيَةَ كُلَّهَا» رواه أحمد في المسند، رقم (١٥٦٣٤).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٣/ ٧١): «وفي بعض الآثار: (أنَّها ما قُرِئَت في بَيتٍ لَيلةً؛ فيُصيبه سَرَقٌ أو آفَة) واللَّهُ أعلم».

. . . .

نَفْيُ الولد والشَّريك والوَليِّ من الذُّلِّ عن اللَّه

ففيه: نفي الولد؛ لمنافاة ذلك لكمال صَمديَّته وغِنَاه سبحانه، فإنَّه الغنيُّ بذاته عَنْ كلِّ ما سواه.

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾) فيه: نفي الشَّريك في الملك؛ لمنافاته لوحدانيَّته سبحانه.

اتَّخذ اللَّه أولياء لكن لا من الذُّلِّ

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾) الوليُّ: النَّاصر[1]، يعني: أنَّه لا يحتاج لأنصارٍ ينصرونه من الذُّلِّ سبحانه، فليس له مِنْ خَلْقِه أولياء يتعزَّز بهم مِنْ ذِلَّة، ولا يَتكثَّرُ بهم مِنْ قِلَّة، كما يكون للمخلوق وليٌّ يُعِزُّه وينصرُه، فهو الغَنيُّ عَنْ ذلك كلِّه، وإنَّما اتَّخذ أولياء من أهل طاعته وعبادته الذَّالِّين له الخاضعين، لكن لا من الذُّلِّ، وهو وَالَاهُمْ، بأنْ هداهم إحساناً منه تعالى، وهم وَالَوْهُ بالذُّلِّ والخضوع.

إثباتُ الكِبريَاء للَّه

(﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾) عظِّمْه تَعظِيماً.

وهذا يفيد: أنَّه الكبير الذي لا أكبر منه تعالى.

وفيه: وَصْفُه بالكبرياء والعظمة، فهو أكبرُ مِنْ كلِّ شيءٍ، وأَعظمُ مِنْ كلِّ شيءٍ.

وفيه: آكديَّة تَعظيمِه وإِجلالِه.

---

(١) معاني القرآن للنَّحَّاس (١/ ٤٦٩).

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

تَنَزُّه اللَّه عن جميع النَّقائص والعيوب

(﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾) التَّسبيح: التَّنزيه والتَّقديس.

جَمِيع مَنْ في السَّموات والأرض يُسبِّح، منها ما هو تسبيحه بلسان الحال، ومنها ما هو بلسان المقال؛ كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؛ فجميع الكائنات ناطقةٌ بتسبيحه وتمجيده.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[1]

مُتَّصِفٌ بصفات الكمال، مُتنزِّهٌ عن جميع النَّقائص والعيوب.

إثباتُ المُلْكِ المُطلَق والحمد للَّه

(﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾) هذا فيه: إثبات المُلْكِ المُطلَق للَّه سبحانه من جميع الوجوه.

وفيه: إثبات صفات الكمال؛ إذ يَستحيلُ ثبوت المُلْكِ لِمَنْ ليس كذلك.

(﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾) هذا فيه: إثبات الحَمْد للَّه.

إثباتُ القُدْرَة للَّه

(﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾) هذا فيه: إثبات القُدْرَة للَّه

---

(١) من قول أبي العتاهية. طبقات الشُّعراء (ص٦٢).

. . . .

سبحانه على جميع المخلوقات - الموجودات، والمعدومات، والممكنات أنْ توجد -؛ فهي مشمولةٌ بقدرته.

حكم قول: «اللَّه على ما يشاء قدير»

وقول بعض العلماء كما يذكره ابن كثير: «إنَّه على ما يشاء قدير»[1]؛ ذهولٌ منه.

وبعض المبتدعة يُنكِر قدرته إلَّا على ما يشاء، وأمَّا ما لا يشاء فلا.

وقد ردَّ المُصنِّف وبيَّن بطلان ما ادَّعَوْه بالبراهين الواضحة القاطعة - كهذه الآية ونظائرها - من أنَّه سبحانه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ممَّا يريده وممَّا لا يريده[2].

وقُدْرَتُه على كلِّ شيءٍ تقتضي إثبات صفات الكمال والتَّنزُّه عمَّا لا يليق بجلاله وعظمته؛ إذ يَستحيل ثبوت القُدْرَة لمَنْ ليس كذلك.

العلم أشملُ من القُدْرَة

والقُدْرَةُ والعلمُ من أشملِ صفاته ﷻ، فما من شيءٍ إلَّا وهو مشمولٌ بالعلم، وهو أشملُ من القُدْرَة، فالعلم يَشملُ العلم بالذَّات وبالأسماء والصِّفات وبالمخلوقات، فهو أعلمُ بنفسِه

(١) ذكرها مرَّتين في تفسيره (٤/ ٣٣٤)، (٦/ ٥٣٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٧).

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۞

وبغيرِه، والقُدْرَة تشمل جميع المخلوقات، ولا تشمل الذَّات والأسماء والصِّفات؛ لأنَّها لا تَقبَل تصريفاً ولا تبديلاً، وهذا مستثنى بالعقل.

بلغ اللَّه الغاية في البركة

(﴿تَبَارَكَ﴾) أي: تعاظم[1]، بلغ في البركة نهايتها وغايتها، والبركة: كثرة النَّفع وكثرة الخير، يعني: بلغ فيها النِّهايَة.

وهذه الصِّيغة «تَفاعَل» جاءت في القرآن مُطَّرِدةً في حقِّ اللَّه تعالى خاصَّة؛ فلا يجوز إطلاقها على المخلوق، فلا يقال: «تَبَارَكْتَ عَلَيْنَا» ونحو ذلك؛ فإنَّ اللَّه هو المُتبارِك، والعبد هو المبارَك.

(﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾) هو: أحد أسماء القرآن، وسُمِّيَ: «فُرقاناً»؛ لفَرْقِه بين الحقِّ والباطل.

شَرَفُ المخلوق بطاعة خالقه

(﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾) يعني: مُحمَّداً ﷺ، هذه هي العُبوديَّة الخاصَّة، وذلك أنَّ أَشرفَ حالات العبد ما يكون فيه طاعة خالِقه ومُوجِده، فإنَّ شرف المخلوق بطاعة خالقه.

(﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ﴾) للخلق، وهم الثَّقَلان.

(﴿نَذِيرًا﴾) للَّذين فيهم أهليَّةٌ لِلنِّذَارَةِ، وأهليَّةٌ للتَّكليف.

(١) تفسير الطَّبريِّ (٢٣/ ١١٨).

ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

اتِّصاف اللَّه بصفاتِ الكمال

(﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) هذا فيه تفرُّده تعالى بملك السَّموات والأرض، فيفيد اتِّصافه بصفات الكمال، وتنزُّهه عن جَميع النَّقائص والعيوب.

نفيُ الولد والشَّريك عن اللَّه

(﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾) نفي الولد لمُنافَاتِه صَمديَّته تعالى.

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾) نفي الشَّريك لمُنافَاتِه لوحدانيَّة الباري جَلَّ جَلَالُهُ.

(﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾) فيه: تفرُّده بخلق كلِّ شيء.

هَيَّأ اللَّه الأشياء قبل أنْ تُوجَد

(﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾) هيَّأهُ تهيئة، كلُّ شيءٍ على ما يُناسِبُه ويُشاكِلُه.

التَّقدير: تهيئة الأشياء قبل أنْ تُوجَد، وهو سبحانه سبق منه تقدير الأشياء قبل أنْ تُوجَد، فـ«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[1].

فأفادت هذه الآية: الإيمان بالقَدَر.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب السُّنَّة، باب في القَدَر، رقم (٤٧٠٠)، من حديث عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ . . . .

نفيُ الولد عن اللّه لمُنافَاتِه لصَمديَّته

(﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾) هذا فيه: نفي الولد عن اللَّه؛ لمنافاة الولد لصَمَديَّته.

و(﴿وَلَدٍ﴾) هذا نكرةٌ في سياق النَّفي، وقد دخلت عليها (﴿مِن﴾)؛ فصار من أبلغ النَّفي.

نفيُ الإله مع اللّه لمُنافَاتِه لوَحدانيَّته

(﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾) لجميع المخلوقات، هذا فيه: نفي الإله مع اللَّه، ونفي الإله لمُنافَاتِه لوَحدانيَّته تعالى.

مِنْ لوازم اتِّخاذ إلهَيْن اثنَيْن

(﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾) لو قُدِّر - تعالى اللَّه وتقدَّس - أنَّ مع اللَّه إلهاً ثانياً لهذا الوجود ويستحقُّ أنْ يُعبَد؛ لَلَزِم أن يذهب كلُّ إلهٍ بما خلَق، لا تَتَّحِدُ ولا تَتَّفِقُ إرادتهما، ولو اتَّفقت وقتاً ما؛ ما اتَّفقت إلى الأبد، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ الآية.

(﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾) ولَلَزِم مِنْ ذلك أنْ يَعلوَ بعضهم على بعضٍ، فلمَّا كان الوجود خالياً من هذا؛ تبيَّن أنَّ اللَّه هو المُستحقُّ أنْ يُفرَدَ بالعبادة.

الآية سِيقَتْ لتقرير توحيد الأُلوهيَّة والعبادة

وهذه الآية سِيقَتْ لتقرير توحيد الأُلوهيَّة والعبادة، وأنَّ اللَّه هو المُستحقُّ أنْ يُعبَد وحده دون كلِّ مَنْ سواه، كما قرَّره الشَّيخ

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

تقيُّ الدِّين[1] وتِلميذُه ابن القيِّم[2].

الآية لم يُقصَد بها دليل التَّمانُع

وزعم طائفة من المُتكلِّمين: أنَّ هذه الآية دليل التَّمانُع[3].

والصَّحيح: أنَّ دَليلَ التَّمانُع عقليٌّ، وأنَّ الآيَةَ لم يُقصَد بها ذلك، وإنَّما المقصود بها: إفراد اللَّه بالعبادة، وإنْ كان يلزم من ذلك ويقتضي صحَّة التَّمانُع من ضمنها.

(﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾).

نَفيُ المِثْلِ عن اللَّه

(﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾) هذه الآية فيها: مَنْعُ ضَرْبِ الأمثال للَّه ﷻ.

فيفيد أنَّه تعالى لا مِثْلَ له؛ إذ لو كان له مِثْلٌ - تعالى اللَّه وتقدَّس عن ذلك عُلُوّاً كبيراً - لَمَا نَهَى عَنْ ضَرْب الأمثال له،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٩٧).
(٢) الصَّواعق المُرسَلة (٢/ ٤٦٢).
(٣) أي: امتناع صدور العالم عن اثنَيْن. درء تعارض العقل والنَّقل (٩/ ٣٥٤)، شرح الطَّحاوية لابن أبي العِزِّ الحنفيِّ (ص٣٨).

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

فلمَّا نَهى عن ضَرْب الأمثال له عُلِم أنَّه سبحانه لا مِثْلَ له، وهذا مِنْ أعظمِ ضَروريَّات العقل؛ أنَّه لا يُماثِله شيءٌ مِنْ خلقه تعالى.

آيةٌ جَمَعَت أُصول المُحرَّمات

وقوله: (﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾) هذه الآية الكريمة جَمَعَت أُصول المُحرَّمات؛ مُتنقِّلاً فيها من الأدنى إلى الأعلى:

فأدنى المُحرَّمات: (﴿ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾).

ثمَّ: (﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾) وهو أعظم من الفواحش.

(﴿وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾) وهو أعظم من الإثم.

ثمَّ: (﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾) وهو الشِّرك بالله في رُبوبيَّته، أو في أُلوهيَّته، وهو أعظم من البَغْي بغير الحقِّ.

القول على الله بلا عِلْم أعظم من الشِّرك

(﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾) هذا أعظمُ من الشِّرك، وإنَّما كان القولُ على الله بلا عِلمٍ أعظمَ من الشِّرك؛ لأنَّه يَستلزمُ الشِّرك وزيادة.

القول على الله بلا عِلْم يشمل قسمين

فأَعظَمُ المُحرَّمَات: القول على الله بلا عِلمٍ، وإذا عَرَفْتَ أنَّه أعظم هذه المُحرَّمات، فالقول على الله بلا عِلمٍ يشمل قسمين:

. . . .

- القول على اللَّه بلا عِلمٍ في أوامره ونواهيه، وشرعه ودينه، وتحليله وتحريمه.

- والقول عليه بلا عِلمٍ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فالقول على اللَّه بلا عِلمٍ في ذاته وأسمائه وصفاته وأَفعاله أعظمُ من القول عليه بلا عِلمٍ في أَوامرِه ونَواهِيه وشَرعِه ودِينِه وتَحليلِه وتَحريمِه، وأَعلَى مَرتبةً في التَّحريم، وإنْ كان في الأوَّل ما يرجع إلى تنقُّصِه في أَسمائِه وصِفاتِه.

قُوَى العباد لا تَقدِر أنْ تَصِل بعقولها إلى إثبات صفة أو اسم للَّه لم يُثبِتْهُ لنفسه

ومعلومٌ أنَّ مَنْ أثبتَ للَّه صفةً أو اسْماً ممَّا لم يُثبِتْهُ لنفسه، أو نَفى عنه ما اتَّصف به؛ فهو قائلٌ عليه بلا عِلمٍ، وهو مُخالفٌ للكتاب والسُّنَّة والشَّرع والقَدَر، كاذبٌ ضالٌّ عن الصِّراط المستقيم، فإنَّ قُوَى العباد لا تَقدِر أنْ تصل إلى شيءٍ من ذلك بعقولها ولا بأفهامها، ولا طريقَ إلى ذلك إلَّا بالكتاب والسُّنَّة.

النَّاجي يوم القيامة: النَّاطق بما نَطَق به الكتابُ والسُّنَّةُ والوَاقِف حيث وَقَفا

والسَّالم النَّاجي يوم القيامة هو: النَّاطقُ بما نَطَقَ به الكتاب والسُّنَّة، والواقفُ حيث وَقَفَا، فنُؤمنُ بما جاء عن اللَّه وبما جاء عن رَسولِ اللَّه ﷺ، نُؤمنُ باللَّفظ والمعنى جميعاً، ونَعتَقِدُه حقيقةً على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته.

وبهذا تعرف أنَّ طائفتي الضَّلال والانحراف مِنْ نُفاةِ الصِّفات

. . . .

هم أَعظمُ القائلين على اللَّه بلا علمٍ، سواء بجَحدٍ أو تَعطيلٍ، أو تَكييفٍ أو تَمثيلٍ.

وإنَّما سَلِم من القول على اللَّه بلا عِلمٍ مَنِ اتَّبع النَّبيَّ الكريم، وأصحابَه والتَّابعين المُقْتَفِين لهَدْيِه القويم.

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ:

إثباتُ استواء اللَّه على العَرْش

(وَقَوْلِهِ) تعالى: (﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ) كلُّ وَاحدٍ فيه التَّصريح باستواء اللَّه على العرش، استواءً يليق بجلاله وعظمته، لا كاستواء المخلوقين، وهو مِنْ أدلَّة علوِّ الرَّبِّ وفوقيَّته.

فَسَّرَ السَّلَفُ الاستواء بأربعة أشياء

وفسَّر السَّلَفُ الاستواء بأربعة أشياء: بـ«علا»، وبـ«ارتفع»، وبـ«استقرَّ»، و«صَعِد»[(١)].

الاستواء في الكتاب والسُّنَّة خاصٌّ بالعَرْش

ولم يَجِئْ في الكتاب والسُّنَّة أنَّه استوى على مخلوقٍ آخر، أو على المخلوقات جميعها؛ بل ما جاء إلَّا خاصّاً بالعرش، فدلَّ على إثبات الاستواء على العرش لا كاستواء المخلوقين.

الاستواءُ مَعْلُومٌ والكَيْفُ مَجهُولٌ

وكُنْه ذلك وكيفيَّته إلى اللَّه، قال مالكٌ ﵀ لمَّا أتاه رجل فسأله؛ فقال: «اسْتَوَى، كَيْفَ اسْتَوَى؟»، فسَكَت مالكٌ ﵀ حتَّى علَته الرُّحَضَاء - العَرَق - فقال: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، والكَيْفُ مَجْهُولٌ، والإِيمانُ به وَاجبٌ، والسُّؤالُ عنه بِدْعَةٌ»؛ ثمَّ أَمَرَ بإِخرَاجِه عنه، وقال: «أُراكَ رَجُلَ سَوْءٍ - يعني: مُبتَدِعاً -؛ أخرجوه عنِّي»[(٢)].

---

(١) العرش للذَّهبيِّ (١/ ١٩٢)، (٢/ ٤٦٧).
(٢) سبق تخريجه (ص١٧٩).

. . . .

وهذا مثله لِشَيْخِه رَبِيعَة[١]، ورُوِيَ عن أُمِّ سَلَمَة رضي الله عنها موقوفاً عليها[٢]، ورُوِيَ مرفوعاً إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم[٣]، والموقوفُ أصحُّ[٤].

وهذا له[٥] بالحرف والمعنى، وهو لجميع أئمَّة أهل السُّنَّة - السَّلَف والخَلَف - قاطبة بالمعنى؛ كالإمام أحمد، واللَّيْثِ بن سَعدٍ[٦]، وإسحاقَ بن رَاهَوَيْه[٧].

معنى «الاسْتِوَاء مَعلُومٌ»

وقوله: «مَعلُومٌ» أي: لَفظُه ومعناه من كلام العرب الذي نزل القرآن بلغتهم، وليس المراد بمعرفة لَفظِه ومعناه: أنَّ هذه

(١) رواه البيهقيُّ في الأسماء والصِّفات (٢/ ٣٠٦)، رقم (٨٦٨)، ولفظه: «الكَيْفُ مجهولٌ، والاستواءُ غير معقولٍ، ويَجِبُ عَلَيَّ وعليكم الإيمانُ بذلك كُلِّه».
ورَبِيعَةُ هو: أبو عثمان رَبِيعَة بن أبي عبد الرَّحْمَن القُرشيُّ، مِنْ أوعية العلم، ومُفتِي المدينة، حافظ للفقه والحديث، توفي رحمه الله سنة (١٣٦هـ). تاريخ بغداد (٩/ ٤١٤)، سير أعلام النُّبلاء (٦/ ٨٩).

(٢) رواه ابن بطَّة في الإبانة الكبرى (٧/ ١٦٢).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣٦٥)، شرح الطَّحاوية لابن أبي العِزِّ الحنفيِّ (ص٢٥٨).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٣٦٥). (٥) أي: للإمام مالك رحمه الله.

(٦) هو: أبو الحارث اللَّيْث بن سعد بن عبد الرَّحْمَن الفهميُّ، ولد سنة (٩٤هـ)، الحافظ شيخ الإسلام، وإمام أهل مصر في الفقه والحديث، توفي رحمه الله سنة (١٧٥هـ). وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧)، سير أعلام النُّبلاء (٨/ ١٣٦).

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٦-٤٢٧).
وإسحاق بن رَاهَوَيْه هو: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحَنظليُّ المَرْوَزِيُّ، المعروف بـ«ابن رَاهَوَيْه»، ولد سنة (١٦٦هـ)، عالِم نيسابور، وأحد أئمَّة الدِّين، جَمَع بين الحديث والفقه والورع، توفي رحمه الله سنة (٢٤٣هـ). وفيات الأعيان (١/ ١٩٩)، سير أعلام النُّبلاء (١١/ ٣٥٨).

. . . .

الأحرف مُجتمعةً معلومةُ الاجتماع، وأنَّ تَركيبَها كذا.

معنى «الكَيْف مجهول»

«وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ»؛ عِلمُه وحقيقتُه مَوْكُولةٌ إلى اللَّه؛ لا يَعلَمُه الخَلْق، ولا يَصِلُون إليه لا شرعاً ولا قَدَراً؛ بل لا يليق أنْ تصلَ قوى البشر أنْ تحيطَ بِكُنْه الخالق؛ بل هو سبحانه يُعلَم ولا يُحاط به عِلْماً، نَعْلَمُه بما أعلَمَنا، وأمَّا إدراكه على ما هو عليه فلا؛ بل ممنوعٌ التَّفكُّرُ في ذلك، وعَبَثٌ.

إدراك كيفيَّة صفة الخالق مُمْتَنِعٌ لذاته وممنوعٌ شرعاً

إدراك كيفيَّة صفة الخالق مُمتَنِعٌ لذاته، وليس من المُمْكِن، وهو ممنوعٌ شرعاً، فَمَنْعُ «كَيْفَ» في صفات اللَّه كَمَنْعِ «لِمَ» في أفعال اللَّه.

مَنْعُ «كَيْفَ» بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

ومَنْعُ «لِمَ» بقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

الجهل بكيفيَّة الصِّفة لا يدلُّ على عدم العلم بمعناها

فالجهل بالكَيْفِ لا يدلُّ على أنَّه ليس بمَعلُوم؛ بل هو مَعلُوم اللَّفظ والمعنى، وليس كلُّ ما كان مجهول الكَيْف فهو مجهول اللَّفظ والمعنى.

قاعدة في الصِّفات

ونعرف هذا في الذَّات ونعرفه في الصِّفات، ونقول: معنى الرِّضا والغضب والمَحبَّة ونحوِ ذلك معلوم، والكَيْفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بِدْعَة.

. . . .

دليلٌ واضحٌ لأهل السُّنَّة

فإذا عَرَفْتَ أنَّه جاء استواؤه تعالى على العرش مُطَّرداً في النُّصوص - في القرآن والسُّنَّة -، ولم يَجِئِ اسْتِواؤُه على غير العرش ولا في موضعٍ واحدٍ، وتَفَطَّنت لذلك وتنبَّهت له؛ عَرَفْت صِحَّة قول أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك.

فهذا دليلٌ واضحٌ لأهل السُّنَّة والجماعة أنَّه استوى على العرش حقيقةً على ما يليق بجلاله وعظمته.

الجَهْمِيَّة حرَّفت الاستواء

وقد حرَّفَت الجَهْمِيَّة وألحَدَتْ، وقالوا: «اسْتَوْلَى على العَرْش»، وزَعَمُوا أنَّ هذه النُّصوص لا تدلُّ إلَّا على الاستيلاء، فزادوا «لَاماً» كما زادت اليهود «نُوناً»[(١)].

ويستدلُّون بقول بعض المولَّدين[(٢)]:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ   مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

يعني: اسْتَوْلَى عليه.

وقائِلُه ليس معروفاً في الكتب ولا في الدَّوَاوِين أبداً[(٣)].

---

(١) لمَّا قيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨]، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي سبق تخريجه (ص١٧٨).

(٢) المُوَلَّد: المُحْدَثُ من كلِّ شيءٍ، ومنه: المُوَلَّدُون من الشُّعراء، وإنَّما سُمُّوا بذلك لِحُدُوثهم. لسان العرب (٣/ ٤٧٠).

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولم يثبت نقل صحيح أنَّه شعر عربيٌّ، وكان غير واحدٍ من أئمَّة اللُّغة أنكروه وقالوا: (إنَّه بيتٌ مصنوعٌ لا يُعرَف في اللُّغة)، وقد عُلِم أنَّه =

. . . .

الرَّدُّ على تحريف الجَهْمِيَّة

- ويقال لهؤلاء المبتدعة: الاستيلاء مُشترَكٌ بين المخلوق والخالق.

- ثمَّ أيضاً: الاستيلاء لا يكون إلَّا لمَنْ كان مغلوباً ثمَّ غَلَب، وهذا لا يجوز في حقِّ اللَّه تعالى، فإنَّه ليس مغلوباً تعالى على عرشه حتَّى يَقهَر مَنْ غَلَبَه ويَستوليَ عليه، وإنَّما يقال هذا في حقِّ المخلوق المقهور المغلوب على الشَّيء.

- ثمَّ يقال لهؤلاء المبتدعة: أتثبتون استيلاءً مِنْ جنس استيلاءِ المخلوقين؟

فإنْ قالوا: نعم، قيل لهم: شبَّهتم، وهم لا يقولون ذلك.

وإنْ قالوا: لا كاستيلاء المخلوقين، فيقال لهم: لِمَ لا تقولون استواءً يليق بجلال اللَّه وعظمته، وتلجؤون إلى ما أتى به الكتاب والسُّنَّة وتَسْلمون من التَّشبيه؟!

= لو احتجَّ بحديث رسول اللَّه ﷺ لاحتاج إلى صِحَّته، فكيف ببيت من الشِّعر لا يُعرَف إسناده وقد طَعَن فيه أئمَّة اللُّغة؟!

وذُكِر عن الخليل كما ذكره أبو المظفَّر في كتابه (الإفصاح) قال: (سُئِل الخليل: هل وجدت في اللُّغة استوى بمعنى اسْتَوْلَى؟ فقال: هذا ما لا تَعرِفُه العرب؛ ولا هو جائز في لغتها).

وهو إمامٌ في اللُّغة على ما عُرِف مِنْ حاله، فحينئذٍ حَمْله على ما لا يُعرَف حَمْلٌ باطل» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ١٤٦).

فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

قاعدة فيمَنْ أنكر الصِّفات

وهذا خُذْهُ معك في جَمِيع الصِّفات كالإرادة؛ فإنَّه ما مِنْ محذورٍ يَظُنُّه المبتدع إلَّا ويقع في مثلِه ونظيره، أو شرٍّ ممَّا فرَّ منه وأشدَّ، ولو قَصَدَ التَّنزيه.

فقولهم: «اسْتَوْلَى»؛ باطل بالكتاب والسُّنَّة وإجماع سَلَف الأُمَّة.

فائدة بديعة

وهذه الآيات السَّبع على قسمين:

منها: ما فاعلُ الاستواءِ فيها ضميرٌ مستترٌ «هو»، يعود على اللَّه سبحانه، يعني: ربَّكم.

ومنها: ما هو اسمٌ مُظْهَرٌ مرفوع، وهو في آية الفرقان: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

(فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾) وتعرف أنَّ الإتيانَ بـ«ثمَّ» على بابها[١]، وقد حاول بعض المبتدعة أنْ لا يجعلها على بابها[٢].

---

(١) فتفيد التَّرتيب والتَّراخي. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/ ٢٢٧).

(٢) القول بأنَّ «ثمَّ» لمُجَرَّد العطف لا للتَّرتيب في هذه الآيات، إنَّما يقوله مَنْ فَسَّر الاستواء بالقَهْرِ والغَلَبة، وأمَّا السَّلَف فقد جَعَلوا اطِّراد الآيات في جميع المواضع دليلاً على ثبوت التَّرتيب ورَدُّوا به على نُفاة الاستواء. الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٣/ ٢٧).

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ الفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ ﴿الٓمٓ﴾ السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ الفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾)

السِّرُّ في اختصاص العَرْش بالاستواء باسم الرَّحْمَن

والسِّرُّ في اختصاص العرش بالاستواء، وذِكْرِ فاعلِ الاستواء باسم الرَّحْمَن - واللَّه أعلم -: أنَّ العرشَ أوسعُ المخلوقات، ورَحْمَته وَسِعَت كلَّ شيء، فاستوى بأوسع صفاته على أوسع مخلوقاته.

(وَقَالَ فِي سُورَةِ ﴿الٓمٓ﴾ السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾).

والآيات واضحة في صفة الاستواء.

العلاقة بين الاستواء والعُلُوِّ

والاستواءُ على العرش نوعٌ من أنواع العُلُوِّ وهو أَخصُّ منه؛ فإنَّ اللَّه لَمْ يَزلْ عليّاً؛ فهو مقتضٍ ما اقتضاه العُلُوُّ وزيادة؛ فكلُّ دَليلٍ يصلح للاستواء، فهو دالٌّ على العُلُوِّ، ولا عكس.

ومُطلَق العُلُوِّ دلَّ عليه السَّمع والعقل، وهو صفة ذات، والاستواءُ دلَّ عليه السَّمع فقط، وهو صفةُ فعلٍ زائدٍ على مُطلَق العُلُوِّ.

أقسام العُلُوِّ

والعُلُوُّ أقسامٌ ثلاثة:

أحدها: عُلُوُّ الذَّات على جميع المخلوقات.

والثَّاني: عُلُوُّ القَدْر والشَّرف.

والثَّالث: عُلُوُّ السُّلطان والقَهْر والغلبة.

وله سبحانه العُلُوُّ مِنْ جَمِيع الوجوه.

. . . .

طُرُقُ إثبات العُلُوِّ

وطُرُقُ إثبات العُلُوِّ واحدٌ وعشرون طريقاً، ذكرها ابن القَيِّم في «النُّونيَّة»[١].

أحدها: العقل الصَّريح.

والثَّاني: نصوص الاستواء على العرش، وأشار المُؤلِّف إلى بعضها قريباً.

أدلَّة العُلُوِّ تَبلُغ أَلفَ دَليلٍ

وكلُّ دليلٍ مِنْ أدلَّة العُلُوِّ تحته أَفرادُ أدلَّة، منها ما يَبلغُ مئةً من الكتاب ومن السُّنَّة، وأَقلُّها يَبلُغُ إلى خمسة أدلَّةٍ أو ستَّة، فجَميعُها يَبلغُ ألف دليلٍ[٢]، وكلُّها نصوصٌ تدلُّ على أنَّه فوق مخلوقاته على عرشه، مِنْ غير تكييفٍ ولا تمثيل، كما قال ابن المبارك رحمه الله[٣] لمَّا سُئِلَ: بماذا نَعرِفُ ربَّنا؟ قال: «بأنَّه فوق سَمواتِه على عَرْشِه، بَائِنٌ من خَلْقِه»[٤].

---

(١) الكافية الشَّافية (ص٧٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ١٢١).

(٣) هو: أبو عبد الرَّحْمَن عبد اللَّه بن المُبارَك بن واضح الحَنظليُّ مولاهم، المَرْوَزيُّ، ولد سنة (١١٨هـ)، أحد الأئمَّة الأعلام، فخر المجاهدين وقدوة الزَّاهدين، توفي رحمه الله سنة (١٨١هـ). تهذيب الكمال (١٦/ ٦)، تذكرة الحُفَّاظ للذَّهبيِّ (١/ ٢٠١).

(٤) نَقْضُ الدَّارميِّ على المَريسيِّ (١/ ٢٢٣).

وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا . . . .

إثباتُ عُلُوِّ اللَّه على مخلوقاته

(وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾) هذا مِنْ جملة نصوص العُلُوِّ: إثبات عُلُوِّ الرَّبِّ وفوقيَّتِه.

(﴿وَرَافِعُكَ﴾) الرَّفع لا يكون إلَّا مِنْ أَسفل إلى فوق - من الأدنى إلى الأعلى -، و(﴿إِلَيَّ﴾) للانتهاء.

(﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾) كذلك هذه الآية مثلُها.

الآية دالَّةٌ على إثبات صفة العُلُوِّ مِنْ جهتين

(﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾) هذه الآية دالَّةٌ على عُلُوِّ الرَّبِّ وفوقيَّته مِنْ جهتين:

الأُولى: قوله: (﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ﴾)، والصُّعود لا يكون إلَّا من الأسفل إلى الفوق.

والثَّانية: قوله: (﴿يَرۡفَعُهُۥۚ﴾)، فمَنْ قال كلاماً طيِّباً، وشَفَّعَهُ العمل الصَّالح؛ فإنَّه يرفعه العمل الصَّالِح إلى اللَّه، فدلَّ على أنَّ اللَّه في العُلُوِّ.

فهذه ثلاثة نصوص مِنْ واحدٍ وعشرين طريقاً.

وقوله: (﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾) وَزيرُه.

(﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾) الصَّرحُ هو: البناء المرتفع.

لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۞ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾.

(﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ﴾) وأَصِلُ (﴿ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾): الطُّرُق.

(﴿أَسۡبَٰبَ﴾): طُرُقَ (﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾).

موسى عليه السلام بيَّن أنَّ معبودَه فوق السَّموات

(﴿فَأَطَّلِعَ﴾): فأُشْرِفَ وأَنظُرَ (﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾) وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّ موسى عليه السلام أخبره أنَّ معبود الخَلْقِ الحقَّ فوق السَّموات.

(﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾) قال فرعون ذلك مُكَذِّباً لِمَا قاله موسى؛ وهو الكاذبُ الجبَّارُ الجاحدُ الكافر، وموسى عليه السلام هو البارُّ الصَّادق، فإنَّ فرعونَ مُعَطِّلٌ جاحد؛ ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

فرعون إمام الجَهْمِيَّة والمعتزلة

وهذا مِنْ حَمَاقة فرعون وجهالته، يُنكِر ما جاء به موسى جُمْلَةً، ويُنكِر ربَّه، ويُنكِر عُلُوَّه، وهذا كَذِبٌ منه وتلبيسٌ به على رعاياه مِنْ غير إِتيانٍ ببرهان، فهو إمام الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة وفروعهم، كما أنَّ إمام أهل السُّنَّة سيِّد المُرسَلِين.

إثباتُ العُلُوِّ دين المُرسَلِين وجَحْدُهُ دين فرعون

فتبيَّن بذلك: أنَّ إثبات العُلُوِّ هو دين المُرسَلِين مِنْ أوَّلهم إلى آخرهم وأتباعهم الصَّالحين، وجَحْدَهُ هو دين فرعون اللَّعين وأتباعه الجَهْمِيِّين الضَّالِّين؛ لأنَّه يرجع إلى لا شيء.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾.

اللَّه سبحانه في العُلُوِّ المُطلَق

(﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾) يعني: فوق السَّماء وعلى السَّماء، استفهامُ إنكار.

(﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾) فيه: توبيخٌ وتقريعٌ لِمَنْ أَمِنَ ذلك؛ أنْ يُعاقَب على كفره.

هاتان الآيتان فيهما: إثبات عُلُوِّ الرَّبِّ وفوقيَّته، فإنَّ (﴿فِي﴾) في الآيتين:

- إمَّا أنْ تكون بمعنى «عَلَى»؛ فالمعنى: أأمنتم مَنْ على السَّماء، كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي: على جذوع النَّخل، وكقوله: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: عليها[(١)].

- وإنْ كانت على بابها وهي الظَّرفيَّة[(٢)]؛ فيكون المراد بالسَّماء: العُلُوَّ، فاللَّه في العُلُوِّ المُطلَق، وقد سُئِلَ ابن المُبارَك: بماذا نَعرِفُ ربَّنا؟ فقال: «بأنَّه فوق سَمواتِه على عَرْشِه، بَائِنٌ من خَلْقِه».

---

(١) وهو مذهب الكوفيين. شرح التَّصريح على التَّوضيح (١/ ٦٤٩)، حاشية الصبان على شرح الأشموني (٢/ ٣٢٧).

(٢) وهو مذهب البصريين. حاشية الصبان على شرح الأشموني (٢/ ٣٢٧).

وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

إثباتُ صفة مَعيَّة اللَّه لخَلْقِه

قد تَقدَّمت نصوص الاستواء[١]، وكذلك نصوص العلم[٢]؛ ومقصودُه بسياق هذه الآيات[٣]: إثباتُ صفة المَعيَّة، وأنَّ اللَّهَ مع خلقه؛ مَعيَّةً حقيقيَّةً تليق بجلال اللَّه وعظمته.

المَعيَّة عامَّة وخاصَّة

والمَعيَّة مَعيَّتان:

- عامَّة، ومقتضاها: العلم، والقُدْرَة، والإحاطة، والاطِّلاع.

- وخاصَّة، ومقتضاها: مقتضى المَعيَّة العامَّة، والحفظ والتَّأييد والكلاءة[٤] والنَّصر؛ فهي تقتضي ما تقتضيه العامَّة وزيادة.

إثباتُ صفة المَعيَّة العامَّة

(وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾)

---

(١) (ص٢٦٣).
(٢) (ص٢١١).
(٣) الآتية.
(٤) أي: الحفظ والحراسة. العين (٥/ ٤٠٧).

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

هذه الآية فيها: إثبات صفة المَعيَّة العامَّة حقيقة، وأنَّ اللَّه مع خلقه حيثما كانوا، على المعنى الذي يليق بجلال اللَّه وعظمته.

وفيها: ذِكْرُ استوائه تعالى على العرش - وتقدَّم[١] -.

(﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾) هذا فيه: إثبات شمول عِلمِه - وتقدَّم[٢] -.

مقتضيات المَعيَّة العامَّة

(﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾) هذه كالتي قبلها في إثبات صفة المَعيَّة العامَّة، وسِيقَتْ لمقتضاها، وهو العلم، والدَّليلُ على أنَّ هذا مقتضاها: كونُها مَبدُوءةً بالعلم ومُختَتَمةً به.

كما أنَّ مِنْ مقتضاها: الإحاطة، والقُدْرَة، والاطِّلاع، ونحو ذلك[٣].

---

(١) (ص٢٧٠).
(٢) (ص٢١١).
(٣) تفسير الطَّبريِّ (٢٢/ ٤٦٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢).

. . . .

لماذا فسَّر السَّلف المَعيَّة ببعض مقتضاها؟

والذي حَمَل بعض السَّلَف على تفسيرها ببعض مقتضاها - وهو العلم -:

أوَّلاً: أنَّهم ابتلوا بمَنْ ينفي العُلُوَّ ويقول: إنَّه مُمتزجٌ بالخَلْق؛ ففسَّرها السَّلَف بالعِلْم ردّاً على الحُلُوليَّة مِنَ الجَهْمِيَّة الذين زَعَمُوا أنَّه في كلِّ مكانٍ، وأَنكَروا عُلُوَّه على خَلْقِه، واستواءَه على عرشه؛ فهذا الذي مِنْ أَجلِه قالوا: بعِلْمِه، وإلَّا فمعنى المَعيَّة عندهم واضحٌ كالشَّمس.

ثانياً: أنَّ التَّفسير بالمقتضى سائغ - وهذا وجهٌ مِنْ أوجه التَّفسير -.

المَعيَّة لا تقتضي امتزاجاً ولا اختلاطاً

وتُطلَق المَعيَّة في حقِّه تعالى ولا تقتضي امتزاجاً ولا اختلاطاً أبداً، وليست مَعيَّته تعالى مع خلقه كمَعيَّة الخَلْقِ بعضهم مع بعض، واختلاط بعضهم ببعض - تعالى اللَّه وتقدَّس عن أنْ يُشابِهه شيءٌ من خلقه -.

قاعدة في الصِّفات

فكما نقول: إنَّ للَّه صفاتٍ تليق بجلاله وعظمته مُختصَّةً به، لا يَشْرَكُه فيها أحد، ولا يُشَاكِلُه فيها أحد؛ فكذلك نقول في المَعيَّة.

وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، . . . .

أهلُ وحدة الوجود والاتِّحاد أَعظمُ كفراً من أهل الحُلُول

وأهلُ وحدة الوجود[1] الذين يقولون: «إنَّ الوجودَ واحدٌ ليس فيه خالقٌ متميِّزٌ عن مخلوق»، هم وأهلُ الاتِّحاد[2] شيءٌ واحدٌ، وهم أَعظمُ مِنْ أهلِ الحُلُول؛ أهلُ الحُلُول يقولون: «هنا إله، لكنَّه حَلَّ في المخلوقات» - والعياذ باللَّه -.

ويأتي فصلٌ في بيان الجمع بين العُلُوِّ والمَعيَّة[3].

إثباتُ صفة المَعيَّة الخاصَّة

(وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾) يعني: ولا يترك الأعداء يَتولَّوْنَنا؛ بل يَتولَّانا ويكلؤنا.

هذه الآية فيها: إثبات المَعيَّة الخاصَّة، ومقتضاها مقتضى العامَّة، وتزيد على ذلك بما سِيقَتْ له وخُصَّ بها، وهو: النَّصرُ، والكلاءة، والحفظُ، والتَّأييد، ونحو ذلك كما تقدَّم.

(١) هم: فِرْقَةٌ يَزْعُمُون أنَّ وُجودَ المخلوق هو عين وجود الخالق، وليس لهذا العَالَم رَبٌّ مُبايِنٌ له مُنفَصِلٌ عنه، وهذا تعطيل للصَّانع وجحود له، وهو جامعٌ لكلِّ شرك، وطَعَنُوا في القرآن، وافتروا كتباً يَزْعُمُون أنَّها أعظم منه، ومِنْ أئمَّتِهم: ابن عربيٍّ، وابن سبعين، وابن الفارض. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٢٠١)، (١٠/ ٥٩)، (١٨/ ٢٢٢)، الصَّفَدِيَّة (١/ ٢٦٩)، الصَّواعق المُرسَلة (١/ ٢٩٤).

(٢) هم: طائفة تقول: «إنَّ الوُجودَ بأَسْرِه على اختلاف أنواعه وتقابل أضداده هو المعبود»، فجعلوا اللَّه سبحانه هو عَيْن هذا الوجود، فصفاته هي صفات اللَّه، وكلامه هو كلام اللَّه سواء نظمه ونثره، وحقه وباطله، وسحره وكفره. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٣٠٧)، مختصر الصَّواعق المُرسَلة (ص٤٩٥)، الصَّوارم الحِداد القاطعة لعلائق أرباب الاتِّحاد (ص٣٨).

(٣) (ص٣٤١).

﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

(﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾) يعني: موسى وهارون عليهما السلام، (﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾).

وهذا من المَعيَّة الخاصَّة أيضاً.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾) هذه مثل ما تقدَّم؛ فيها إثبات المَعيَّة الخاصَّة أيضاً.

(﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) هذا فيه: إثبات المَعيَّة الخاصَّة أيضاً.

المَعيَّة الخاصَّة تزيد على العامَّة بما سِيقَت له

(﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) هذا مِثْلُ ما تقدَّم، فيه: إثبات المَعيَّة الخاصَّة أيضاً، مَعيَّةً تليق بجلال اللَّه وعظمته؛ كونُه مع أهل القيام بما أَمَر به من الصَّبر والطَّاعة، وغير ذلك، وتقتضي بحسب مواطنها، فإنَّها في الآيات كما بُيِّنَ لك؛ وتقدَّم بيان مقتضاها.

فالمَعيَّة في النُّصوص معيَّتان:

- عامَّة: كما في آية الحديد، والمجادلة.

. . . .

- وخاصَّة: كما في هذه الآيات ونظائرها.

المَعيَّتان لا تقتضيان امتزاجاً ولا اختلاطاً

وكلا المَعيَّتَيْن لا تقتضي الامتزاج والاختلاط؛ فهو تعالى على العرش حقيقة، ومع خَلْقِه حقيقة.

قُرْبُ الله لم يَرِد إلَّا خاصّاً وهو قُرْبُه مِنْ عَابِدِيه وسَائِلِيه

أمَّا القُرْب فلم يَرِدْ إلَّا خاصّاً، وهو قُرْبُه من عَابِدِيه وسَائِلِيه فقط؛ كما ورد في النُّصوص[(١)].

والجواب عن: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾، المراد: الملائكة[(٢)].

---

(١) قُرْبُه تعالى مِنْ عَابدِيه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» رواه مسلم، رقم (٤٨٢).
وقُرْبُه تعالى مِنْ سَائلِيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٨).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾،

إثباتُ صفة الكلام للَّه

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾) فيه: إثبات صفة الكلام، وأنَّ اللَّهَ مُتكلِّمٌ حقيقة.

وفيه: تَسميتُه بـ«الحديث»، وهو مثل القول.

(﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾) فيه: إثبات صفة الكلام، وتَسميتُه: «قِيلاً»، وأنَّ للَّه قِيلاً.

(﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) فيه: إثبات أنَّ اللَّهَ قال، فأسند القولَ إلى فاعله، وهو مَنْ صَدَر منه القول، فإنَّه قال ويقول.

(﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾) فيه: إثبات صفة الكلام، والكلمة في لغة العرب لا تُطلَق إلَّا على الجملة المفيدة[١].

(﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾) فيه: إثبات صفة الكلام.

التَّوكيد اللَّفظيُّ لرَفْع توهُّم إرادة غيرِ الحقيقيِّ

(﴿تَكْلِيمًا﴾) مصدرٌ مؤكِّدٌ لعامله وهو: (﴿وَكَلَّمَ﴾)، وهو يرجع إلى التَّأكيد اللَّفظيِّ؛ لرفع توهُّم غير إرادة الحقيقيِّ،

الأصل في الكلام هو الحقيقة

والأصل في الكلام هو الحقيقةُ، ولا يُصار إلى المجاز إلَّا لمُوجِب؛

---

(١) شرح قَطْر النَّدى لابن هشام (ص١١).

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾، . . . .

اللَّه تعالى كلَّم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلاماً حَصَلَ من اللَّه تعالى حقيقةً، وسَمِعَه موسى حقيقة.

مناظرة بين جَهْمِيٍّ وسُنِّيٍّ

وقد حاول بعض الجهلة المُبطِلين المُنكِرين لكلام اللَّه أنْ تكون القراءة بالنَّصب، يريد أن يكون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي كَلَّم اللَّه، وأنْ يكون اللَّه غير مُكَلِّم، وقاله لأَحَدِ أهل السُّنَّة فقال له: «ما تَصنَعُ بقوله: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؟»، فبُهِت الجاهل[1]؛ فهو ظاهرٌ في أنَّ اللَّهَ هو المُتكلِّمُ وأنَّ موسى هو المُكَلَّم، فهذه الآية لا يَتمكَّن الجَهْمِيُّ مِنْ تَحريفِها؛ لأنَّ قواعد العربيَّة تأبى ذلك.

(﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾) فيه: إثبات صفة الكلام أيضاً.

(﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾) فيه: إثبات صفة الكلام للَّه سبحانه على ما يليق بجَلالِه وعَظمتِه.

جاء الكلام مُطلَقاً وبنِدَاء وبمُنَاجَاة

(﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾) هذه الآية فيها: إثبات صفة الكلام مِنْ وجهين:

الأوَّل: قوله: (﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾)، والنِّداء نوعٌ مِنْ أنواع الكلام، وهو مِنْ بُعْدٍ[2].

---

(١) بيان تلبيس الجهميَّة (٣/ ٣٠٣)، البرهان في علوم القرآن للزَّركشيِّ (٢/ ٣٩٣).
(٢) البرهان في علوم القرآن للزَّركشيِّ (٢/ ٣٢٤).

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

والثَّاني: قوله: (﴿نَجِيًّا﴾)، وهو نوعٌ من الكلام، وهو يكون مِنْ قُرْبٍ[١]، وكلٌّ جاء في القرآن، جاء الكلام مُطلَقاً، وجاء النِّداء، والنِّجاء.

(﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) فيه: إثبات صفة الكلام.

(﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾) فيه: إثبات صفة الكلام.

(﴿وَيَوْمَ﴾) يعني: يوم القيامة (﴿يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾) هذا فيه: إثبات صفة الكلام.

وكذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فيه: إثبات صفة الكلام للَّه ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غيرِ تَمثيلٍ، فكما أنَّه تعالى لا يُشبِهه شيءٌ من مخلوقاته في ذاته ولا في أسمائه وصفاته؛ فكذلك في كلامه.

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في كلام اللَّه

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ اللَّه موصوفٌ بالكلام، وأنَّه متعلِّقٌ بمشيئته وقُدْرَتِه، لم يَزَلْ مُتكلِّماً إذا شاء، ومتى شاء[٢].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزَّركشيِّ (٢/ ٣٢٤).
(٢) الرَّدُّ على الجَهْمِيَّة والزَّنادِقَة للإمام أحمد (ص١٣٩).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾.

القرآن كلام اللَّه

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾) المراد به: القرآن.

ففيه: إثبات صفة الكلام، وأنَّ القرآنَ كلام اللَّه.

الكلامُ إنَّما يضاف إلى مَنْ قاله مُبتدئاً

وفيه: إضافة الكلام إلى اللَّه، والكلامُ إنَّما يضاف إلى مَنْ قاله مبتدئاً، لا إلى مَنْ قال وبلَّغ مُؤدِّياً، وجاء: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، وإضافته إلى الرَّسول إضافةُ تَبْليغ.

القرآن كلام اللَّه حقيقةً حروفه ومعانيه ودليل ذلك

(﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) فيه: إثبات صفة الكلام كالتي قبلها، فدلَّ على أنَّه كلام اللَّه حقيقةً، حروفَه ومعانِيَه؛ بدليل ما في هذه الآية أنَّهم يُحَرِّفون اللَّفظ والمعنى.

(﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾) فيه: إثبات صفة الكلام.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وفيه: إضافته إلى اللَّه، والإضافة إنَّما تكون لمَنْ صَدَر منه الكلام.

فدَلَّ على أنَّ القرآنَ العزيزَ كلامُ اللَّه، حروفَه ومعانِيَه، ليس كلامُ اللَّه الحروفَ دون المعاني، ولا المعانيَ دون الحروف.

هذه آيات ثلاثٌ فيها إضافته إلى اللَّه، والقرآنُ نَزَلَ بلغة العرب، إذا أضيف الكلام إلى أَحدٍ فإنَّه يدلُّ على أنَّه أوَّلُ مَنْ قَالَه.

القرآن مَتلوٌّ وهو كَلِمَات

(﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ﴾) هذا القرآن العزيز (﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾) فيه: إثبات صفة الكلام، وفيه: أنَّ القُرآنَ مَتلوٌّ، وأنَّه كَلِمَات.

القرآن كلام اللَّه حروفه ومعانيه

(﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾) فيه: إثبات صفة الكلام.

(﴿هَٰذَا﴾) إشارةٌ إلى القرآن الموجود أنَّه كلام اللَّه حروفَه ومعانِيَه؛ إذ الإشارة إلى الجميع.

. . . .

والقرآنُ هو: ما بين الدَّفَّتَيْن، المُنزَّلُ على رسول اللَّه ﷺ، المَحفوظُ في صدور المسلمين، الذي يَتلُوه مَنْ حَفِظَهُ مِنَ المسلمين، المَسموعُ بالآذان؛ فالإشارة إلى مراتبه كلِّها.

القرآن له أربع مراتب

القرآن له أربع نِسَب: مَكتوبٍ، مَحفوظٍ، مَتلوٍّ، مَسموع؛ وكلُّ واحدة من هذه النِّسَب لا تُخرِجه عن أنْ يكون كلام اللَّه حروفُه ومعانِيه.

وَقَــوْلِــهِ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

القرآن مُنزَّلٌ غير مَخلُوقٍ

(وَقَوْلِهِ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾) كذلك هذه إشارةٌ إلى هذا القرآن حروفِه ومَعانيه.

وفيه: أنَّ القرآنَ مُنزَّلٌ غير مَخلوقٍ.

وفيه: الدَّلالة على عُلُوِّ اللَّه وفوقيَّته.

مراتبُ القرآن الأربع وحروفُه ومعانيه مُنزَّلة

(﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾) الإشارة إليه بجميع مراتبه كلِّها، وإلى حروفِه ومَعانيه.

(﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾) دالٌّ على أنَّه مُنزَّلٌ.

. . . .

القرآن المُنزَّل: السُّوَر والآيات والكَلِمات والحروف والمعاني

وجاء في القرآن تسميته: «سُوَراً»؛ كما في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ الآيــــــة، وقــولــه: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

وجاء في هذه الآية وغيرها: أنَّه آيات.

وأنَّه كَلِمَات؛ ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

وأنَّه حروف؛ كما في قوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»[1].

فـدلَّ عـلـى أنَّ الـقـرآنَ كـلامُ الـلَّـه: الـسُّـوَر، والآيـات، والكَلِمَات، والحروف، والمعاني.

(١) رواه التِّرمذيُّ، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمَنْ قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، رقم (٢٩١٠)، من حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

وَقَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾..

(وَقَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾) بالضَّاد؛ من النَّضارة وهي: الحُسْن[(١)].

إثبات رؤية المؤمنين ربَّهم في الجَنَّة

(﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾) بالظَّاء؛ من النَّظَر وهو: المُعايَنة[(٢)]، يراه المؤمنون في الجَنَّة ولا يُحيطون به رؤيةً لعظمته وجلاله، كما أنَّه يُعْلَم ولا يُحاط به علماً.

وأمَّا قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فمعناه: لا تُحيط به الأبصار، والرُّؤية التي في النُّصوص ما جاء فيها إدراك، و«نَفْيُ الأَخَصِّ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الأَعَمِّ»[(٣)].

ففيه: إثبات النَّظر إلى اللَّه تعالى حقيقة عِياناً بالأبصار؛ وهو أعظم لذَّةٍ في الجَنَّة، والنَّضْرَة التي اكتسبتها وجوههم: من النَّظَر إلى اللَّه.

لا نعيم يُنظَر إليه أَلذُّ من النَّظَر إلى اللَّه

(﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾) جَمْع أرِيكَة، يعني: في مجالسهم[(٤)]

---

(١) لسان العرب (٥/ ٢١٢).
(٢) لسان العرب (١٣/ ٣٠٢).
(٣) هذه قاعدة أصوليَّة أشار لها عدد من العلماء؛ منهم: مظفَّر الدِّين ابن السَّاعاتي، وابن دقيق العيد، وابن الشَّاط، وابن القيِّم، وشمس الدِّين ابن مفلح، وغيرهم رحمهم الله. نهاية الوصول إلى علم الأصول (١/ ٣٥٤)، شرح الإلمام (٣/ ٤٥٣)، إدرار الشُّروق على أنواء الفروق (٣/ ٨٨)، مفتاح دار السَّعادة (٢/ ١٠١٨)، أصول الفقه لشمس الدِّين ابن مفلح (١/ ١٢١).
(٤) لسان العرب (١٠/ ٣٨٩).

يَنظُرُونَ﴾، ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾، . . . .

(﴿يَنظُرُونَ﴾) إلى ربِّهم - من النَّظر وهو المُعَايَنة -، فلا نَعِيم يُنظر إليه ولا سماعَ ألذُّ مِنْ سماع كلامه والنَّظر إليه تعالى؛ كما جاء في الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظرِ إِلَى وَجْهِكَ»(١)؛ كما أنَّهم كانت أعظم لذَّتهم في الدُّنيا سماع كلامه؛ وكما رأته عين بصائرهم في الدُّنيا؛ حتَّى كأنَّهم يرونه على ما يليق بجلاله وعظمته من غيرِ تَمثيلٍ.

مَنْ حُجِب عن معرفة اللَّه في الدُّنيا حُجِب عن النَّظَرِ إلى وجهه يوم القيامة

والكفَّارُ ما رأته عين بصائرهم في الدُّنيا؛ فكذلك في الآخرة لا تراه أعين أبصارهم.

فأهل الشَّقاء في جحيم الدُّنيا قبل جحيم الآخرة، وأهل الإيمان في جنَّةٍ في الدُّنيا وفي الآخرة.

وأهل الباطل مِنْ أهل التَّجهُّم والاعتزال حُجِبوا عن معرفته على الحقيقة في هذه الحياة الدُّنيا بحكمة اللَّه؛ فحُجِبوا يوم القيامة عن النَّظر إلى وجهه تعالى.

الزِّيادةُ في الجَنَّة: النَّظَرُ إلى وجه اللَّه

(﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾) الزِّيَادَةُ هي: النَّظر إلى وجه اللَّه تبارك وتعالى(٢).

(١) رواه النَّسائيُّ، كتاب السَّهو، باب نوع آخر من الدُّعاء، رقم (١٣٠٥)، من حديث عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما.

(٢) كما في حديث صهيب الرُّوميِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا =

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

(﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾) وَالمَزِيدُ هو: النَّظر إلى وجه اللَّه تعالى[(١)].

ومَنْ قال: إنَّ الزِّيادة على حسب الأعمال[(٢)]، فلا منافاة بينهما؛ لأنَّ أعلى المزيد هو النَّظر إلى وجه اللَّه تعالى.

ففي هذه النُّصوص الأربعة: إثبات الرُّؤية؛ فدلَّ على أنَّ المؤمنين يرونه في الجَنَّة، ويرونه في عَرَصات[(٣)] القيامة كما يشاء اللَّه.

= شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»، وفي رواية: «ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾» رواه مسلم، رقم (١٨١).

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٧).

(٢) تفسير الطَّبريِّ (١٢/ ١٦٣).

(٣) العَرَصات: جَمْع عَرْصَة، وهي: كلُّ بُقْعَة بين الدُّور واسعة ليس فيها بناء. الصِّحاح (٣/ ١٠٤٤).

وَهَذَا البَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِباً لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ.

الآيات المشتملة على الصِّفات في القرآن كثيرة

(وَهَذَا البَابُ) باب الآيات المشتملة على الصِّفات (فِي كِتَابِ اللَّهِ) القرآن (كَثِيرٌ).

(مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِباً لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ) ممَّا يكفي ويشفي.

ساق المُصَنِّف آياتٍ في إثبات الصِّفات لا على سبيل الحَصْرِ

ولا أراد أنَّ هذا هو الذي في القرآن كلِّه سِيقَ وأُثبِت لإثبات الصِّفات؛ بل في القرآن آياتٌ كثيرةٌ غير محصورة، والمُصنِّف ساق منها طرفاً صالحاً، وهي كثيرة بالنِّسبة إلى هذه العقيدة الوجيزةِ المُختَصَرة، وإلا فالنَّصُّ الواحد كافٍ.

غَرَض المُصنِّف في الإكثار مِنْ آيات الصِّفات

وله غَرَضٌ في الإكثار من الآيات:

أوَّلاً: أنَّه يَصِير مِنْ محفوظاته[1] غير حِفْظِه للقرآن.

ثانياً: لأجل كونها صواعق على الجَهْمِيَّة حتَّى تعرف الحقَّ؛ فأَهلُ البدع أَثقلُ شيءٍ عليهم سماع نصوص الصِّفات.



(١) أي: طالب العلم.

فَصْلٌ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ - مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ

فَصْلٌ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

مكانة السُّنَّة من الدِّين

(فَصْلٌ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) يعني فيما ورد من نصوص الصِّفات من الأحاديث النَّبويَّة؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أوتي الكتاب والحكمة، والمراد بها: السُّنَّة[(١)]؛ كما جاء في الحديث: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[(٢)] يعني: السُّنَّة، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾.

مناسبة ذِكْر أدلَّة الصِّفات من السُّنَّة

لَمَّا ذَكَرَ المُصنِّف ؒ القسمَ الكبير، والمقدارَ الكثير من نصوص الكتاب العزيز المُثبتة لصفات اللَّه تعالى؛ ذَكَرَ من السُّنَّة المُطهَّرة مقداراً كثيراً وقسماً كبيراً؛ ليكون قد جَمَع في صفات اللَّه ﷻ بين ما أثبته الكتاب والسُّنَّة؛ وإنْ كان أحدهما يكفي؛ لكن بهما أبلغ.

أربعة مقامات للسُّنَّة مع القرآن

(فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ) ولا تُخالِفُه أبداً، **(وَتُبَيِّنُهُ)** إيضاحاً له، **(وَتَدُلُّ عَلَيْهِ)** دلالة عليه، **(وَتُعَبِّرُ عَنْهُ)**.

الأدلَّة من السُّنَّة على إثبات صفات اللَّه

(وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ - مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٤).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٧١٧٤)، من حديث المِقْدَام بن معدي كَرِب ؓ.

الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ -: وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ -: وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ) كما وجب الإيمان بالقرآن، وهما الوحيان.

وغَلَّظ ﷺ فيمَن اكتفى بالقرآن والدَّلالة به ويترك السُّنَّة؛ فقال ﷺ: «وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ»[(١)].

إثباتُ نزول الرَّبِّ إلى السَّماء الدُّنيا كلَّ ليْلَةٍ

(مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٢)]) هذا

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، أبواب العلم، باب ما نُهِي عنه أنْ يقال عند حديث النَّبيِّ ﷺ، رقم (٢٦٦٤)، من حديث المِقْدَام بن معدي كَرِب رضي الله عنه، ولفظه: «أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالاً اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَاماً حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ».

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، رقم (٧٤٩٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقَصْرها، باب التَّرغيب في الدُّعاء والذِّكر في آخر اللَّيل، والإجابة فيه، رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

حَديثٌ صَحيحٌ شَهيرٌ، قال ابن عبد البَرِّ[(١)] ما معناه: «إنَّه حَديثٌ شَهيرٌ تَلقَّتْه الأُمَّةُ بالقَبُولِ»[(٢)].

وهذا الحديث فيه وجوب الإيمان بجُمَلٍ من الصِّفات:

نزول اللَّه لا يَعلَم كيفيَّته إلَّا هو

ففيه: إثبات صفة نزول ربِّنا كلَّ ثلث اللَّيل الآخر، على ما يليق بجلال اللَّه وعظمته، نزولاً حقيقيّاً، لا يَعلَم كُنْه ولا كيفيَّةَ نزولِه إلَّا هو.

فإذا قال لنا المُبْطِلُ الجاحد النَّافِي: كيف يَنزلُ ربُّنا؟

قاعدة في الصِّفات

قلنا: كيف هو؟ فإنَّ القولَ في الصِّفات كالقول في الذَّات، يُحتذَى حذوه ويُقاس عليه، فكما أنَّ إثباتَ الذَّات إثباتُ وجودٍ وحقيقةٍ لا يَعلَم كُنْهَها وكيفيَّتها إلَّا هو تعالى، فإثبات النُّزول إثباتُ وجودٍ وحقيقةٍ لا يَعلَم كُنْهَه إلَّا هو تعالى، وكذلك سائر صفاته.

---

(١) هو: أبو عمر يوسف بن عبد اللَّه بن عبد البَرِّ النَّمَرِيُّ، ولد سنة (٣٦٨هـ)، شيخ علماء الأندلس، وكبير مُحَدِّثيها في وقته، وأحفظ مَنْ كان بها لسُنَّة مأثورة، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٤٦٣هـ). ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٨/ ١٢٧)، سير أعلام النُّبلاء (١٨/ ١٥٣).

(٢) التَّمهيد (٧/ ١٢٨)، ولفظه: «وهذا حديثٌ ثَابتٌ مِنْ جِهةِ النَّقل، صحيحُ الإسناد، لا يَختَلِف أهلُ الحديثِ في صِحَّته، وهو حديثٌ منقولٌ مِنْ طُرُقٍ مُتواترةٍ ووُجوهٍ كثيرة، مِنْ أخبارِ العُدُول عن النَّبيِّ ﷺ».

. . . .

هل يخلو منه العَرْش أو لا؟

ثمَّ كونه يخلو منه العرش أو لا؟

في الحقيقة: السُّكوت عنه أَوْلَى.

إثباتُ صفتي الكلام والسَّمع

وفيه: إثبات صفة الكلام.

وفيه: إثبات صفة السَّمع مِنْ جهتين:

الأُولى: قوله: (**مَنْ يَدْعُونِي**)؛ لأنَّ دعاء مَنْ لا يَسْمَع عَبَثٌ.

والثَّانية: قوله: (**فَأَسْتَجِيبَ لَهُ**)، ومَنْ لا يَسْمَع كيف يُجيبُ السَّائل له؟!

إثباتُ صفة المغفرة

وفيه: إثبات صفة المغفرة.

وفيه: إثبات كمال جُودِه وفَضلِه.

إثباتُ قُرْبه تعالى مِنْ سَائِلِيه

وفيه: إثبات قُرْبه تعالى لسَائِلِيه؛ كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآيةَ.

وفيه: الحثُّ والتَّحريض على التَّعرُّض لنَفَحَات مغفرة الرَّبِّ آخرَ اللَّيل؛ فلا يُفوَّت هذا الخيرُ الكثير والفَضلُ العظيم.

ثلاثٌ بعضها أخصُّ مِنْ بعضٍ

وهذه الثَّلاث بعضها أَخصُّ مِنْ بعض:

فقوله: (**مَنْ يَدْعُونِي**) هذا شَاملٌ لدعاء العبادة ودعاء المسألة.

. . . .

(**مَنْ يَسْأَلُنِي**) هذا أَخصُّ مِن الذي قَبلَه، وهذا السُّؤال يعني: أيَّ سؤالٍ دينيٍّ أو دنيويٍّ.

والثَّالث: قوله: (**مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**؟) وهذا أَخصُّ من الذي قبله.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...» الحَدِيثَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إثباتُ صفة الفرَح للَّه

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...» الحَدِيثَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١]) فيه: إثبات صفة الفرح؛ بل إثبات شدَّة فرح اللَّه بتوبة العبد ورجوعه إلى ربِّه، والباعث عليه ليس إلَّا مُجرَّد إحسانٍ ومَحبَّته للطَّاعة؛ فالرَّبُّ تعالى هو الذي وَفَّقه للتَّوبة، وحَرَّك قلبه لها، ويَسَّر له أسبابها، وهداه إليها، ثم مع هذا كان شديدَ الفَرَح بتوبة عبده حين يَتوبُ إليه من المعاصي مِنْ أحدكم إذا ضَلَّت رَاحلتُه ثمَّ وجدها، فَفَرحُ هذا بدابَّته من المعلوم أنَّه أَعظمُ مِنْ فَرَح كلِّ فَرِحٍ، وفَرَح ربِّ العالمين أَعظمُ مِنْ فَرَحِ هذا براحلتِه؛ فَرحٌ يليق به لا كفَرَحِ العباد؛ فصار فيه الحثُّ على الرُّجوع عن معاصي اللَّه وتوبة العبد إلى ربِّه.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الدَّعوات، باب التَّوبة، رقم (٦٣٠٨)، ومسلم، كتاب التَّوبة، باب في الحَضِّ على التَّوبة والفَرَح بها، رقم (٢٧٤٤)، من حديث عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي الله عنه، ولفظه: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ العَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ العَبْدِ المُؤْمِنِ، مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ».

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إثباتُ صفة الضَّحِك للَّه

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1]) هذا الحديث فيه: إثبات صفة الضَّحك، وأنَّ اللَّهَ يَضحَك حقيقةً على ما يليق بجَلالِه وعَظمتِه، كما أنَّه يَفرَح حقيقةً، تليق بجلاله وتختصُّ به؛ ومثله حديث: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ مِنْ فَعَالِكُمَا»[2].

وتَقدَّم[3] قول أهل السُّنَّة في الصِّفات: أنَّهم يُثبِتونها للَّه تعالى مِنْ غيرِ تَمثيلٍ، كما أنَّهم ينفون عن اللَّه سبحانه ما لا يليق بجلاله وعظمته من غيرِ تَعطيلٍ.

وأمَّا معناه: فإنَّ الكافر يَقتلُ المؤمن، ثمَّ يَمُنُّ اللَّه على الكافر فيُسْلِم، فيكون هو وقتيلُه يدخلان الجَنَّة.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الكافر يَقتُل المسلم، ثمَّ يُسلِم، فيُسَدِّد بعد ويُقتَل، رقم (٢٨٢٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الرَّجُلَيْن يَقتُل أَحدُهما الآخر يَدخُلان الجَنَّة، رقم (١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاريُّ، باب قول اللَّه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، رقم (٣٧٩٨)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضَّيف وفَضْل إيثاره، رقم (٢٠٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) (ص١٧٧).

وَقَوْلِهِ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

إثباتُ صفة العَجَب للَّه

(وَقَوْلِهِ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ) القُنُوط: شدَّة اليأس[١]، وهو اسْتِبْعَادُهُم ويَأسُهم مِنْ حصول المطر.

(وَقُرْبِ غِيَرِهِ) أي: قُرْبِ تَغييرِه للحال التي أنتم عليها إلى الحال التي أحسن منها - تغيير حال السُّوء إلى حال الخصب والفرج -.

(يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ) الأَزْلُ: شدَّة الضَّعف والحال[٢] - واللَّه أعلم -، يعني: شديدي الحال.

(قَنِطِينَ) يعني: آيِسين من الغيث، **(فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» حَدِيثٌ حَسَنٌ[٣])**.

إثباتُ عدَّة صفاتٍ للَّه

هذا الحديث فيه: إثبات عدَّة صفاتٍ من صفات اللَّه تعالى:

إحداها: صفة العَجَب، وأنَّ اللَّه يَعْجَب عَجَباً يليق بجَلالِه وعَظمتِه مِنْ غيرِ تَمثيلٍ.

---

(١) لسان العرب (٧/ ٣٨٦).

(٢) لسان العرب (١١/ ١٣-١٤).

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (١٦٢٠١)، من حديث أبي رَزِين العُقَيْليِّ رضي الله عنه، ولفظه: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عَبْدِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ عز وجل؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْراً».

. . . .

(**يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**) فيه: إثبات صفة النَّظر.

(**فَيَظَلُّ يَضْحَكُ**) فيه: إثبات صفة الضَّحِك.

(**يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**) فيه: إثبات صفة العِلْم للَّه تعالى.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ - . . . .

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا) يعني: دوام اتِّصافها بذلك.

(وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟) تَطلُب وتَسألُ الزِّيادة، باقية ما امتلأت، تَطلُب.

إثباتُ صفة الرِّجْل والقَدَم للَّه

(حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ -) هذا الحديث فيه: إثبات صفة الرِّجْل، وصفة القَدَم للَّه تبارك وتعالى، على ما يليق بجَلالِه، مِنْ غير تَكييفٍ ولا تَمثيلٍ ولا توهُّم؛ يَجبُ علينا أنْ نَعلمَه ونَعتقدَه ونَجزمَ به، كما أتى عن رَسُولِ اللَّه ﷺ.

العباد مَمنُوعُون عن التَّفكُّر في كيفيَّة صفات اللَّه

ولا يُمكِنُنا أنْ نُحيطَ بخالقنا تبارك وتعالى علماً؛ بل الخَلْقُ يعلمون خالقهم بما أوحاه إليهم على أَلسُن رُسُلِه، ولا يعلمون ما هو عليه، ومعرفة ما هو عليه مِنْ أمنع الممتنعات؛ بل هم ممنوعون أنْ يخوضوا في صفات اللَّه تعالى، مَأمُورُون بالتَّفكُّر في آياته، وممنوعون عن التَّفكُّر في كيفيَّة صفاته؛ فإنَّ اللَّهَ لم يجعل لهم إليه سبيلاً.

وأيضاً: السَّبيل ليس حجاباً إذا كُشِفَ علموا ما هو عليه؛ بل

فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لا يحيطون به علماً كما في الآية الكريمة(١).

ونعرفُ أنَّ القولَ في الصِّفات كالقول في الذَّات كما تقدَّم(٢)؛ بل ما يثبت له سبحانه يَختصُّ به ويَليقُ به وإنِ اتَّفق في اللَّفظ(٣)، وكذلك ما يضاف إلى المخلوق يَختصُّ به ويَليقُ به.

قاعدة في إثبات صفات اللَّه

فإثبات الصِّفات إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ تَكييفٍ.

قوله: (فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ) يعني: تتضايق، (فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ») أي: كافيني، (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٤)).

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].
(٢) (ص١٨٩).
(٣) مع صفات المخلوق.
(٤) رواه البخاريُّ، كتاب الأَيْمان والنُّذور، باب الحلف بعزَّة اللَّه وصفاته وكلماته، رقم (٦٦٦١)، ومسلم، كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب النَّار يدخلها الجَبَّارون والجَنَّة يدخلها الضُّعَفاء، رقم (٢٨٤٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
وأمَّا لفظة: «رِجْلَهُ» فقد رواها البخاريُّ، كتاب النِّكاح، باب تفسير تَرْكِ الخِطْبَة، رقم (٤٨٥٠)، ومسلم، كتاب الجَنَّة، وصفة نعيمها وأهلها، باب النَّار يدخلها الجَبَّارون، والجَنَّة يدخلها الضُّعَفاء، رقم (٢٨٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إثباتُ صفة الكلام للَّه

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ) فيه: إثبات صفة الكلام للَّه سبحانه حقيقةً على ما يليق بجَلالِه وعَظمتِه؛ كلامٌ حقيقةً مَسمُوعٌ بالآذان، فإنَّ آدمَ سَمِعَه بأُذُنَيْه.

فيجيب آدم عليه السلام **(فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ)**.

(فَيُنَادِي) وفي رواية: «فَيُنَادِيهِ»[(١)] **(بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٢)])** فيه: إثبات صفة الكلام؛ لأنَّ النِّداء نَوعٌ منه، وهو سبحانه الذي ينادي.

كلامُ اللَّه بحرفٍ وصوتٍ مسموع

وفيه: أنَّه بحرفٍ وصوتٍ.

ومِنْ أدلَّة ذلك: «أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[(٣)].

---

(١) رواها أحمد في المسند، رقم (١٩٩٠١)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، رقم (٧٤٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسَعَةً وَتِسْعِينَ»، رقم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه (ص٢٨٨).

وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ».

مُحاوَرَة بين بِدْعِيٍّ وسُنِّيٍّ

وقد جَرَت محاورة بين بِدْعِيٍّ وسُنِّيٍّ، فقال البِدْعِيُّ: «إذا قَالَ اللَّهُ لك: ما دَلِيلُك على أنَّ اللَّهَ يَتكلَّم بحَرفٍ وصَوتٍ؟».

فأجَابَ السُّنِّيُّ بقوله: «أَقولُ: ها أنَا ربِّي أَسمَعُ كلامك بحَرفٍ وصَوتٍ».

إثباتُ صفة الكلام للَّه في الآخرة

(وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ») مُتَّفقٌ عليه[١]، كما تَكَلَّم في الدُّنيا يَتكلَّم في الآخرة، على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا التَّكْلِيم في الآخرة من غير تُرْجُمَانٍ ولا واسطة؛ بل كفاحاً[٢]؛ فهو تكلَّم ويَتكلَّم وسَيَتكلَّم.

ومذهب أهل السُّنَّة: أنَّ اللَّه لم يَزَلْ مُتكلِّماً إذا شاء، وهذه عِبارتُهُم.

التُّرْجُمَان هو: الواسطة[٣]، أي: ليس بينه وبين اللَّه واسطة.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الرِّقاق، باب مَنْ نوقِش الحساب عُذِّب، رقم (٦٥٣٩)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب الحثِّ على الصَّدقة، رقم (١٠١٦)، من حديث عَدِيِّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: مباشرة. الصِّحاح (١/ ٣٩٩).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٦٦).

وَقَوْلِهِ ﷺ فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، . . . .

إثباتُ عُلُوِّ الرَّبِّ

(وَقَوْلِهِ ﷺ فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ) فيه: إثبات عُلُوِّ الرَّبِّ وفوقيَّته، وجاء في إثبات عُلُوِّه وفوقيَّته أكثر مِنْ ألفِ دليلٍ.

(فِي السَّمَاءِ) إمَّا أنْ يراد به مُطلَق العُلُوِّ وتكون على بابها.

وإمَّا أنْ تكون بمعنى «على»، أي: عليها وفوقها.

للَّه أسماءٌ تسمَّى بها

(تَقَدَّسَ اسْمُكَ) هذا فيه: إثبات أنَّ للَّه أسماءً تَسَمَّى بها؛ كما قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وقال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً»[١]؛ فدلَّ على أنَّ للَّه أسماء، وأنَّها دلَّت على الكمال إلى الغاية، ولا يَجوزُ أنْ يتَسَمَّى بها أحد.

ومذهب أهل السُّنَّة: إثبات الأسماء الواردة في الكتاب والسُّنَّة، وتقدَّم لكم وجوب الإيمان بها: لفظها ومعناها[٢].

(تَقَدَّسَ اسْمُكَ) معنى التَّقديس: التَّطهير[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التَّوحيد، باب إنَّ للَّه مئة اسم إلَّا واحداً، رقم (٧٣٩٢)، ومسلم، كتاب الذِّكْر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب في أسماء اللَّه تعالى وفضل مَنْ أحصاها، رقم (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) (ص٢٦١).
(٣) لسان العرب (٦/١٦٨).

أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، . . . . . .

جميعُ أسماء اللَّه مُقَدَّسة

وقوله: **(اسْمُكَ)** مُفرَدٌ مُضافٌ، فيشمل جميع الأسماء المُثبَتة في النُّصوص للَّه تعالى، وأنَّها كلَّها مقدَّسة؛ ليس المراد تَقدُّس وَاحدٌ مِنْ أَسمائِك فقط والآخر لا؛ بل جميع الأسماء كلِّها، فيكون المعنى: تقدَّست أسماؤُك عن نَقصٍ وعَيْبٍ.

أَمْرُه تعالى بكلامه

(أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) فيه: إثبات صفة الكلام؛ لأنَّ أَمْرَه إنَّما هو بكلامه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

إثباتُ صفة الرَّحْمَة والمغفرة

(كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ) فيه: إثبات صفة الرَّحْمَة.

(اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ) فيه: إثبات صفة الرَّحْمَة.

(اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا) فيه: إثبات صفة المغفرة.

والحُوب هي: الذُّنوب والخطايا[١]، وعَطفُ الخطايا على الحُوب، إمَّا أنَّها نوعان، نوعٌ، ونوعٌ... إلخ[٢]، واللَّه أعلم.

وفيه: إثبات صفة السَّمع.

---

(١) الصِّحاح (١/ ١١٦).

(٢) عَطْفُ الخَطَايا على الحُوب، إمَّا من باب عطف الشَّيء على مثيله؛ وإمَّا أنَّهما نوعان؛ فالحُوب: الذَّنب الكبير، والخطايا: الذُّنوب الصِّغار. الفروق اللغوية للعسكري (ص٢٣٣)، مرقاة المفاتيح (٣/ ١١٣٦)، عون المعبود (١٠/ ٢٧٤).

أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ؛ فَيَبْرَأُ» حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

إثباتُ صفة الطِّيب للَّه

(أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ) فيه: إثبات صفة الطِّيب، فهو الذي خلق الطَّيِّبين والطِّيب، فهو أَوْلَى بالطِّيب على وجه الكمال، وعدم مُماثلتِه للخَلْقِ بوجه.

إثباتُ صفة العُلوِّ والرَّحْمَة

(أَنْزِلْ) فيه: إثبات صفة العُلُوِّ؛ لأنَّ الإنزالَ لا يكون إلَّا من الأعلى إلى الأدنى.

(رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ) فيه: إثبات صفة الرَّحْمَة.

(وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ) الشِّفاء هو: البُرْء.

(عَلَى هَذَا الوَجَعِ؛ فَيَبْرَأُ» حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[(١)] وَغَيْرُهُ[(٢)]).

ففيه: إثبات الصِّفات.

وفيه: إثبات كمال أسماء اللَّه تعالى؛ وأنَّها كلَّها مقدَّسة، فإنَّ المراد: جنس الأسماء؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

---

(١) كتاب الطِّبِّ، باب كيف الرُّقى، رقم (٣٨٩٢)، من حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كالنَّسائيِّ في السُّنن الكبرى، كتاب عمل اليوم واللَّيلة، باب ما يقولُ مَنْ كان به أُسْرٌ، وذِكْرُ الاختلاف على طَلْقِ بن حَبيبٍ في الخبر فيه، رقم (١٠٨٠٧)، من حديث حبيب العنزيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلِهِ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!» حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَقَوْلِهِ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. . . . . .

إثباتُ عُلُوِّ الرَّبِّ وفَوقيَّته

(وَقَوْلِهِ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!» حَدِيثٌ صَحِيحٌ[(١)]) هذا فيه: إثبات عُلُوِّ الرَّبِّ وفَوقيَّته.

(فِي) هنا بمعنى: «على»، (مَنْ فِي السَّمَاءِ) يعني: مَنْ على السَّماء، وهي تَجيءُ في العَربيَّة بمعنى: الاستعلاء؛ كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، و(السَّمَاءُ) المراد بها: السَّموات، يعني: فوق السَّموات.

وقد تكون على بابها وهو الظَّرفيَّة، يعني: في العُلُوِّ.

(وَقَوْلِهِ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[(٢)]. . . . .

(١) رواه البخاريُّ، كتاب المغازي، باب بَعْثِ عليِّ بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجَّة الوداع، رقم (٤٣٥١)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب ذكر الخَوارِج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) كتاب السُّنَّة، باب في الجَهْمِيَّة، رقم (٤٧٢٣)، من حديث العبَّاس رضي الله عنه، وفيه:
«ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.
ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.
ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ العَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.
ثُمَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ».

وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(**وَغَيْرُهُ**[١]) وهذا أيضاً فيه: إثبات عُلُوِّ الرَّبِّ وفَوقيَّته مِنْ غيرِ تمثيلٍ.

جواز السُّؤال عن اللَّه بلفظ «أَيْنَ»

(**وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»**) هذا فيه جواز السُّؤال عن اللَّه بلفظ «أَيْنَ».

(**قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ**) يعني: على السَّماء، وهذا مِنْ جُمْلَة أدلَّة عُلُوِّ الرَّبِّ وفَوقيَّته.

الرَّسُول ﷺ شَهِد بالإيمان لمَنْ قال: «إنَّ اللَّه في السَّماء»

(**قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ**).

(**قَالَ: أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ**[٢]) فالنَّبيُّ ﷺ أقرَّها وشَهِدَ لها بالإيمان، وأهل التَّجهُّم والاعتزال يَشهَدُون لمَنْ

---

(١) كأحمد في المسند، رقم (١٧٧٠).
ورواه البخاريُّ في خَلْقِ أفعال العباد (ص٤٣)، وابن خزيمة في التَّوحيد (٢/ ٨٨٥)، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه موقوفاً، ولفظه كما عند ابن خزيمة رحمه الله: «وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَبَيْنَ المَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَمَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِكُمْ شَيْءٌ».

(٢) كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب تحريم الكلام في الصَّلاة، ونسخ ما كان من إباحته، رقم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحَكَم السُّلَميِّ رضي الله عنه.

. . . .

يقول: «أين اللَّه» بالكُفْرَان؛ فدلَّك على أنَّ مُثبتِي الصِّفات أَتْبَاع ولد عَدْنَان، ومُنكِريها أَتْبَاع جَهْمِ بن صفوان.

ففي هذا النَّصِّ: إثباتٌ لعُلُوِّ الرَّبِّ وفَوقيَّته.

وَقَوْلِهِ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ؛ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

إثبات معيَّة اللَّه لخَلْقِه

(وَقَوْلِهِ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ؛ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ) مع كلِّ عبدٍ.

(حَيْثُمَا كُنْتَ») في جميع أحوالك، ما يكون مِنْ حالةٍ إلَّا واللَّهُ معك، **(حَدِيثٌ حَسَنٌ[1])**.

مَعِيَّة اللَّه لخَلْقِه لا تقتضي امتزاجاً ولا اختلاطاً ولا مُماسَّة

هذا فيه: إثبات صفة المَعيَّة العامَّة، وهي مَعيَّةٌ تليق بجَلالِ اللَّه وعَظمتِه، وهو مُستوٍ على العرش، وهي لا تقتضي امتزاجاً ولا اختلاطاً ولا مُماسَّةً.

ومقتضى المَعيَّة العامَّة: العِلمُ والإحاطةُ على خفيَّاتك وجليَّاتك.

الإيمان بمَعِيَّة اللَّه أفضل الإيمان

وإنَّما كان هذا أفضل الإيمان؛ لأنَّه يثمر مرتبة الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين كما في حديث جبريل، والإحسان كما وضَّحه النَّبيُّ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2].

---

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الأوسط (٨/ ٣٣٦)، رقم (٨٧٩٦)، من حديث عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص١٧٣).

. . . .

الإحسان ليس خارجاً من الإيمان

وفائدةٌ أخرى: أنَّ التَّقسيمَ الذي في حديث جبريل[١] لا يعني أنَّ الإحسانَ خارج من الإيمان؛ بل منه، كما أنَّه من الإسلام، فإذا أُفرِد دخل فيه الآخر، وإذا اقترنا فكلٌّ له مرتبة.

الإيمان يَزيدُ ويَنقصُ وكماله بشيئَيْن

وفيه من الفوائد: أنَّ الإيمانَ يزيدُ ويَنقصُ، ثمَّ هذه الزِّيادة تارةً تكون عن فعلٍ، وتارةً تكون عن تركٍ، والنَّقص تارةً يكون مِنْ غير اختيار كالحائض وغيرها، وأنَّ كَمالَه بشيئَيْن:

الأوَّل: في الكَمِّيَّة؛ وهي القيام بالواجبات والمندوبات، وترك المُحرَّمات والمكروهات.

والثَّاني: بالكيفيَّة؛ وهو التَّفاضل بتفاضل ما في القلوب؛ كما في خبر أبي بكرٍ رضي الله عنه[٢].

دخول أعمال القلب في الإيمان

وفيه من الفوائد: دخول أعمال القلب في الإيمان؛ ولهذا أحد تعاريف الإيمان[٣]: «أنَّه قَولٌ وعَمَلٌ؛ قَولُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ،

---

(١) في بيان مراتب الدِّين الثَّلاث؛ وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصَّحابة (١/ ١٤١)، رقم (١١٨)، والحكيم التِّرمذيُّ في نوادر الأصول في أحاديث الرَّسُول (٣/ ٥٥)، ولفظه: «قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَفْضُلِ النَّاسَ بِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ صَلَاةً وَصَوْماً، إِنَّمَا فَضَلَهُمْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ».

(٣) كما سيأتي (ص٤١٤).

. . . .

وعَمَلُ القَلْبِ واللِّسانِ والجوارحِ»، فهذا مِنْ قَولِ القَلْب - عِلْمُه وإِقرارُه أنَّ اللَّه معك حيثما كنت -.

وَقَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(وَقَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١]) هذا فيه: إثبات أنَّ اللَّه تعالى قِبَل وجه المُصلِّي إذا قام في صلاته، على ما يليق بجَلالِه وعَظمتِه، لا نَعلمُ كُنْهَه وكيفيَّته، فلا تظنَّ أنَّ هذا ينافي ما ورد في النُّصوص من عُلُوِّ الرَّبِّ تعالى وفوقيَّته؛ فإنَّ السَّموات والأرضين كلَّها في يده كالخَرْدَلَة[٢]، فلا يَمْتَنِع عليه تعالى شيءٌ مِنْ مثل هذه الأمور، فكلٌّ مِنْ هذا وهذا حقٌّ، وإنَّما يَمْتَنِع ذلك على المخلوق؛ فنُثبِته حقيقةً كما أَثْبَته المصطفى ﷺ ودلَّنا عليه، فهو تعالى قِبَل وجه المُصلِّي، مع كمال عُلُوِّه وفوقيَّته، من غير تمثيل.

إثبات أنَّ اللَّهَ قِبَل وجه المُصلِّي حقيقة ولا ينافي كمال عُلُوِّه

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الصَّلاة، باب حَكِّ البُزاق باليد من المسجد، رقم (٤٠٦)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب النَّهي عن البُصاق في المسجد في الصَّلاة وغيرها، رقم (٥٤٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِمَا فِي يَدِ اللَّهِ عز وجل إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ» رواه عبد اللَّه بن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤٧٦)، رقم (١٠٩٠).

والخَرْدَلَة: نَباتٌ له حَبٌّ أسودُ صغير جدّاً، يُضرَب به المَثَل في الصِّغر بين الحُبُوب. تاج العروس (٢٨/ ٤٠٣)، فتح المُنْعِم (١/ ٣٠١).

. . . .

وفيه: نهي المُصلِّي أنْ يَبصُق قِبَل وَجهِه، ولكن عن يساره، أو تحت قدمه.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى.

مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ.

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا.

أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ.

وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ.

اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١]).

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٠٨).

. . . .

هذا الحديث فيه: هذا الدُّعاءُ النَّبويُّ.

إثباتُ صفة العُلُوِّ

وفيه: إثبات عدَّة أسماء للرَّبِّ سبحانه، وصفات؛ منها: صفة العُلُوِّ في قوله: (مُنْزِلَ) فإنَّ النُّزولَ لا يكون إلَّا من أعلى.

وفيه: أنَّ القرآنَ والتَّوراةَ والإِنْجِيلَ مُنزَّلةٌ غير مخلوقة.

إثباتُ صفة السَّمع

وفيه: إثبات صفة السَّمع، وأنَّ اللَّه تعالى يَسْمَع حقيقةً؛ فلا يُدْعى إلَّا الذي يَسْمَع دعاءَ الدَّاعي.

إثباتُ اسم الأوَّل والآخِر والظَّاهر والباطن وتفسيرها

وفيه: إثبات هذه الأسماء الأربعة الحُسْنَى للَّه سبحانه، وهي المذكورة في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

وفيه: بيان تفسير كلٍّ من الأسماء الأربعة:

وأنَّ تَفسيرَ اسمه (**الأَوَّلِ**): الذي ليس قَبلَه شيء.

ومعنى (**الآخِرِ**): الذي ليس بَعدَه شيء.

ومعنى (**الظَّاهِرِ**): الذي ليس فَوقَه شيء.

ومعنى (**البَاطِنِ**): الذي ليس دُونَه شيء(١).

فلا يسوغ تفسير هذه الأسماء إلَّا بهذا التَّفسير النَّبويِّ.

---

(١) أي: الذي لا شيء أقرب إلى شيء منه. تفسير الطَّبريِّ (٢٢/ ٣٨٥).

. . . .

إثبات صفة الظُّهور والبُطون للَّه ولا مُنافاة بينهما

ومعنى الظُّهور: العُلُوُّ؛ فإنَّ كلَّ مكان أعلى فهو أظهر.

وقول النَّبيِّ ﷺ: **(البَاطِنُ)** مثلُ: «أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ»، ومثلُ: «قِبَلَ وَجْهِهِ»، فإنَّ بُطونَه على ما يليق بجَلالِه وعَظمتِه مِنْ غير تَمثيلٍ.

وذكر ابن القَيِّم: أنَّ «الأوَّل» مقابل «الآخِر»، و«الظَّاهر» مقابل «الباطن»، وأنَّ المراد بـ«الباطن» بذاته؛ كما أنَّه «الظَّاهر» بذاته، وكما أنَّه «الأوَّل» بذاته؛ فهو «الآخِر» بذاته[1].

صفة البُطون لا تَدلُّ على الحلول فالمخلوقات في يده كالخردلة

ولا يُظَنُّ أنَّ هذا يدلُّ على الحُلُول كما ذكره بعض المبتدعة، فإنَّ المخلوقات في يده سبحانه وتعالى كالخردلة، فالمخلوقات لا تَحُول دونه جلَّ وعلا، فهو الذي لا أكبرَ ولا أعظمَ منه.

---

(١) طريق الهجرتين (١/٣٦-٤٨).

وَقَوْلِهِ ﷺ - لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ -: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(وَقَوْلِهِ ﷺ - لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ -) في بعض الأسفار: **(«أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ)** الرَّبْع: القَصْر، يعني: اقْصُرُوا على أنفسكم، وارفقوا بها[١]، يعني: لا تَرفَعُوا هذا الرَّفع.

(فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً) فيُحْوِجَكم ذلك إلى رفع الأصوات؛ لأنَّ الفائدة في رفع الصَّوت إنَّما هي للأَصَمِّ الذي لا يَسْمَع، وكذا الغائب، وأمَّا القريب فليس في رفع الصَّوت له فائدة.

إثباتُ صفة السَّمع

(إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢]) في هذا: إثبات صفة السَّمع.

إثباتُ قُرْب الرَّبِّ مِنْ سَائِلِيه وعَابِدِيه

وإثبات قُرْب الرَّبِّ تعالى مِنْ دَاعِيه، وهذا القُرْبُ إنَّما جاء في النُّصوص مُختصّاً بسَائِلِيه وعَابِدِيه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) تفسير غريب ما في الصَّحيحَيْن (ص٨١)، غريب الحديث لابن الجوزيِّ (١/ ٣٧٥).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم (٤٢٠٥)، ومسلم، كتاب الذِّكْر والدُّعاء، باب استحباب خفض الصَّوت بالذِّكْر، رقم (٢٧٠٤)، من حديث أبي موسى الأَشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

. . . .

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية، وكما في هذا الحديث، وكما في حديث: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»[1].

القُرْب لا يَنْقَسم

والقُرْب لا يَنْقَسمُ كما تَنْقَسمُ المَعيَّة.

(١) سبق تخريجه (ص٢٨٠).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، . . . .

إثباتُ رؤية الرَّبِّ في القيامة وفي الجَنَّة عِياناً بالأبصار

(**وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**) هذا فيه: إثبات رؤية الرَّبِّ سبحانه في القيامة عِياناً بالأبصار، ويُرَى في الجَنَّة عِياناً بالأبصار.

(**كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ**) أي: كما أنَّ رُؤيتَكم للقمر عِياناً بالأبصار مقابلة.

(**لَيْلَةَ البَدْرِ**) وهذا أظهر وأجلى ما يكون في رؤية القمر ليلة أربع عشرة؛ وذلك لِكِبَره ولارتفاعِه وظهورِه.

قاعدة: «لم يَرِد في النُّصوص تشبيه الباري بخَلْقِه»

وهذا تشبيهٌ للرُّؤية بالرُّؤية، لا تشبيه للمَرئيِّ بالمَرئيِّ؛ لأنَّه لم يَرِد في النُّصوص تشبيهُ الباري بخَلْقِه.

اللَّه يُرَى ولا يُحاطُ به رؤية

ورؤية النَّاس للقمر مَعلُومٌ أنَّها مِنْ غير إحاطة، فلا يدركون كُنْهَه ولا كيفيَّته وهو مخلوق، فالباري يُرَى ولا يُحاطُ به رؤية، فإنَّ اللَّه تعالى أجلُّ وأعظم من أنْ تُحيطَ به أبصار المخلوقين لضَعْفِها، فهي رؤية من غير إحاطة، كما في قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾، فنَفَى الأخصَّ وهو الإحاطة، ولا يلزم من نفي الأخصِّ نفيُ الأعمِّ وهو الرُّؤية.

معنى «لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»

(**لَا تُضَامُونَ**) بضمِّ التَّاء وتخفيف الميم (**فِي رُؤْيَتِهِ**)، أي: لا يَلْحَق أحداً منكم ضَيْمٌ أو ضِيقٌ أو مشقَّةٌ عند رُؤيتِه؛ وذلك أنَّه

فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

جليٌّ ظاهرٌ، كلٌّ يراه في مكانه؛ بخلاف الشَّيء الخَفيِّ.

ويُروى: «لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[1]، أي: لا يَنْضَمُّ بعضُكم إلى بعضٍ كنظر الشَّيء الخفيِّ.

وفي روايةٍ أخرى: «لَا تُضَارُّونَ»[2]، أي: لا يَلْحَقُكم ضَررٌ عند رُؤيتِه.

(فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ) يعني: أنْ لا تُؤخِّرُوها عن وقتها التي شُرِعت فيه.

(قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) وهي صلاة الفجر.

(وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا) وهي صلاة العصر.

(فَافْعَلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[3]).

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٥٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب فضل صلاتي الصُّبْح والعصر، والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه.

(٢) رواها البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، رقم (٧٤٣٩)، من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، ومسلم، كتاب الزُّهد والرَّقائق، رقم (٢٩٦٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾، رقم (٤٨٥١)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، =

. . . .

أهل الجَنَّة يَرَوْن اللَّه أوَّل النَّهار وآخره

ومناسبة ذِكْر هذا والسِّرُّ في ذلك: أنَّ أهل الجَنَّة يرون اللَّه أوَّلَ النَّهار وآخرَه - بُكرَةً وعَشِيّاً[1] -؛ وهذا وجه قرن هذه الجملة بما قبلها.

وفيه ما يُشعِر أنَّ أكمل المؤمنين رؤيةً أشدُّهم محافظةً على هاتَيْن الصَّلاتَيْن.

المؤمنون يَرَوْن ربَّهم رؤيةً يوميَّة وأُسبوعيَّة

وجاء في الحديث: «أَنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ»[2]، وهذا لا ينافي هذه الرُّؤية؛ لأنَّ رؤيتهم لربِّهم يوم الجمعة نَظَرٌ

= باب فضل صلاتي الصُّبح والعصر، والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه.

(١) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾» رواه التِّرمذيُّ، رقم (٢٥٥٣).

(٢) رواه التِّرمذيُّ، أبواب صفة الجَنَّة، باب ما جاء في سوق الجَنَّة، رقم (٢٥٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ، وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ - وَمَا فِيهِمْ مِنْ دَنِيٍّ - عَلَى كُثْبَانِ المِسْكِ وَالكَافُورِ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِساً.
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: كَذَلِكَ لَا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ...».

. . . .

إليه أسبوعيٌّ، وهذا يوميٌّ، وأيضاً ذاك أَخصُّ من هذا[١].

النِّساء يَرَيْن اللَّه من العِيد إلى العِيد

وأمَّا النِّساء فجاء حديثٌ أنَّهنَّ يَرَيْنَه من العِيد إلى العِيد[٢].

لا يَطِيب لأهل الجَنَّة نعيمٌ إلَّا برؤية اللَّه

ورُؤيتُه تعالى أَعظمُ نعيمِ أَهلِ الجَنَّة؛ بل ما طاب لهم نعيمٌ إلَّا برُؤيتِه تعالى، كما أنَّ أَهلَ الجحيم أَعظمُ عذابهم أنْ حُجِبوا عن رُؤيتِه.

ويُرَى سبحانه في عَرَصات[٣] القيامة.

أفضليَّة صلاة الفجر والعصر

ففيه: أَفضليَّة هاتين الصَّلاتَيْن، وأَفضليَّة المحافظة عليهما في أوقاتهما.

وجاء في الحديث الآخر ما يدلُّ على أَفضليَّتهما: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»[٤]، وهما: العصر والفجر، وكان أَوَّل ما فُرِض هاتين الصَّلاتين، في أَوَّلِ النَّهار وفي آخرِه.

---

(١) أي: أنَّ رؤية الجمعة أخصُّ من ناحية هيئة تجلِّي اللَّه فيه للمؤمنين.

(٢) رواه الدَّارقطنيُّ في كتاب الرُّؤية (ص٨٢)، رقم (٥٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ رَأَى المُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ، فَأَحْدَثُهُمْ عَهْداً بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ مَنْ بَكَّرَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، وَتَرَاهُ المُؤْمِنَاتُ يَوْمَ الفِطْرِ وَيَوْمَ النَّحْرِ».

(٣) العَرَصات: جَمْع عَرْصَة، وهي: كلُّ بُقْعَة بين الدُّور واسعة ليس فيها بناء. الصِّحاح (٣/ ١٠٤٤).

(٤) رواه البخاريُّ، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم (٥٧٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب فضل صلاتي الصُّبح والعصر، والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٥)، من حديث أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه.

. . . .

وكلٌّ منهما قيل: إنَّها الوُسْطَى، وقد ذَكَر ابن كثير الأقوال وبَسَط تعدادها في قوله: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾[(١)]، وثَبَت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّها: «العَصْر»[(٢)].

وكلٌّ من الصَّلوات الخمس فريضة، وكلٌّ من الواجبات، وواجبٌ المحافظة عليها، لكن بعضها أَفضلُ مِنْ بعضٍ، كما أنَّ المُحرَّمات بعضُها أَشدُّ تحريماً من بعض.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٤٦).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الدَّعوات، باب الدُّعاء على المشركين، رقم (٦٣٩٦)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب الدَّليل لمَنْ قال: الصَّلاة الوسطى هي صلاة العصر، رقم (٦٢٧)، من حديث عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ولفظه: «شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الوُسْطَى؛ صَلَاةِ العَصْرِ؛ مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَاراً».

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ.

فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ - أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ - . . . . .

ما ذَكَرَه المُصنِّف مِنْ أحاديث الصِّفات إنَّما هي أمثلة

(إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ).

ذكر المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ أمثلةً مِنْ أحاديث الصِّفات تدلُّنا على ما وراءها، ثمَّ قال: **(إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ...)** إلخ، يريد أنَّها ليست هذه الأحاديث وحدها؛ بل هي قليلٌ مِنْ كثيرٍ، ونُقطةٌ مِنْ بَحرٍ، وحَصْرُ الأحاديث التي يَصِفُ بها رسولُ اللَّه ﷺ ربَّه عَزَّ وَجَلَّ على الحقيقة لا على المجاز بما يُناسِبه ويليق به يَسْتَدْعِي أسفاراً[1].

حَصْرُ أحاديث الصِّفات يَسْتَدْعِي أَسْفاراً

ما ذَكَرَه المُصنِّف من أدلَّة أُصولٌ يُستدلُّ بها

والمُصنِّف ذكر القسم الكبير من الكتاب العزيز بالنِّسبة إلى هذه المختصرة، ثمَّ ذكر القسم الكبير من السُّنَّة بالنِّسبة إلى هذه المختصرة؛ لتكون معك أُصولٌ تَستدلُّ بها على ما وراءها، ولتأخذها براهين لِمَا يذكر من المسائل.

النَّاجي هم أهل السُّنَّة ومَنْ عداهم على جَوْرٍ وانحراف

(فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ) هي: **(أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ)**، والثِّنتان والسَّبعون كلُّها في النَّار، ليس النَّاجي غير أهل السُّنَّة والجماعة، الذين دَرَجوا على ما دَرَج عليه النَّبيُّ ﷺ؛ ولهذا لَمَّا سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: مَنْ هم؟ قال: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ

---

(١) الأسفار: جَمْع سِفْر، وهو: الكتاب. الصِّحاح (٢/ ٦٨٦).

يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ . . .

وَأَصْحَابِي»[(١)]، وما عداهم فهم على جَوْرٍ وانحراف.

وحديث: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[(٢)]، وحديث: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[(٣)].

أهل السُّنَّة يُؤمِنُون بجميع ما ثَبَتَ عن النَّبيِّ ﷺ في الصِّفات كما يُؤمِنُون بالقرآن

(يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ) كلِّه، يعني: بجميع ما ثبت عن النَّبيِّ ﷺ في الصِّفات.

(كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ) يعني: القرآن، فالكتاب والسُّنَّة أخوان شقيقان يجب الإيمان بهما جميعاً؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أُوتِي الكتاب والحكمة - وهي السُّنَّة -.

(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ[(٤)]) فيؤمنون بها، ويعتقدون مدلولها على ما يليق بجَلالِ اللَّه وعَظمتِه.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧١).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الشَّهادات، باب لا يَشْهَد على شهادة جَوْرٍ إذا أُشْهِد، رقم (٢٦٥٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصَّحابة، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣)، من حديث عبد اللَّه بن مَسعودٍ رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب فضائل أصحاب النَّبيِّ ﷺ، رقم (٣٦٥٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصَّحابة، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٥)، من حديث عمران بن حصينٍ رضي الله عنهما.

(٤) قال الوالد رحمه الله: «تقدَّم معنى التَّحريف والتَّعطيل والتَّكييف والتَّمثيل» (ص١٧٨-١٨٢).

بَلْ هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

أهل السُّنَّة هم الوَسَط في فِرَق الأُمَّة كما أنَّ هذه الأُمَّة هي الوَسَطُ في الأُمَم

(بَلْ هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ) يعني: العَدْل الخيار في فِرَق هذه الأُمَّة المُحمَّديَّة التي افترقت على ثلاثٍ وسبعين فِرْقَة، أمَّا بقية الفِرَق الثِّنتين والسَّبعين فهم أهل انحراف عن الصِّراط المستقيم، منهم مَنْ خرج به عن الدِّين، ومنهم مَنْ خرج به عن بعضه، ومنهم مَنْ مال به.

(كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ) العدلُ الخيارُ **(فِي الأُمَمِ)**؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، فشهادتهم مَقبولةٌ على البَقيَّة، والبَقيَّة لا تُقبَل شَهادتُهُم عليهم، وكما قال ﷺ: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»[1].

شهادة هذه الأُمَّة مَقبُولةٌ على الأُمَم ولا عكس

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٠٠١٥)، من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ بَيْنَ: أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ.

أهل السُّنَّة وَسَطٌ في باب الصِّفات بين أهل التَّعطيل والتَّمثيل

(فَهُمْ وَسَطٌ) عَدلٌ خِيارٌ **(فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ بَيْنَ)**:

(أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ) النُّفاة الذين يُنَزِّهون اللَّه بزعمهم؛ فنَفَوْا عنه اتِّصافه بالصِّفات.

(وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ) الذين أثبتوا وزادوا في الصِّفات.

باب الصِّفات بابٌ عظيمٌ كبير والنَّاس فيه ثلاث فِرَق

هذا الباب - باب الصِّفات - بابٌ عظيمٌ كبير، والنَّاس في هذا الباب ثلاث فِرَق:

الفِرْقَة الأُولى: أهل التَّحريف والتَّعطيل، نَفَوْا وجحدوا، وهم الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة والأشاعِرَة، وإنْ كانوا يَتفاوَتُون.

وقابلتهم الفِرْقَة الثَّانية: وهم أهل التَّشبيه والتَّمثيل من الرَّافضة وغيرهم.

أَهلُ السُّنَّة أثبتوا الصِّفات من غير تعطيل ولا تمثيل

والثَّالثة: أهل الوسط، وهم أهل السُّنَّة والجماعة، تَوَسَّطوا فأثبتوا ما أثبته اللَّه لنفسه وأثبته له رسوله، إثباتاً لا يقتضي التَّمثيل، ونَفَوْا عن اللَّه ما لا يليق بجَلالِه وعَظمتِه، نفياً لا يقتضي التَّعطيل، فصاروا أهل الوسط في هذه الفِرَق.

أهل التَّعطيل غَلَوْا في نفي الصِّفات فعطَّلوها

فالأَوَّلون نَفَوْا حتَّى غَلَوْا في النَّفي، فعَطَّلوا صفات اللَّه سبحانه؛ زعماً منهم أنَّ إثباتها يقتضي التَّشبيه، أو خوفاً من

. . . .

التَّشبيه، فوقعوا في تَشبيهٍ شرٍّ منه كما يأتي.

أَهلُ التَّمثيل غَلَوْا في الإثبات فوقعوا في التَّمثيل

وأهل التَّمثيل أثبتوا وغَلَوْا في الإثبات، فوقعوا في التَّشبيه والتَّمثيل، قالوا: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، ونحو ذلك.

وكلٌّ من الطَّائفتَيْن يضرب النُّصوص بعضها ببعض.

ووَفَّق اللَّه أهلَ السُّنَّة للطَّريق المستقيم، أهلَ الدِّين القويم، أتباعَ سيِّدِ المُرسَلِين، الذين اقتدوا واتَّبَعوا الصَّحابة والتَّابعين، وما جاء به سيِّد المُرسَلِين عن ربِّ العالمين.

الفَرْقُ بين مذهب الأشاعِرَة والجَهْمِيَّة

س: ما الفَرْق بين مذهب الأشاعِرَة والجَهْمِيَّة؟

ج: مذهب الأشاعِرَة في الصِّفات: إثبات الأسماء جميعها، وإثبات سبع صفات.

والجَهْمِيَّة: يُنكِرونَهُما جميعاً؛ فوافقوهم في النَّفي ما عدا السَّبع والأسماء.

متى احتاج أهل السُّنَّة للكلام في الصِّفات والبحث فيها؟

وليس عند أهل السُّنَّة بَحثٌ ولا تَفتيشٌ؛ بل آمَنُوا بالجميع على ما يليق بجَلالِ اللَّه وعَظمتِه، فالصَّدر الأوَّل - الصَّحابة ومَنْ بعدهم - قَبِلوا ما جاء به الكتاب والسُّنَّة، وآمنوا به مِنْ غير تَمثيلٍ، ثم لَمَّا نبغت[1] المُعَطِّلة والمُشَبِّهة احتاج أهل السُّنَّة

(١) أي: ظهرت. الصِّحاح (٤/١٣٢٦).

. . . .

للكلام في الصِّفات والبحث فيها، فبيَّنوا أنَّ طريقتهم هي إثباتها مع العلم بمعانيها، وأنَّها حقٌّ، وضَلَّلُوا وبدَّعوا وكفَّروا أهل التَّعطيل وأهل التَّمثيل، ومن كلام بعضهم: «مَنْ شبَّه اللَّه بخَلْقِه فقد كفر، ومَنْ نفى عنه ما وَصَفَ به نَفْسَه فقد كفر، وليس فيما وَصفَ اللَّه به نَفسَه ووَصفَه به رَسولُه تَشبِيه»[1] اهـ.

كُفر المُعَطِّلة أعظمُ مِنْ كفر المُشَبِّهة

فعَرَفْتَ كُفْرَ كلٍّ من الطَّائفتَيْن، وعَرَفْتَ أنَّ كُفْرَ المُعطِّلة أعظم من كُفْرِ المُشبِّهة؛ لأنَّه مَحفُوفٌ بتَشْبيهَيْن:

الأوَّل: فهْمُهم التَّشبيه من الآيات الواردة في إثبات الصِّفات.

والثَّاني: تشبيهه بالجمادات؛ بل المعدومات والمُمْتَنِعات.

فشَبَّهوا أوَّلاً، وعَطَّلوا ثانياً، وشَبَّهوا ثالثاً.

وممَّا يُبَيِّن لك عظيم كفر أهل التَّعطيل قول بعض السَّلف: «المُعطِّل يَعبُد عَدَماً، والمُشبِّه يَعبُد صنماً، والمُوحِّد يَعبُد إلهاً واحداً فرداً صمداً»[2]، ومن المعلوم أنَّ عَابدَ العَدَم شرٌّ مِنْ عَابدِ الصَّنَم كما تقدَّم[3].

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨٦).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٢٦١).

(٣) (ص١٨٤).

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ بَيْنَ: الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

أهل السُّنَّة وَسَطٌ في باب أفعال اللَّه بين الجَبْريَّة والقَدَريَّة

(وَهُمْ) أهلُ السُّنَّة **(وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ)** في شُمولِ مَشيئَتِهِ وخَلقِهِ لأفعال العباد **(بَيْنَ: الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ)**:

فإنَّ أفعالَ اللَّهِ تعالى غلا في إثباتها قوم؛ وهم: القَدَريَّة[1] **(الجَبْرِيَّةُ)** من الجَهْمِيَّة والأشاعِرَة ومَنْ وافقهم، حتَّى جعلوا العبد مَجبُوراً على أفعاله، وأنَّه كالآلة، وكالمستدير في يد مديره، وكالمَيِّت أُدرِج في الأكفان، لا إرادة له، ولا قدرة، ولا فِعل له؛ ولا يُنسَب إلى العبد إلَّا على سبيل المَجَاز.

ولازم قولهم: «أنَّ أَفعالَهم هي فِعلُ اللَّه»، وغُلَاتُهم يقولون: «أَفعالُهُم عَينُ أفعالِ اللَّه».

فأثبتوا نصوص القَدَر، وغَلَوْا في إثباتها حتَّى عَطَّلوا جانب الشَّرع[2].

القَدَريَّة ينفون أفعال اللَّه

وقَابَلَهُم قومٌ؛ وهم: **(القَدَرِيَّةُ)** النَّافية للقَدَر، فأخرجوها عن أفعال اللَّه وأنَّها ليست بتكوينه، وقالوا: «إنَّ الأفعال فعل العبد، فما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل، ولم يخلقها اللَّه».

فلازمُ قولهم: «أنَّ العبدَ يَخلقُ مع اللَّه».

---

(١) المُثبِتة.

(٢) أي: أوامر الشَّرع ونواهيه.

. . . .

فأثبتوا نصوص الشَّرع وغَلَوْا في إثباتها حتَّى عَطَّلوا نصوص القَدَر.

أهل السُنَّة أثبتوا أفعال اللَّه ولم يَغْلوا فيها

فهدى اللَّه أهل السُّنَّة والجماعة، واتَّسَعت صدورهم للإيمان بالقَدَر والشَّرع جميعاً، ووَفَّقوا بين النُّصوص، فأثبتوا أفعال اللَّه ولم يغلوا فيها، وآمَنُوا أنَّ ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ العَبدَ له فعلٌ ومشيئةٌ وقدرةٌ، لكنَّها تابعة لمشيئة اللَّه وقدرته ومشمولة بالخَلْقِ(١)، بخلاف هاتين الطَّائفتَيْن؛ فإنَّ كلَّ وَاحدةٍ مِنهنَّ أخذت بعض النُّصوص ورَدَّتْ ونَفَتْ بها بعضاً.

---

(١) قال الوالد ﷺ: «ويأتي مبحثٌ خَاصٌّ بالقَدَر والإيمان به، مبسوطٌ فيه ما يتعلَّق بأفعال اللَّه هناك» (ص٤٠٩).

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّه بَيْنَ: الْمُرْجِئَةِ، وَالوَعِيدِيَّةِ - مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ -.

أهل السُّنَّة وَسَطٌ في نصوص الوعيد بين المُرجِئة والوَعيديَّة

(وَ) أهل السُّنَّة وسطٌ (فِي بَابِ) نصوص (وَعِيدِ اللَّهِ) بالعذاب أو بالنَّار لعصاة المُوحِّدين (بَيْنَ) طرفين: (الْمُرْجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ - مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ -):

المُرجِئة يُعطِّلون نصوص الوعيد

فـ(الْمُرْجِئَةُ) يُعَطِّلون نصوص الوعيد ولا يعتقدون حقيقة الوعيد وأنَّ عُصاةَ المُوَحِّدين على خطرٍ إنْ لم يتجاوز الرَّبُّ عنهم؛ بل يُغَلِّبون جانب الرَّجاء، ويتأخَّر منهم العمل.

الوَعيديَّة يَغْلون في نصوص الوعيد

و(الوَعِيدِيَّةُ - مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ -) يُثبِتون نصوص الوعيد ويَغْلون في إثباتها ويَزيدُون فيها، ويَرَوْنَ أنَّ مَنْ تُوعِّد فيها مِنْ عُصَاة المُوحِّدين فهو من المُخلَّدين في النَّار، حكمه حكم الكفَّار والمشركين.

وأهل السُّنَّة وسطٌ بين هذين الطَّرفين:

أهل السُّنَّة يُثبِتون نصوص الوعيد ولا يَغْلون فيها

يُثبِتون نصوص الوعيد - كنصوص التَّكفير -، ولا يُعَطِّلونها، ولا يُغلِّبون جانب الرَّجاء فيتأخَّر منهم العمل، ولا يَغْلون في إثباتها، ولا يَرَوْن أنَّ عُصاةَ المُوحِّدين مثل الكفَّار؛ لكن يخشون عليهم.

. . . .

ولا يَتَعرَّضون لها بتأويلٍ يَصْرِفُها عن معناها الذي أُريدت به؛ بل يُمِرُّونها كما جاءت، مع مراعاة شيءٍ آخر، وهو أنَّ كلَّ ذَنبٍ دون الشِّرك فهو تحت المشيئة(١).

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويأتي في آخر الكتاب إيضاح هذا الباب في بابٍ مُستقلٍّ» (ص٤٢١-٤٢٣).

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ.

أهل السُّنَّة وسطٌ في الأحكام بين الحَرُوريَّة والمُعْتَزِلَة وبين المُرجئة والجَهْمِيَّة

(وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ) وهذه يقال لها: «مسألة الأسماء والأحكام» مثل: الإسلام، والإيمان، والكفر، والفسق[١].

فأهل السُّنَّة وسطٌ بين طرفين:

(بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ) - نسبة إلى حروراء[٢]، وهم: الخَوَارِج -، (وَالمُعْتَزِلَةِ).

(وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ) قيل: من الإِرْجَاء، وهو: التَّأخير[٣]، يُغَلِّبون جانب الرَّجاء ويتأخَّر منهم العمل، (وَالجَهْمِيَّةِ).

فالخَوَارِج والمُعْتَزِلَة طرف، والمُرجِئة والجَهْمِيَّة طرف.

الخَوَارِج تُكَفِّر المُوَحِّد بالمعصية والمُعْتَزِلَة تجعل له منزلةً بين المنزلتين

المُعْتَزِلَة والخَوَارِج قالوا: «إنَّ الإيمانَ قَولٌ وعَمَلٌ؛ لكن لا يَزيدُ ولا يَنقصُ، ولا يَتبعَّضُ ولا يَتجزَّأُ»، قالوا: «إنَّ تَركَ المعصية وفِعلَ الطَّاعة إيمانٌ، فإذا فَعَل المُوَحِّد المعصية، أو ترك الطَّاعة؛ زَالَ عنه الإيمان كلُّه».

ثمَّ الخَوَارِج تُكفِّره، والمُعْتَزِلَة تجعل له منزلةً بين المنزلتين.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٨).

(٢) حروراء: موضع قرب الكوفة في شمالها الغربيِّ، والآن دخلت فيها، نَزَل بها الخَوَارِج الذين خَالَفُوا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فنُسِبوا إليها. معجم البلدان (٢/ ٢٥٤)، مراصد الاطلاع (١/ ٣٩٤)، الرَّوض المعطار (ص١٩٠).

(٣) المِلَل والنِّحَل (١/ ١٣٩).

. . . .

وافقوا أهل السُّنَّة في أصل الإيمان أنَّه: قَولٌ وعَمَلٌ، لكن خالفوهم فقالوا: لا يَتبعَّضُ ولا يَتجزَّأُ.

المرجئة قالوا: الإيمان هو التَّصديق أو القول أو المعرفة

والمرجئة يُخالِفون أهل السُّنَّة في مُسَمَّى الإيمان؛ إمَّا أن يقولوا هو التَّصديق بالقلب فقط، أو هو القول فقط، أو هو المعرفة فقط، ويقولون: إنَّه لا يزيد ولا يَنقصُ، ولا يَتبعَّضُ ولا يَتجزَّأُ.

فيلزم على القول بأنَّه العلم بالحقِّ والمعرفة: أنَّ إيمانَ جبريل وإبليس واحد.

ويلزم على القول بأنَّه القول فقط: أنَّ إيمانَ جبريل وإيمانَ المنافقين واحد.

مُسَمَّى الإيمان عند أهل السُّنَّة

وأهل السُّنَّة وسطٌ بين هذين الطَّرفين، فقالوا: إنَّ الإيمانَ قَولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالجَنان، وعَمَلٌ بالأركان، وهو يَزيدُ بالطَّاعة ويَنقصُ بالعصيان، ويَتبعَّضُ ويَتجزَّأُ، وأنَّ التَّصديقَ بالقلبِ وَحْدَه ليس بإيمان، وأنَّ الَّذي يَقولُ بلِسانِه ما ليس في قلبه ليس بمُؤمنٍ، وأنَّ الفاسقَ المِلِّيَّ لا يَكفُر بمُطلَق المعاصي والكبائر، وغير ذلك ممَّا تقتضيه أصولُهم(١).

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «ويأتي فصلٌ خاصٌّ بمسألة الإيمان والأحكام، وبَسْط الأقوال في حَدِّ الإيمان، وحكم الفاسق مِنْ أهل المِلَّة عند الفِرَق الثَّلاث» (ص٤٢٣-٤٢٩).

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ: الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ.

أهلُ السُّنَّة وَسَطٌ في الصَّحابة بين الرَّافضة والخَوَارِج

(وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) وسطٌ (بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ).

الرَّافضة يَغْلون في بعض الصَّحابة

(الرَّافِضَةُ) غَلَوْا في عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل البيت بتعظيمهم؛ حتَّى قال بعضهم: بإلهيَّتهم أو نُبوَّتهم أو عِصْمَتِهم، ويجفون بقيَّة الصَّحابة إلَّا نفراً قليلاً، ومَسْلَكُهم فيهم التَّكفير.

الخَوَارِج يجفون بعض الصَّحابة

(وَ) مَسْلَك (الخَوَارِجِ) في أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ مَعلُومٌ مَعروفٌ: يُكَفِّرونَهُم أو يُفَسِّقونَهُم - أهل البيت وغيرهم -، خصوصاً عليّاً ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأهل الشَّام؛ لِمَا وقع منهم من التَّحْكِيم[(١)] وغيره.

أهلُ السُّنَّة لا يجفون الصَّحابة ولا يَغْلون فيهم

وأَهلُ السُّنَّة والجماعة وَسطٌ وعلى هدىً مستقيم بين ضلالتَيْن، يَترضَّوْن عن جميع أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ، ويَعرفُون حقَّهم، ويُنزِلُونهم منازلهم، ولا يَرَوْنَ فيهم ما يراه الخَوَارِج والرَّوافض من تكفيرهم.

وكذلك أَهلُ السُّنَّة والجماعة تَوسَّطوا في أَهلِ بيت رسولِ اللَّه ﷺ، ورأوا أنَّ لهم مَزيَّةً؛ لقُرْبهم من النَّبيِّ ﷺ، كما

---

(١) بين عليٍّ ومُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين اتَّفقا أنْ يُحَكِّم كلُّ وَاحدٍ منهما رَجلاً مِنْ جِهتِه، ثمَّ يتَّفق الحَكَمان على ما فيه المصلحة للمسلمين. البداية والنِّهاية (١٠/ ٥٥٤).

. . . .

قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»[1]، ولا يَرَوْنَ ما يراه الرَّوافض من الغُلُوِّ في أهل البيت، ولا ما يراه الخَوَارِج والنَّواصب من العداوة لأهل البيت.



(١) رواه أحمد في المسند، رقم (١٧٧٧)، من حديث العبَّاس رضي الله عنه، ولفظه: «وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي».

فَصْلٌ

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ:

مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، . . . .

فَصْلٌ

مِنْ صفات اللَّه: أنَّه فوق سمواته وهو مع خَلْقِه

ذكر المُصنِّف في هذا الفصل مِنْ صفات اللَّه: أنَّه فوق سمواته، وأنَّه مع عُلُوِّه: مع خلقه؛ مَعيَّةً تَتضمَّن علمه بجميع أحوالهم.

(وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ:

اللَّه فوق سمواته مُنفصِلٌ من خَلْقِه

مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ) يعني: مُنفصِلٌ مِنْ خلقه بَائِنٌ منهم، ليس في ذاته شيءٌ مِنْ مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيءٌ مِنْ ذاته.

مع عُلُوِّ اللَّه هو مع خَلْقِه مَعيَّةً تقتضي العلم

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا) مَعيَّةً تقتضي العلمَ والإحاطةَ والاطِّلاع والقدرةَ وملكَه وقبضَه.

يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

فسَّر السَّلَف المَعيَّة بلازمها للرَّدِّ على الحلوليَّة

(يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ) هذا تَفسيرٌ لِقولِه: **(وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ)**، وألجأهم إلى أنْ يُفَسِّروها باللَّازِم[1]؛ لردِّ محذورٍ أكبر، مِنْ أَجلِ أنَّهم يَتكلَّمون مع الجَهْمِيَّة القائلين بالحُلُول وإنكار العُلُوِّ، فبيَّنوا أنَّه ليس بالخَلْق مختلِطاً.

اعتقاد أنَّ اللَّه فوق سمواته وهو مع خَلْقِه مِنْ أعظم الإيمان

فالإيمان بذلك مِنْ أعظم الإيمان باللَّه ﷻ، فهو مع كمال عُلُوِّه وفوقيَّته بكمال عِلْمِه ومَعيَّته مع خلقه.

الدَّليل على أنَّ اللَّه فوق سمواته وهو مع خَلْقِه

(كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ﴾) واستواؤه على عرشه، هذا فيه: إثبات عُلُوِّه على خلقه.

(﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ﴾) فيه: إثبات كمال العلم.

(﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾) فيه: إثبات صفة المَعيَّة.

(﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾) فيه: إثبات صفة البَصَر.

---

(١) أي: لازم المعيَّة، وهو العِلْم هنا.

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، . . . .

ليس معنى المَعيَّة أنَّه مُمتزِجٌ بالخَلْقِ؛ لأسباب

(وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ) مُمْتزِجٌ **(بِالخَلْقِ)** كما تَقولُه حُلوليَّة الجَهْمِيَّة، حاشا وكلَّا؛ بل مَعيَّة اللَّه تعالى لا تقتضي ذلك، فإنَّها وردت مطلقةً في وَصْفِ اللَّه.

السَّبب الأوَّل: أنَّ هذا لا تُوجِبه اللُّغة

(فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ) التي نزل بها القرآن مِنْ أنَّ المُرادَ بها: الامتزاج؛ بل تَرِدُ ويُرادُ بها هذا، وتَرِدُ ويُرادُ بها هذا[(١)].

السَّبب الثَّاني: أنَّه خلاف ما أَجْمَع عليه السَّلف

(وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ) فإنَّهم مُجمِعون على أنَّ اللَّه فوق عرشه، بائنٌ مِنْ خلقه[(٢)]، ولمَّا سُئِلَ ابن المبارك: بماذا نَعرِف ربَّنا؟ قال: «بأنَّه فوق سَمواتِه على عَرْشِه، بَائِنٌ من خَلْقِه»[(٣)].

فلو قلتَ: المَعيَّة لها معنيان؟

---

(١) قال الوالد ﵀: «بحسب الإطلاق والتَّقييد»، قال شيخ الإسلام ﵀ كما في مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٣): «كلمة (مع) في اللُّغة إذا أُطلِقَت فليس ظَاهرُها في اللُّغة إلَّا المُقارَنة المُطْلَقة، مِنْ غير وُجوب مُماسَّة، أو مُحاذَاةٍ عن يَمينٍ أو شِمالٍ. فإذا قيِّدَت بمعنىً من المَعاني، دلَّت على المُقارَنة في ذلك المعنى، فإنَّه يقال: (ما زِلْنا نَسيرُ والقَمرُ معنا)، أو (والنَّجم معنا)، ويقال: (هذا المَتَاع معي)؛ لمُجَامَعَته لك وإنْ كان فَوقَ رَأسِك، فاللَّهُ مع خَلْقِه حَقيقةً وهو فوقَ عَرشِه حَقيقةً».

(٢) الإبانة الكبرى (٢/ ٥٥٧)، الصَّواعق المُرسَلة (٤/ ١٢٨٥-١٢٨٦).

(٣) نَقْضُ الدَّارميِّ على المَريسيِّ (١/ ٢٢٣).

وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ؛ بَلِ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ وَغَيْرِ المُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

قلتُ لك: لكن يدلُّ على أنَّ المُرادَ الأوَّل إِجْماعُ المسلمين.

السَّبب الثَّالث: أنَّ الفِطرة دلَّت على أنَّ اللَّه فوق السَّموات على العَرْش

(وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ) - عربهم وعجمهم، صامتهم وناطقهم -؛ فإنَّهم مُطبِقُون على معرفة خالقهم ومُزيلِ الضُّرِّ عنهم أنَّه فوق السَّموات على العرش، فإنَّهم إذا حَزَبَ[1] أحدهم حازبٌ رفع رأسه إلى السَّماء، حتَّى البهائم العُجْم إذا حَزَبَها حَازِبٌ رفعت رؤوسها إلى السَّماء؛ فِطرةً من اللَّه.

أمثلة على أنَّ المَعِيَّة لا تقتضي امتزاجاً

(بَلِ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ) جُمْلةِ **(آيَاتِ اللَّهِ)** المشاهدة في الدُّنيا، **(مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ)** بالنِّسبة إلى السَّموات، **(وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ[2])** يعني: الدُّنيا، في الفَلَك الأدنى من السَّماء.

مَعِيَّة القمر لا يراد بها الامتزاج ففي حقِّ اللَّه بطريق الأَوْلَى

(وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ وَغَيْرِ المُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ)، ويَصِحُّ أنْ يكون مع المسافر وغير المسافر وهو في مَوْضِعه، فمَعيَّة القمر مع الماشي وغيره تَخُصُّه وهو في فَلَكِه؛ فإنَّ العربَ يقولون: «ما زلنا نسير والقمر معنا»، ولا يريدون أنَّه حالٌّ فيهم مُمَازِج، وإذا

---

(١) أي: أصاب. الصِّحاح (١/ ١٠٩).
(٢) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «مع عُلوِّه».

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا -: حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، . . . .

كانت مَعيَّة القمر تطلقها العرب ولا يُريدُون ما تقدَّم، فَلَأَنْ لا تفيد النُّصوص ذلك في حقِّ اللَّه بطريق الأَوْلَى، فالشَّخص يكون معه القمر، وليس فيه القمر، وليس معه إلَّا نُورُه.

ويُقالُ: «فلانٌ مع فلان»؛ إذا كان يميل إليه، وإنْ كان بينهما مسافة بعيدة.

ويُقالُ: «هذه المرأة مع فلان»، وإنْ كان بينهما مسافة.

«وفُلانٌ مع الأمير» كذلك.

فالمرادُ شيءٌ واحد وهو: أنَّ المَعيَّة لا تقتضي امتزاجاً واختلاطاً.

اللَّه مع كمال مَعِيَّته مع خَلْقِه في كمال فوقيَّته

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ) أي: مُشرِفٌ **(عَلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ)**.

اللَّه فوق العَرْش وهو مع خَلْقِه كلاهما حقٌّ على حقيقته ولا يتنافيان

(وَكُلُّ هَذَا الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا -: حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ) الجميع - كلٌّ من هذا

لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ، مِثْلُ: أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ أَوْ تُظِلُّهُ، . . . .

وهذا - حقٌّ على حقيقته، هو على العرش حقٌّ على حقيقته، وهو معنا حقٌّ على حقيقته، فهما شيئان متوافقان لا يتنافيان أبداً.

بين صفات اللَّه وصفات المخلوقين أعظمُ تباينٍ يُوجَد

وليس معنى قوله: (**حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ**) كما يتبادر في الذِّهن من صفات المخلوقين، فبَيْنَ صفات اللَّه وصفات المخلوقين أَعظمُ تباينٍ يُوجَد؛ فكما أنَّ ذاته لا كذوات المخلوقين، فكذلك صفاته؛ بل هي مَعيَّةٌ موافقةٌ مطابقةٌ لائقةٌ به.

(**لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ**) أي: الذي يُسمِّيه المُحرِّفون: «تأويلاً».

(**وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ**) الفاسدة، فإنَّ بالظُّنون الكاذبة يَكثُر الاختلاف.

أمثلة عن الظُّنون الكاذبة في هذه الصِّفة

(**مِثْلُ: أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ**) أي: تَحمِلُه، وأنَّها لو سَقَطت لسَقَط، تعالى اللَّه وتقدَّس.

(**أَوْ تُظِلُّهُ**) تكون له كالظُّلَّة[١]، تعالى اللَّه وتقدَّس.

---

(١) الظُّلَّة: ما يَستُر من فوقٍ. لسان العرب (١١/ ٤١٧).

وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَهُوَ الَّذِي ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾، ﴿وَيُمْسِكُ . . . .

وأنَّ قولَه: **(مَعَنَا)**؛ أنَّه يقتضي الامتزاج.

الرَّدُّ على تلك الظُّنون الكاذبة

(وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ) هذه فاء التَّعليل، **(قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ)**، الكُرسيُّ هو: موضع القدَمَيْن، وجاء في الحديث: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ»[(١)]، وهو صغيرٌ بالنِّسبة إلى العرش، كما في الحديث: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ»[(٢)]، فكيف يُظَنُّ أنَّ السَّموات تُقِلُّه أو تُظِلُّه؟! بل السَّموات السَّبع كلُّها في يد اللَّه كالخَرْدَلَة في يَدِ أَحدِنا، كما في الحديث: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[(٣)].

الكُرسيُّ وَسِعَ السَّموات والأرض وهو موضع قدَمَي الرَّحْمَن فكيف يُظَنُّ أنَّ السَّموات تُقِلُّه أو تُظِلُّه؟!

السَّموات والأرض لم تَقُمْ إلَّا بإمساكِه فكيف يُظَنُّ أنَّه مُحتاجٌ إليهما؟!

(وَهُوَ الَّذِي ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾، ﴿وَيُمْسِكُ

---

(١) رواه ابن حِبَّان في صحيحه، كتاب البِرِّ والإحسان، باب ما جاء في الطَّاعات وثوابها، ذِكْر الاستحباب للمرء أن يكون له من كلِّ خير حَظٌّ رجاء التَّخلُّص في العقبى بشيءٍ منها، رقم (٣٦١)، من حديث أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص٢٠٥).

(٣) سبق تخريجه (ص٣١٥).

ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ﴾.

ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ﴾) فلا قامت إلَّا بأَمرِه وقُدرتِه وإِمساكِه، ولولا إقامته لها لَانْدكَّ بعضها على بعض، فكيف يُظَنُّ أنَّه مُحتاجٌ إليها؟!

اللَّه غنيٌّ بذاته عن جميع مخلوقاته وجميعها مُفتقِرةٌ مُحتاجةٌ إليه

فيَظهَر بهذا: أنَّ جَميعَ مخلوقاته مُفتقِرةٌ مُحتاجةٌ إليه - من العرش إلى الثَّرَى -، وهو تعالى الغنيُّ بذاته عن جميع مخلوقاته.



فَصْلٌ

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

فَصْلٌ

إثباتُ قُرْبِ اللَّه وإجابته للدَّاعين

(وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ) يعني: دخل في الإيمانِ باللَّه تعالى، فإنَّ الإيمانَ باللَّه يَشمَل الإيمان بذَاتِه وأسمائِه وصِفاتِه الواردة في الكتاب والسُّنَّة، وأشياء من جُمْلَتِها: **(الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ)** من سَائِليه، **(مُجِيبٌ)** لدَاعِيه.

(كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ) أي: بين قُرْبه تعالى وإجابته، **(فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾)**.

(وَقَوْلِهِ ﷺ) - لمَّا رَفَعَ الصَّحابةُ أصواتَهم بالذِّكْرِ -: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً - بحيث يَحتاجُ دَاعِيه إلى رَفع صَوتٍ -، **(إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»[1])**.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٠).

وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، . . . .

وهذا القُرْب هو القُرْب الخاصُّ، قُربُه مِنْ عَابِدِيه، ومِنْ سَائِلِيه، يعني: سواء كان ذلك الدُّعاء دعاء عبادة، أو دعاء مسألة.

والقُرْبُ لم يَرِدْ في الكتاب والسُّنَّة إلَّا لهذين: العابدِين، والسَّائلِين، وجاء في الحديث: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»(١).

قُرْبُ اللَّه ومعيَّته لا ينافيان عُلُوَّه وفَوقيَّته

(وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ) في الكتاب والسُّنَّة (مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ)؛ بل كلٌّ من هذا وهذا حقٌّ على حقيقتِه، فله سبحانه كمال القُرْب وكمال المَعيَّة، مع كمال العُلُوِّ والفَوقيَّة.

(فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ) يعني: ليست نُعُوتُه كنُعُوت الخَلْقِ، ولا تَصل تقديرات الخَلْقِ إلى معرفة كُنْهِ صفاته.

(وَهُوَ) سبحانه (عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ) يعني: وهو مع كمال عُلُوِّهِ قريب.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٨٠).

قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

(قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ) ومع كمال قُربِه عَلِيٌّ.

ولا مُنافَاة بين هذا وهذا، فهو سبحانه على كلِّ شيءٍ قدير، فلا يُعجِزه شيء، ولا يَشُقُّ عليه شيء؛ بل السَّموات في يَدِه كالخَرْدَلة في يَدِ أحدنا.

حاسَّة المخلوق قاصرة عن معرفة كُنْهِ صفات اللَّه

فالكلُّ حقٌّ على ما يليق بجَلالِه وعَظمتِه، لا يَعرِف كُنْهَ شيءٍ مِنْ ذلك ولا حقيقته - لا شرعاً ولا حَدّاً - أحد؛ فإنَّه لا يمكن للمخلوق أنْ يَصِلَ إلى حاسَّةٍ يعلم ما الخالق عليه من الصِّفات، وإنَّما يُمكن هذا في حقِّ المخلوق الذي يَدخلُ في علمك وفكرك العلمُ ببعض صفاته.



فَصْلٌ

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، . . . .

فَصْلٌ

القرآن كلام اللَّه مُنَزَّلٌ غير مخلوق

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ) الموجود - الذي في المصاحف - **(كَلَامُ اللَّهِ)**.

جبريل سَمِعَ القرآن من اللَّه ومُحمَّدٌ ﷺ سَمِعَه مِنْ جبريل عليه السلام

(مُنَزَّلٌ) من اللَّه، يعني: أنَّ اللَّه نَزَّله بواسطة جبريل، وجبريل سَمِعَه من ربِّ العالمين، وسَمِعَه مُحمَّدٌ ﷺ مِنْ جبريل، وبَلَّغه العالمين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، هذا هو طريق ورثةِ سيِّد المُرسَلِين، بخِلَاف ورثة فرعون اللَّعين.

ولا منافاة بين هذا، وبين كونه مكتوباً في اللَّوح المحفوظ.

الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة يقولون بخَلْقِ القرآن

(غَيْرُ مَخْلُوقٍ) والقول بأنَّه مُضافٌ إلى اللَّه إضافةَ خَلْقٍ هو قول الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلة، قالوا: «إنَّه مَخلوقٌ يَخلقُه في بعض الأجسام، إمَّا في الشَّجرة، أو على لسان القارئ، فمِنْ ذلك الجسم بَدَأَ لا من اللَّه»، ولا يقوم باللَّه عندهم كلامٌ ولا إرادةٌ.

مِنَ اللَّه بدأ القرآن

(مِنْهُ بَدَأَ) قولاً؛ ولهذا في الآيات: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، . .

إلى اللّه يعود القرآن في آخر الزَّمان

(وَإِلَيْهِ يَعُودُ) بعد تَعطُّلِه وترك العمل به في آخر الزَّمان، فيُرفَع إلى مَنْ تكلَّم به؛ مِن الصُّدور ومِن المصاحف؛ يُرفَع مِنْ صدور مَنْ يَقرؤُه، وإذا نُظِر في المصاحف فإذا هم لا يجدونه فيها، كما جاء في الأحاديث: أنَّهم إذا نسوا الآية أو الشَّيء، أنَّهم يَرجِعُون إلى المصاحف، فلا يَجدُون شيئاً[1].

تكلّم اللّه بالقرآن حقيقة

(وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً) لا مجازاً.

القرآن هو كلام اللّه حقيقة لا كلام غيره

(وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً لَا كَلَامُ غَيْرِهِ) وعبارة أهل السُّنَّة: «أنَّ اللَّه لم يَزَلْ مُتكلِّماً إذا شاء، وأنَّ هذا القرآن كلام اللَّه».

لا يَجوزُ إطلاق القول بأنَّ القرآنَ حِكايَة عن كلام اللّه

(وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ) كما أَطْلَقَتْه الكُلَّابيَّةَ[2]، يعني: أنَّه يُشبِهه؛ وإلَّا ليس كلامَ اللَّه.

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، رقم (٤٠٤٩)، من حديث حذيفة رضي الله عنه، وفيه: «وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عز وجل فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ».

(٢) هم: فِرْقَة تُنسَب إلى أبي مُحمَّد عبد اللَّه بن سعيد بن كُلَّاب القَطَّان البَصْريِّ، رأس المُتَكَلِّمين بالبصرة في زمانه، وصاحب التَّصانيف في الرَّدِّ على المُعْتَزِلَة، ورُبَّما وافقهم، مِنْ مُعتقداتِهم: إثباتُ الأسماء والصِّفات، سوى الاختياريَّة منها، =

أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ . . . .

لا يَجوزُ إطلاق القول بأنَّ القرآنَ عبارة عن كلام اللَّه

(أَوْ) وبعضٌ تحاشى كلمة حكاية، وقال: هو (عِبَارَةٌ عَنْهُ) أي: عن كلام اللَّه؛ وإلَّا ليس كلام اللَّه، كما أَطْلَقَتْه الأَشَاعِرَة.

وهذا خطأ؛ بل الموجود في المصحف هو كلام ربِّ العالمين.

القول بالكلام النَّفسي أشرُّ من قول الجَهْمِيَّة

وهذا[1] كلُّه بناءً على القول بالكلام النَّفسيِّ، وأنَّه شيءٌ واحدٌ، لا فَرْق بين أَمْرِه ونهيِه، وخَبرِه واستفهامِه، وتَوْرَاتِه وإِنْجِيلِه، وهم الذين ألَّف المُصنِّف في الرَّدِّ عليهم «التِّسعينيَّة»، وهذا القول أَشرُّ مِنْ قول الجَهْمِيَّة، وقد أضحكوا به الأُمَم، وخرجوا به عن المعقول.

والأشاعِرَةُ فَرعٌ عن الكُلَّابيَّة في هذه المسألة وغيرها.

والماتريديَّةُ قولُهم يُقارِب قول الأشاعِرَة، إلَّا أنَّ بين القولين فُرُوقاً عديدة، بعض المُؤلِّفين صَرَّح بكثير منها[2].

= والقولُ بأنَّ الإيمان هو: التَّصديقُ وقَولُ اللِّسان، والأعمال ليست منه، وأنَّه لا يَزيدُ ولا يَنقصُ. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٠٣)، بيان تلبيس الجهميَّة (١/ ٨٣)، النُّبوَّات (١/ ٥٨٠)، اجتماع الجيوش الإسلاميَّة (ص٤٣٢)، سير أعلام النُّبلاء (١١/ ١٧٤).

(١) أي: إطلاق القول بأنَّ القرآنَ حكاية عن كلام اللَّه أو عبارة عنه.

(٢) كعبد الرَّحيم بن عليٍّ، المعروف بـ«شيخ زاده الحنفيِّ»، (ت ٩٩٤هـ)، في كتابه: «نظم الفرائد وجمع الفوائد»، وعبد اللَّه بن عثمان، المعروف بـ«مستحيي زاده الحنفيِّ»، (ت ١١٥٠هـ)، له «رسالة في الخلافيَّات بين الماتريديَّة والأشاعِرَة»، والحسن بن عبد المحسن، المعروف بـ«أبي عذبة»، (كان حيّاً سنة ١١٧٣هـ)، في كتابه: «الرَّوضة البهيَّة فيما بين الأشاعِرَة والماتريديَّة».

بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ، لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً؛ فَإِنَّ الكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئاً، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّياً.

القرآن المسموعُ والمَرْسُومُ والمَتْلُوُّ والمحفوظُ: كلام اللَّه

(بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ) أو حَفِظُوه في صُدورِهم، **(أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ، لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً)** الكلام له أربع مراتب:

- الوُجودُ الذِّهنيُّ، وهو حِفظُه في الصُّدور.
- والوُجودُ العَيْنيُّ.
- والوُجودُ النُّطقيُّ.
- والوُجودُ السَّمعيُّ.

فما في الصُّدور منه هو كلام اللَّه، وهذا الذي تَرَاه في المصاحف هو كلام اللَّه، والذي تتلفَّظُ به هو كلام اللَّه، والذي تَسْمَعُه هو كلام اللَّه.

والمراد: أنَّه بكلِّ مراتبه ووُجُوهِه لا يَخرُج عن أنْ يكون كلام اللَّه تعالى حقيقةً، والوَرَقُ والمِدادُ مخلوقٌ، والصَّوت صوت القاري، والكلام كلام الباري.

الكلام إنَّما يُضافُ حقيقةً إلى مَنْ قاله مُبتدئاً

(فَإِنَّ الكَلَامَ) في لغة العرب **(إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئاً، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّياً)** عن غيره، فالذي يقولُه

وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ، حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، . . . .

الأوَّل يُنسَب إليه، فإنَّك إذا قلت: كلام الشَّافعيِّ[١]، فالمراد: أنَّه أوَّل مَنْ قال هذا القول، وقد جاء في القرآن إضافة الكلام إلى اللَّه؛ كقوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

أُضيفَ القول إلى جبريل عليه السلام ومُحمَّد ﷺ إضافة تَبْلِيغٍ

وأمَّا قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ - هذا جاء في موضعين -، فالمراد: التَّبليغ.

فإنْ قيل: أضافَه إلى الرَّسول؟

قيل: نعم، فيه أنَّ الرَّسول في آيةٍ[٢]: جبريلُ عليه السلام، وآيةٍ[٣] أنَّه: مُحمَّدٌ ﷺ؛ فيدلُّ على أنَّه ليس كلامه، إنَّما بَلَّغه عن غيره، فإِضافتُه إلى مُبَلِّغه إضافة تَبْلِيغ، لا إِضافةُ قَولٍ وابتداءٍ لأَحدِهِما دون الآخر.

القرآن كلام اللَّه حُرُوفُه ومَعانِيه

(**وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ، حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ**) جميعاً.

(**لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ الحُرُوفَ**) فقط (**دُونَ المَعَانِي**) كما يقول

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إدريس بن العبَّاس الشَّافعيُّ القُرَشيُّ المُطَّلبيُّ، ولد سنة (١٥٠هـ)، مُحدِّث، فقيه، وأحد أَئمَّة المذاهب الأربعة، انتشر عِلمُه في الآفاق، توفي رحمه الله سنة (٢٠٤هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٦٣)، سير أعلام النُّبلاء (١٠/ ٥).

(٢) وهي: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩].

(٣) وهي: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

وَلَا المَعَانِيَ دُونَ الحُرُوفِ.

طوائف مِنْ أَهلِ الكلام والحديث: «إنَّه حروفٌ وأَصواتٌ قَدِيمةٌ أَزليَّةٌ[١]، لها مَعانٍ تَقومُ بذات المُتَكلِّم»[٢].

(وَلَا المَعَانِيَ) فقط (دُونَ الحُرُوفِ) كما تَقولُه الكُلَّابيَّة والأَشاعِرَة؛ بل هو كلام اللَّه حروفُه ومَعانِيه.



(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَزَل: عبارةٌ عن عدم الابتداء، وما لا ابتداء له فهو: أزليٌّ، وما لا انتهاء له فهو: أبديٌّ» درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٧).

(٢) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «طَوائِف من أهل الكلام والحَدِيث - من السَّالِميَّة وغَيرِهِم - يقولون: إنَّ كلامَ اللَّه حُروفٌ وأصواتٌ قديمةٌ أَزليَّةٌ، ولها مع ذلك معانٍ تقومُ بذَاتِ المُتكلِّم، وهؤلاء يُوافِقُون الأَشْعَرِيَّة والكُلَّابيَّة في أنَّ تَكليمَ اللَّه لعِبادِهِ ليس إلَّا مُجرَّدَ خَلْق إدرَاكٍ للمُتَكلِّم، ليس هو أَمْراً مُنْفصِلاً عن المُسْتمِع» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ١٦٦).

فَصْلٌ

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضاً فِيمَا ذَكَرْنَاهُ - مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ -: الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَاناً بِأَبْصَارِهِمْ؛ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْواً لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

فَصْلٌ

إثباتُ رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة رؤية حقيقيَّة

(وَقَدْ دَخَلَ أَيْضاً فِيمَا ذَكَرْنَاهُ - مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ -: الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَاناً بِأَبْصَارِهِمْ) رُؤيةً حَقيقيَّةً.

تشبيه الرُّؤية بالشَّمس والقمر بجامع الظُّهور لكل أحد

(كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْواً لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ) وذلك لظهور الباري لِكلِّ أَحدٍ.

(وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ) في الدُّنيا (لَيْلَةَ البَدْرِ) كما أنَّ رُؤيةَ القمر لَيلةَ البَدْر رُؤيةٌ حَقيقةٌ ظاهرة؛ وذلك لظهور البدر لكلِّ أَحدٍ.

وهذا تشبيهٌ للرُّؤية بالرُّؤية، لا تشبيهٌ للمَرئيِّ بالمَرئيِّ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى لا مِثْل له.

(لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ) كما في الحديث: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ؛ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[١].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٣).

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، . . . .

قوله: «لَا تُضَامُونَ» بضمِّ التَّاء وتخفيف الميم، أي: لا يَلْحَقُكُم ضَيْمٌ ومَشَقَّةٌ في ذلك.

وفي رواية: «لَا تَضَامُّونَ»[١]، أي: لا يَنْضَمُّ بَعضُكم إلى بَعضٍ كنظر الشَّيء الخَفيِّ.

المؤمنون يَرَوْن ربَّهم في موقف القيامة

(يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ) في موقف القيامة.

ثمَّ هذه الرُّؤية للمؤمنين والحَجْبُ للكافرين، الرُّؤية للمؤمنين هي بما كان في قلوبهم من معرفة اللَّه وإجلاله ونظره بالبصائر؛ أمَّا أهل البدعة أَعْمَت قُلوبهم الشُّبُهات والأوهام والبدع، فكذلك تُحْجَبُ أبصارُهم في الآخرة عن رؤية اللَّه، كما حُجِبت بَصائِرُهم في الدُّنيا.

المؤمنون يَرَوْن ربَّهم مِنْ غير إحاطة به

ثمَّ المؤمنون إذا رأوه في الآخرة لا يُحيطُون به رؤية؛ لعظمته وجلاله وكبريائه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، وليس معناه: لا تراه؛ بل المراد: أنَّها لا تُدرِكه على ما هو عليه، فالإدراك أخصُّ من الرُّؤية، و«نَفْيُ الأَخَصِّ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الأَعَمِّ».

المراد: أنَّ الرُّؤيةَ الثَّابتةَ في الكتاب والسُّنَّة المُجمَع عليها

---

(١) سبق تخريجها (ص٣٢٣).

ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ، كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ ﷻ.

بين سَلَف الأُمَّة هي مِنْ غير إحاطة؛ بل لو اجتمعت أبصارُ العَوَالِم فكانت في بَصرِ شخصٍ واحدٍ لم يُدْرِكْه تعالى على ما هو عليه ﷻ؛ فهو يُرَى في الآخرة، ولا يُحَاط به لا في الدُّنيا ولا في الآخرة.

المؤمنون يَرَوْن ربَّهم كذلك بعد دخول الجنَّة

(ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ) فأعلى لذَّةِ أهل الجَنَّة هو النَّظر إلى وجه اللَّه الكريم، فإنَّه لا لذَّةَ أعظمُ من لَذَّة النَّظر إلى وجهه الكريم، كما أنَّه لا لذَّة لأهل الجَنَّة أعظمُ من لذَّة السَّماع لكلامه؛ بل ما طاب لأهل النَّعيم نعيمهم إلَّا بذلك.

المؤمنون يَرَوْن ربَّهم كيف يشاء

(كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ ﷻ) وكيف يشاء.

فهذا فيه: إثباتٌ لرؤية اللَّه تعالى في الآخرة، مِنْ غيرِ تَكييفٍ ولا تمثيلٍ، ولا إحاطةٍ، فهو سبحانه يُرَى ولا يُحَاط به.



فَصْلٌ

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ؛ . . . .

فَصْلٌ

أهل السُّنَّة يُؤمِنُون بكلِّ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ ممَّا يكون بعد الموت

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ).

هذا هو الأصل الخامس مِنْ أركان الإيمان السِّتَّة، وهو يَعمُّ ويَشمَل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت؛ من أحوال البَرْزَخ وما بعده، وغير ذلك.

فإنَّ هنا ثلاث دور: دار الدُّنيا، ودار الآخرة، وداراً بين الدَّارين - وهي البَرْزَخ والحاجب -.

والبَرْزَخ هو: الفاصل بين شيئين[1]؛ فقبر الإنسان هو دار البَرْزَخ بين أهل الدُّنيا وأهل الآخرة.

(الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ)، ومنه ما يحصل للميِّت في القبر، وهو مُجمَعٌ عليه[2]، ويَجِبُ الإيمان به، والإيمان به مِنْ جُمْلَة الإيمان باليوم الآخر.

---

(١) الصِّحاح (١/٤١٩).

(٢) رسالة إلى أهل الثَّغْر بباب الأبواب (ص٥٩)، الفصل في المِلَل والأهواء والنِّحَل (٥/٥٨).

فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

الإيمان بفتنة القبر

(فَيُؤْمِنُونَ) أي: أهل السُّنَّة والجماعة (بِفِتْنَةِ القَبْرِ) الفتنة: الاختبار والامتحان، من قولك: فَتَنْتُ الذَّهب، إذا عَرَضْتَه على النَّار وعَرَفْتَ جودته من رداءته(١).

فيؤمنون أنَّ المَقبورَ يُفتَن: فيُزَاغ(٢) أو يثبت؛ ويُفتَن الميِّت ولو لم يُقبَر.

الإيمان بعذاب القبر ونَعِيمِه

(وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ) تواترت عن النَّبيِّ ﷺ الأخبار والأحاديث فيه وثبوته(٣).

والقَبرُ في الحقيقة: إمَّا رَوضةٌ من رياض الجَنَّة لأهل الطَّاعة، أو حفرةٌ من حفر النَّار لأهل المعصية؛ روضةٌ لمَنْ كان على الصِّراط المستقيم في الدُّنيا، أو حفرةٌ لمَنْ كان على الشَّكِّ والرَّيب

(١) الصِّحاح (٦/ ٢١٧٥).

(٢) الزَّيْغ: المَيْل عن الحقِّ. الصِّحاح (٤/ ١٣٢٠).

(٣) منها: حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» رواه مسلم، رقم (٢٨٦٧).

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» رواه البخاريُّ، رقم (١٣٧٩)، ومسلم، رقم (٢٨٦٦).

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٥): «فأمَّا أحاديث عذاب القبر، ومسألة مُنكَر ونكِير؛ فكثيرةٌ متواترةٌ عن النَّبيِّ ﷺ».

فَأَمَّا الفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، . . . .

والزَّيغ عن الصِّراط المستقيم والقول الثَّابت في الحياة الدُّنيا.

العذاب والنَّعيم في البَرْزَخ للرُّوح والجسد جميعاً

ثمَّ العذاب والنَّعيم في البَرْزَخ للرُّوح والجسد جميعاً؛ لأنَّهما اللَّذان تَساعدا على الطَّاعة أو على المعصية - للرُّوح بالأصالة، وللجسد بالتَّبَع -، بكيفيَّةٍ اللَّه أعلم بها.

الأحكام في البَرْزَخ والدُّنيا والآخرة

فالأحكام في البَرْزَخ للأرواح، والأجسامُ تَبَعٌ لها؛ وفي الدُّنيا للأبدان، والأرواحُ تَبَعٌ لها؛ وفي الآخرة لهما جميعاً؛ فإنَّ الرُّوحَ قد انفصلت عن الجسد، ولكن لها اتِّصالٌ به، واتِّصال الرُّوح بالجسد له خَمْسُ مراتب[1].

فتنة النَّاس في قبورهم بسؤالهم عن أعمالهم

(فَأَمَّا الفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ) ويُختَبرون (فِي قُبُورِهِمْ) عن أعمالهم في الدُّنيا، وإنْ كان اللَّه سبحانه قد عَلِمَ ما هو كائنٌ من الخَلْقِ قبل أنْ يَخْلُقَهم.

---

(١) قال ابن القيِّم رحمه الله في الرُّوح (ص٤٣): «الرُّوح لها بالبَدَن خمسة أنواع من التَّعلُّق متغايرة الأحكام:
أحدها: تعلُّقها به في بطن الأُمِّ جنيناً.
الثَّاني: تعلُّقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.
الثَّالث: تعلُّقها به في حال النَّوم، فلها به تعلُّقٌ من وجه ومُفارَقةٌ من وجه.
الرَّابع: تعلُّقها به في البَرْزَخ، فإنَّها وإنْ فارقته وتَجَرَّدت عنه، فإنَّها لم تُفارِقه فراقاً كلِّيّاً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتَّة.
الخامس: تعلُّقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلُّقها بالبَدَن، ولا نِسْبَة لِمَا قبله من أنواع التَّعلُّق إليه؛ إذ هو تعلُّق لا يقبل البَدَن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً».

فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَـ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي.

فيأتيه ملكان عظيمان هائلان، فظيعٌ منظرُهما، وغليظةٌ أصواتُهما، أحدهما اسمه: «مُنكَر»، والآخر اسمه: «نَكِير»، فهما بمَنظرٍ ومَسمعٍ وبحالٍ لا يقوى على إجابتهما إلَّا أهل التَّثبيت، والسُّؤال يكون عن مسائل القبر الثَّلاث، فيَثْبُت بها قوم، ويُزاغ بها آخرون.

ما يُسأَل عنه الرَّجلُ في قبره

(**فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**).

(**فَـ**) حينئذٍ (**﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾**) مَنْ كان في الدُّنيا على الثَّبات والحُجَّة والبرهان، (**فَيَقُولُ المُؤْمِنُ**) الذي كان على ثقةٍ ويقينٍ ثابتٍ في الدُّنيا: (**رَبِّيَ اللَّهُ، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي**) لأنَّه كان عاش على الإيمان بذلك؛ ولهذا يقال له في الجواب: «عَلَى هَذَا عِشْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ»(١).

جواب المؤمن

---

(١) رواه الطَّبريُّ في تفسيره (١٦/٥٩٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قَالَ: ذَاكَ إِذَا قِيلَ لَهُ فِي القَبْرِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِيَ الإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُقَالُ لَهُ: صَدَقْتَ، عَلَى هَذَا عِشْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ».

وَأَمَّا الْمُرْتَابُ: فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ.

جواب المُرْتاب

(وَأَمَّا الْمُرْتَابُ) الذي هو على رَيبٍ وشكٍّ[١] في الدُّنيا؛ فهو بعكس ذلك عند هذه الفتنة العظيمة، يكون له الرَّيْب والشَّكُّ.

(فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ) دِينُه دِينُ المدينة، وهو ما كان عليه أهل مدينته، يعني: فلولا أنَّه وجدهم عليه ما دان، ليس معه إيمانٌ واصِلٌ إلى قلبه ومُصدِّقَتُه جَوارحُه.

عقوبة المُرْتاب بعد سؤال المَلَكَيْن

(فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَّةٍ): بمِطْرقةٍ عظيمةٍ **(مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ)** المضروب **(صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ)** من خلق اللَّه **(إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ)** يعني: لسَقَط مَغشيّاً عليه أو مَيِّتاً من فظيع تلك الصَّيْحَة، لكن مِنْ رحمةِ اللَّه ولُطْفِه وحِكمَته في عِمارة هذه الدَّار أنَّ الإنسانَ لا يسمع ما لأهل القبور، فلو سَمِع لَمَا استقامت له حياة، ولا قَرَّ له قرارٌ على وجه الأرض، وفي

لو سَمِعَ الإنسان ما لأهل القبور لَمَا استقامت له حياة

---

(١) قال الوالد ﷺ: «في أحد التَّقريرات: (وأمَّا المُرْتَاب الذي على الزَّيغ والمَيْل، فله الزَّيْغ والمَيل عند هذه الفتنة)، أَثْبَتُّ هذا لئلَّا يكون بينهما فَرْقٌ في المعنى، وقد يكون الشَّاكُّ نوعاً، والزَّائغ نوعاً آخر».

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ الكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ.

الحديث: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»(١).

بعد سؤال المَلَكَيْن إمَّا نعيم وإمَّا عذاب إلى أنْ تَقومَ القيامة

(ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ) وهي سؤال المَلَكَيْن الفتَّانَيْنِ؛ اللَّذَيْن أحدهما «مُنكَر» والآخر «نَكِير»، اللَّذَيْن هما بالمَنْظَر الفَظِيع، وكذلك انْتِهَارُهُما المسؤول.

(إِمَّا نَعِيمٌ) وهذا هو نعيم البَرْزَخ للمُثَبَّت.

(وَإِمَّا عَذَابٌ) - والعياذ باللَّه - لغير المُثَبَّت، فالكافر في جحيم.

وهذا النَّعيم للمُثَبَّت والجحيم للكافر يستمرُّ **(إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ الكُبْرَى)**؛ فإنَّ القيامةَ قيامتان:

- صغرى وهي: الموت، فإنَّ مَنْ مات فقد قامت قيامتُه.
- وكبرى.

إعادة الأرواح إلى الأجساد

(فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ) التي كانت في الدُّنيا؛ عظامها وأعصابها وعروقها.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مَقعَد الميِّت من الجَنَّة أو النَّار عليه، وإثبات عذاب القبر والتَّعوُّذ منه، رقم (٢٨٦٨)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ العَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، . . . .

تقوم القيامة فيقوم النَّاس مِنْ قبورهم لربِّ العالمين

(وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ) وتواتر ذلك عن النَّبيِّ ﷺ، (وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ العَالَمِينَ) وهذه هي القيامة الكبرى، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، (حُفَاةً) لا نِعَال لهم، وأين النِّعال يومئذٍ؟! (عُرَاةً) وأين الثِّياب يومئذٍ؟! (غُرْلاً) غير مَخْتُونِين؛ وهذا كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾.

وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ العَرَقُ.

دُنُوُّ الشَّمس من الخلائق

(وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ) فتكون قُربَ مِيل، ويزاد في حرارتها، وكلُّهم تَصْلَاه الشَّمس غير السَّبعة[1]، ويكون كلُّ إنسانٍ في ظِلِّ صدقته[2]، وما أثبتت النُّصوص أنَّهم يُظَلُّون[3]، وإلَّا فلا ظِلَّ.

إلجامُ العَرَقِ الخلائقَ

(وَيُلْجِمُهُمُ العَرَقُ) يَبلُغ موضع اللِّجام من الفرس وهو الفم، وذلك لهول ذلك اليوم وكَرْبِه.

---

(١) الذين ذُكِروا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» رواه البخاريُّ، رقم (٦٦٠)، ومسلم، رقم (١٠٣١).

(٢) كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ - أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ -» رواه أحمد في المسند، رقم (١٧٣٣٣).

(٣) ومنها: حديث أبي اليَسَر رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ؛ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ...» رواه مسلم، رقم (٣٠٠٦).

وحديث سهل بن حُنَيْفٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ أَعَانَ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَارِماً فِي عُسْرَتِهِ، أَوْ مُكَاتَباً فِي رَقَبَتِهِ؛ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» رواه أحمد في المسند، رقم (١٥٩٨٧).

وحديث عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ أَظَلَّ رَأْسَ غَازٍ أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ...» رواه ابن حِبَّان في صحيحه (١٠/٤٨٦)، رقم (٤٦٢٨).

وَتُنْصَبُ المَوَازِينُ؛ فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ العِبَادِ. . . . . .

نَصْبُ المَوَازِين

(وَتُنْصَبُ المَوَازِينُ) الإيمان بنَصْب المَوَازِين من الإيمان باليوم الآخر؛ فإنَّ الإيمانَ باليوم الآخر يَشْمَل أنواعاً، منها هذا، ونُصوصُ الكتاب والسُّنَّة في ذلك معروفة(١).

وَزْنُ أعمال العباد في المَوَازِين

(فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ العِبَادِ) نفس الحسنات والسَّيِّئات، ولا يُنافي هذا ما جاء في وزن الصَّحائف والأبدان(٢)، فإنَّ خِفَّتها

(١) منها: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ» رواه البخاريُّ، رقم (٧٥٦٣)، ومسلم، رقم (٢٦٩٤).

(٢) أمَّا وزن الصحائف: فعن عبد اللَّه بن عمرو ﷺ يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلّاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ اليَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» رواه أحمد في المسند، رقم (٦٩٩٤).

وأمَّا وزن العباد: فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ رواه البخاريُّ، رقم (٤٧٢٩)، ومسلم، رقم (٢٧٨٥).

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

وثِقَلَها إنَّما هي بالأعمال كما قاله ابن كثيرٍ[١].

(﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾) ولو بحبَّةٍ واحدةٍ، بأنْ رَجَحَت حسناته بسيِّئاته فإنَّه ناجٍ، (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾) الفائزون.

(﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾) من المُوحِّدين فإنَّه تحت المشيئة، إنْ شاء اللَّه عفا عنه، وإنْ شاء عامله بالعدل.

ومَنْ عَذَّبه (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾) خُلودٌ مُؤبَّدٌ للكافرين، أمَّا المُوحِّد فلا يُخَلَّد في النَّار.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٠)، ولفظه: «قد يُمكن الجمع بين هذه الآثار بأنْ يكون ذلك كلُّه صحيحاً، فتارةً تُوزَن الأعمال، وتارةً تُوزَن محالُّها، وتارةً يُوزَن فاعلها، واللَّه أعلم».

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ - وَهِيَ: صَحَائِفُ الأَعْمَالِ -؛ فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، . . .

نَشْرُ صحائف الأعمال

(وَتُنْشَرُ) يعني: تُفتَحُ[1] (الدَّوَاوِينُ) جَمْع ديوان، وهي: الوَرَقَة التي قُيِّدَتْ فيها أعمال العبد[2] - حسناتُه وسيِّئاتُه التي كَتَبَتْها الحفَظَة -، كما في الآية: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

(وَهِيَ) هنا: (صَحَائِفُ الأَعْمَالِ) صحائف أعمال العباد وأقوالِهم الصَّادرة منهم، المُترتِّب عليها الثَّواب والعقاب؛ للنَّظر والاطِّلاع على ما فيها، لعاملها مسطورة؛ فيَقرؤُها مَنْ كان يقرأ في الدُّنيا، ومَنْ لم يكن يَقرأُ.

أقسام النَّاس في أخذ الصَّحائف

ويَنقسِمُ النَّاس حِينئذٍ إلى قسمين:

(فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وهم: أهل السَّعادة والنَّجاة، كما في الآيات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾، وكما قال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾.

(وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ) وهم: أهل الشَّقَاوَة - والعياذ باللَّه -، كما في الآيات: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ

---

(١) أي: تُفتَح.
(٢) النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٥٠)، المصباح المنير (١/ ٢٠٤).

كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾.

ما قُدِّر للعبد لَازمٌ في عُنُقِه

(كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾) يعني: ما طار له، وما قُدِّر له، وكُتِب له في الأَزَل.

(﴿فِى عُنُقِهِۦ ۖ﴾) مُلازمٌ له مُلازَمَةً لا انفكاك له منه بحال، فهو لَازمٌ في عُنُقِه.

الحُجَّة قائمةٌ على العباد

(﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾) يعني: مَفْلُولاً بمقتضى ذلك، ولا حُجَّة له في ذلك على القَدَر، فإنَّ الحُجَّة قائمةٌ على العباد (﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾).

والإيمانُ بنشر الصَّحائف، وأخذ الصَّحائف بالأَيْمان أو الشَّمائل مِنْ جُمْلَة الإيمان باليوم الآخر.

وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ؛ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

حِسابُ اللَّه الخلائق وهو مِنْ أعظم أُمورِ الآخرة

(وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الخَلَائِقَ) الإيمان بالمُحاسَبَة على الأعمال - حسناتِها وسيِّئاتِها وعددِها - مِنْ جُمْلَة الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان، والحساب مِنْ أشهرِ وأهمِّ وأعظمِ أُمورِ الآخرة.

(وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ؛ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ) وخطاياه، حتَّى يُقِرَّ بها ويعرفها، يقول له: فَعلتَ كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا، فيَستُر ويَغفِرُ لمَنْ يشاء بفضله، ويُعذِّب مَنْ يشاء بعدله.

(كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة[1]، وعلى تفاصيلَ في الخلوة[2].

---

(١) أي: عموم أدلَّة الحساب، وممَّا ورد في كتاب اللَّه: قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].
وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].
وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].
ومن السُّنَّة: حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فَقَالَ: لَيْسَ ذَاكِ الحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ العَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ» رواه البخاريُّ، رقم (٦٥٣٧)، ومسلم، رقم (٢٨٧٦).

(٢) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ =

وَأَمَّا الكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

كيفيَّة محاسبة المسلمين

ومحاسبة المسلمين: وَزْنُ حَسناتِهِم وسيِّئاتِهِم، وتَوقِيفُهُم على سيِّئاتِهِم، والمسلمون بِعُرْضَةِ المجازاة عليها؛ عدلٌ بالنِّسبة إلى السَّيِّئات، والعفو عنه تجاوز.

كيفيَّة محاسبة الكفَّار

(وَأَمَّا الكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا) أنَّهم فعلوها، **(وَيُجْزَوْنَ بِهَا)** فلا يُعذَّبُ أحدٌ إلَّا مُقِرّاً مُعْتَرِفاً بذنبه، حتَّى تنطق أَبْعَاضُهُم بذلك؛ من كمال عدله.

فصارت محاسبتهم تَتضمَّن: تقريرهم، ومجازاتهم.

أقوال العلماء في محاسبة الكفَّار

وهذه المسألة - المُحاسَبَة للكفَّار -:

مِنْ أَهلِ العلم مَنْ قال: لا يُحاسَبون؛ لأنَّهم ليس لهم حسنات يُحاسَبُون عليها.

= عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾» رواه البخاريُّ، رقم (٢٤٤١)، ومسلم، رقم (٢٧٦٨).

. . . .

ومنهم مَنْ قال: يُحاسَبُون كما يُحاسَب المسلمون.

والإطلاق في الطَّرفَيْن غلَطٌ، لا يَصِحُّ إطلاق أنَّهم يُحاسَبُون، ولا يَصِحُّ إطلاق أنَّهم لا يُحاسَبُون.

فالذي يُثْبِت أنَّهم يُحاسَبُون ويُطْلِق؛ يتناول أنَّهم يُحاسَبُون مثل المسلمين الذين تُوزَن حسناتُهُم وسيِّئاتُهُم واحدةً واحدةً.

وكذلك إذا قيل: إنَّهم لا يُحاسَبُون، فإنَّ هذا الإطلاق يشمل أنَّهم لا تُعَدُّ أعمالهم ولا تُحصَى ولا يُوقَفون عليها، ولا يُقَرَّرُون بها، ولا يُجْزَوْن بها، وإنْ لم يقصده القائل.

فالصَّحيح: قول المُصنِّف المُتقدِّم[1].

المُسلِم إذا زادت حسناته دخل الجَنَّة وإذا نقصت فهو تحت المشيئة

وأمَّا المسلمون فيُحاسَبُون؛ لأنَّ لهم حسناتٍ صحيحةً ثابتة:

فمَنْ زادت حسناته: دخل الجَنَّة.

ومَنْ نقصت: إمَّا أنْ يعفوَ الرَّبُّ ويتجاوزَ عنه، أو يُعذِّبَه على قَدْرِ سيِّئاته.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٣٠٥)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٣٨).

وَفِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ: الحَوْضُ المَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، ....

معنى «عَرَصَاتِ القِيَامَةِ»

(وَفِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ) العَرَصات: جَمْع عَرْصة، ومنه: عَرْصَة الدَّار، وهو: المُتَّسع الذي حواليها الذي يراد للاجتماع فيه[1]، ومنه قول الشَّاعر[2]:

فَلَمَّا حَوَتْهَا عَرْصَةُ الدَّارِ سَلَّمَتْ ....

وعَرَصات القيامة: مُتَّسَع القيامة، وهي: المَوضِع الذي فيه مُجتَمع الخَلْقِ، وهي الأرض كلُّها، يعني: التي بَدَلُ هذه الأرض، تُمَدُّ مَدَّ الأديم العُكَاظِيِّ[3].

الإيمان بالحوض المورود

(الحَوْضُ المَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ) والحَوْضُ: الكوثر لِنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ، وجاء في الحديث: صفته، وآنيته، والشُّرب منه، وأَهل الشُّرب.

صفة الحوض

(مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ).

(وَ) طَعمُه (أَحْلَى) طعماً (مِنَ العَسَلِ).

و(آنِيَتُهُ) التي عليه (عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ).

---

(١) الصِّحاح (٣/ ١٠٤٤).

(٢) هو: أحمد بن مشرف؛ ديوان ابن مشرف (ص٦١)، وتمام البيت:

.... سَـلَامَ حَـبِـيـبٍ زَائِـرٍ ذِي تَـوَدُّدِ

(٣) سبق ذِكْرُ الحديث الدَّالِّ على ذلك (ص٢٣٤).

طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً.

مسافةُ: (طُولِهِ شَهْرٌ، وَعَرْضِهِ شَهْرٌ).

(مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً) يعني: يَستَمِرُّ به رِيُّه أبداً، لا يَظْمأُ حتَّى يَدخلَ الجَنَّة، فإذا دخلَ الجَنَّةَ فَرِيٌّ على رِيٍّ.

وأحاديثُ الحوض معلومة كثيرة شهيرة ثابتة عن النَّبيِّ ﷺ[1].

فالإيمان بالحَوْضِ وصفاته المذكورة: من الإيمان باليوم الآخر كما سبق لكم[2]، فإنَّ الإيمان باليوم الآخر يَشمَل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت.

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى (١٦/١٨): «ومنه ما تواتر معناه؛ كأحاديث الشَّفاعة، وأحاديث الرُّؤية، وأحاديث الحَوْضِ».

والأحاديث الواردة في الحَوْضِ كثيرة متواترة، رواها البخاريُّ، رقم (٦٥٧٥-٦٥٩٣)، ومسلم، رقم (٢٢٨٩-٢٣٠٥)، منها: حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا آنِيَةُ الحَوْضِ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ المُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ».

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ؛ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الوُضُوءِ».

(٢) (ص٣٦١).

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ: الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، . . . .

الإيمان بالصِّراط المنصوب على متن جهنَّم

(وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ) الإيمان بالصِّراط، والإيمان بنَصْبِهِ على مَتْن جهنَّم مِنْ جُمْلَةِ الإيمان باليوم الآخر.

تعريف الصِّراط وصفته

(وَالصِّرَاطُ) هو: الطَّريق[1]، **(وَهُوَ: الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ)** وهذا هو الطَّريق إلى الجَنَّة، وسُمِّي الطَّريق: «صراطاً»؛ لأنَّه يُعبَر منه إلى الجَنَّة، يَمُرُّ على وسط النَّار حتَّى ينتهي إلى الجَنَّة، ولا يُمَرُّ إلى الجَنَّة إلَّا منه.

وجاء في الأحاديث أنَّه: «أَدَقُّ مِنَ الشَّعَرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ الأَبْتَرِ[2]، وأَحَرُّ مِنَ الجَمْرِ، وَأَنَّهُ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ[3]»[4].

علاقة الصِّراط المعنويِّ بالصِّراط الحِسِّيِّ

والصِّراط صراطان: حسِّيٌّ وهو هذا، ومعنويٌّ وهو في الدُّنيا، والثَّبات على الحسِّيِّ حسب الثَّبات على المعنويِّ في الدُّنيا، فلا ثبوت عليه بالقوَّة الحسِّيَّة أبداً، وإنَّما الثُّبوت عليه بالقوى الإيمانيَّة، نظير الصِّراط المَعنويِّ؛ وهو ما جاء به النَّبيُّ ﷺ.

---

(١) الصِّحاح (٣/ ١١٣٩).

(٢) البتر: القطع، والسَّيف الباتر: القَطَّاع. مقاييس اللُّغة (١/ ١٩٤)

(٣) الدَّحْضُ والمَزِلَّة بمعنى واحد، وهو: المَوْضِع الذي تَزِلُّ فيه الأقدام ولا تَسْتَقِرُّ. شرح النَّووي على مسلم (٣/ ٢٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرُّؤية، رقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، وليس فيه: «الأَبْتَرِ، وَأَحَرُّ مِنَ الجَمْرِ».

يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالبَرْقِ الخَاطِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْواً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْياً، . . . .

مرور النَّاس على الصِّراط على قَدْرِ أعمالهم

(يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ) المرورُ عليه على حسب الأعمال ثباتاً وسقوطاً، وسرعةً وإبطاءً واستقامةً، سواء بسواء؛ ولهذا قال: (عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ)، لا على قدر أجسامِهِم، كما أنَّ الصِّراطَ في الدُّنيا أحظى النَّاس به أقواهُم إيماناً لا أجساماً.

أقسام النَّاس في سرعة المرور على الصِّراط

والنَّاس في سرعة المرور عليه على أقسام:

(فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ) عليه (كَلَمْحِ البَصَرِ).

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالبَرْقِ الخَاطِفِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْواً.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْياً).

وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفاً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ، فَإِنَّ الجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، . . . .

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفاً) وهي شِبْه التَّردُّدِ والتَّثاقل والسَّير بالهُوَيْنا.

(وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ) حتَّى إنَّ منهم مَنْ إذا عبر خُطِف **(وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ)**.

وهو مثل السَّير على الصِّراط المعنويِّ، فأهلُ السَّيْر هم الذين استقاموا على الطَّريق المعنويِّ ولم يتثاقلوا عنه.

على الصِّراط كلاليب تَخطَف النَّاس بأعمالهم

(فَإِنَّ الجِسْرَ) الصِّراطَ **(عَلَيْهِ كَلَالِيبُ)** قد حُفَّ به كَلَالِيب **(تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ)** تأخذ مَنْ أُمِرت بأَخْذِه، وجاء في الأحاديث: صفتُها وعِظَمُها[1]، وهي بإزاء[2] كَلَالِيب الشَّهوات والشُّبُهات في الدُّنيا؛ فكما أنَّ الكَلَالِيب في هذا الصِّراطِ المَعنويِّ في الدُّنيا من الشُّبهات والشَّهوات تخطفهم، فتلك

مَنْ خَطَفَتْه الشُّبهات والشَّهوات في الدُّنيا خَطَفَتْه كَلَالِيب الصِّراط في الآخرة

---

(١) منها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ في حديث طويل، وفيه: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو...» رواه البخاريُّ، رقم (٦٥٧٣)، ومسلم، رقم (٢٩٩).

(٢) أي: بمقابلة. لسان العرب (١٤/ ٣٢).

فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ.

الكَلَالِيب تَخطَفُ النَّاسَ على قَدْرِ ما تخطفهم الشُّبُهات والشَّهوات في تلك الأعمال وبسبب الأعمال، فكما خطفتهم في الدُّنيا خطفتهم في الآخرة، فمَنْ خُطِف سَقَطَ في جهنَّم.

مَنْ مرَّ على الصِّراط لا يُرَدُّ إلى النَّار أبداً

(**فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**) بكلِّ حالٍ، ولا يُرَدُّ إلى النَّار أبداً.

المرور على الصِّراط إنَّما هو لأهل الإسلام

الظَّاهرُ: أنَّ المرور إنَّما هو لأهل الإسلام، وأنَّ الذي يُخطَف هو صاحب المعاصي والشُّبهات والشَّهوات؛ لأنَّ الكفَّار لم يدخلوا في هذا الصِّراطِ المَعنويِّ في الدُّنيا.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ: وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا: أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ ﷺ، . . . . . .

الوقوف على القَنْطَرة ليقتصَّ بعضهم من بعض

(فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ: وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ) الظَّاهر: أنَّها جِسرٌ يقفون عليه (بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ).

والسِّرُّ في الوقوف على هذه القَنْطَرة: (فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ) فإنَّه لا بدَّ من أخذ الحقوق، فلا أَحَد يدخل الجَنَّة أو النَّار حتَّى تُؤخَذ الحقوق التي له، أو التي عليه ويُؤدِّيها، فلا يدخلونها من تلك القَنْطَرة حتَّى يُهَذَّبوا ويُنَقَّوْا.

إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنَّة

(فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا) مِنْ دَرَن الذُّنوب وأَرْجَاس المعاصي، وصَلحوا لمُجاوَرَة الرَّبِّ الكريم في دار الخُلْد؛ (أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ)؛ لأنَّ الجَنَّة دارٌ طيِّبةٌ في جوار الطَّيِّب سبحانه، ولا يَدخلُها إلَّا طيِّب، كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، فالفاء للسَّببيَّة، فلا يَدخلُها أحدٌ عنده دَرَنٌ - ذَنبٌ أو مَظْلَمةٌ -.

أوَّل مَنْ يَطلب فَتْح باب الجَنَّة نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ

(وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ) يعني: يَطلُب فتحها ودُخولَها نبيُّنا (مُحَمَّدٌ ﷺ)، فلا أحد يَطلُب ويسألُ فَتحَها ليدخل فيها قبل نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ: أُمَّتُهُ.

أوَّل مَنْ يدخل الجَنَّة من الأمم أمَّته والسَّبب في ذلك

(وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ: أُمَّتُهُ) فإنَّها أوَّل الأُمَم دخولاً وإنْ كانت آخرها وجوداً، كما في قوله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]، تفضُّلاً عليهم بأنْ كانوا هم أوَّل الأُمَم دخولاً الجَنَّة؛ وذلك لأنَّ اللَّهَ شَرَع لهذه الأُمَّة أعمالاً لم تُشرَع لمَنْ قبلهم، وليس أنَّهم أكثر الأُمَم أعمالاً.

ففي هذا: فضيلة هذه الأُمَّة؛ كونُها آخر الأُمَم وجوداً، وأوَّلَها دخولاً الجَنَّة.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، رقم (٨٧٦)، ومسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأُمَّة ليوم الجمعة، رقم (٨٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلَهُ ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ تَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ - آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، ....

للنَّبيِّ ﷺ في القيامة ثَلاثُ شفاعاتٍ عامَّة

(وَلَهُ ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ)، اشتقاق الشَّفاعة من الشَّفع خلاف الوتر، والشَّفع: الاثنان[(١)]، سُمِّي: «شفعاً»؛ لأنَّ طالبَ الحاجة يكون اثنين بعد أنْ كان واحداً.

والإيمان بالشَّفاعات مِنْ جُمْلَة الإيمان باليوم الآخر.

وللنَّبيِّ ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات بالنِّسبة إلى الشَّفاعات العُموميَّة، وإلَّا هناك شفاعات غير ما ذكره المُصنِّف، كشفاعته في عَمِّه لتَخفيفِ العذاب لا إخراجه[(٢)].

فثنتان مُختصَّتان به، وواحدة مُشترَكة.

الشَّفاعة الأُولى: في أهل الموقف ليُحاسَبُوا

(أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ) إلى اللَّه **(فِي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ)**، فيَسترِيحُوا مِنْ كرب الموقف الذي تقدَّم مِنْ صفته قُرْبُ الشَّمس والعَرَق... إلخ[(٣)].

(بَعْدَ أَنْ تَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ - آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى،

---

(١) لسان العرب (٨/ ١٨٣).

(٢) رواه البخاريُّ، باب قصَّة أبي طالب، رقم (٣٨٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النَّبيِّ ﷺ لأبي طالب والتَّخفيف عنه بسببه، رقم (٢٠٩)، من حديث العبَّاس بن عبد المُطَّلب رضي الله عنه.

(٣) (ص٣٦٨).

وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -) كلٌّ من هؤلاء يَعتَذِر **(عَنِ الشَّفَاعَةِ)**، فإنَّ أهل الموقف إذا اشتدَّ بهم الكَرْب قالوا: مَنْ يَشفَع لنا؟ «فَيَأْتُونَ إِلَى آدَمَ...»[1] إلخ، **(حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ)** فيقول ﷺ: «أَنَا لَهَا»، قال ﷺ: «فَيُفْتَحُ عَلَيَّ مِنَ المَحَامِدِ مَا لَا أُحْسِنُهُ الآنَ، قَالَ: فَيُقَالُ: سَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...» إلخ، فيتقدَّم فيشفع بإذن الرَّبِّ جلَّ وعلا في أهل الموقف ليُحاسَبوا؛ فإنَّ الرَّبَّ تعالى لا يأتي الخلق في الفصل إلَّا بعد شفاعته ﷺ.

قولان في المَقَام المَحمُود

وهذه الشَّفاعة العُظْمَى، وهي التي في الحديث: «وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»[2]، وهي المَقَام المَحمُود الذي أُوتِيَه ﷺ، يعني: الذي يَحمَده الأوَّلون والآخِرون، يعني: الذي يُغبَط به، الذي فيه فضلٌ

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب كلام الرَّبِّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم (٧٥١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجَنَّة منزلة فيها، رقم (١٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عليه السلام، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عليه السلام، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...».

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب التَّيمُّم، رقم (٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، رقم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ.

ومرتبةٌ عُليا، فإنَّ هذا المَقَام ليس لأحدٍ سواه؛ بل هو مُختصٌّ به ﷺ.

وقيل: إنَّه إجلاسه معه على العَرْش.

لا منافاة بين القولين

والظَّاهرُ: أنَّه لا منافاة بين القولين، فقد جاء في الحديث أنَّه يَقعُد مع اللَّه تعالى على العَرْش كما ثَبَتت به السُّنَّة[1]، فيكون هذا أيضاً من المَقَام المَحمُود.

الشَّفاعة الثَّانية: يَشفعُ في أهل الجَنَّة أنْ يَدخلُوها

(وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ) فإنَّ أهل الجَنَّة - مِنْ سائر الأمم الذين استوجبوها بسبب الأعمال الصَّالحة - لا يدخلون الجَنَّة إلَّا بعد شفاعته ﷺ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المُصنَّف، كتاب الفضائل، باب ما أعطى اللَّه تعالى مُحمَّداً ﷺ، رقم (٣٣٨١٢)، عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٨/ ١٣٤): «ما قاله مجاهد مِنْ أنَّ اللَّه يُقعِد مُحمَّداً على عَرْشِه، قولٌ غير مَدفوعٍ صحَّتُه، لا مِنْ جهة خَبَر ولا نَظَر».

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤): «حَدَّث العُلَمَاء المَرضيُّون، وأولياؤُه المُقرَّبون: أنَّ مُحمَّداً رَسُولَ اللَّه يُجلِسُه ربُّه على العرش معه، رَوى ذلك مُحمَّد بن فضيل عن لَيْثٍ عن مجاهد في تفسير: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، وذُكِر ذلك مِنْ وجوه أخرى مرفُوعَة، وغير مرفُوعَة، قال ابن جرير: وهذا ليس مُنَاقضاً لِمَا اسْتَفَاضَتْ به الأحاديث مِنْ أنَّ المَقَام المَحمُود هو الشَّفاعة، باتِّفاق الأئمَّة مِنْ جَمِيع مَنْ ينتحل الإسلام ويدَّعِيه لا يقول: إنَّ إجْلَاسَه على العَرْش مُنْكَر، وإنَّما أَنْكَره بعض الجَهْمِيَّة، ولا ذِكرَه في تفسير الآية مُنْكَرٌ».

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ ﷺ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ - وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ -. . . . . .

هاتان الشَّفاعتان خاصَّتان به

(وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ) الأُولى: الشَّفاعة في مُحاسَبَة الخلائق، وهذه الثَّانية في الذين استحقُّوا دخول الجَنَّة بفضل اللَّه ورحمته، وتوفيقه لهم للأعمال الصَّالحة في حياتهم، وموتهم على الإيمان، **(خَاصَّتَانِ لَهُ ﷺ)**.

الشَّفاعة الثَّالثة: فيمَن استحقَّ النَّار مِنْ عُصاة المُوَحِّدين أنْ لا يَدخُلَها

(وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ)، مِنْ عُصَاة المُوحِّدين خاصَّة.

هذه الشَّفاعة ليست خاصَّة بالنَّبيِّ ﷺ

(وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ) هو فيها سَيِّد الشُّفعَاء وأكملُهُم فيها، وليست مُختصَّة به؛ بل هي **(لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ)**، فيشفع الأنبياء والرُّسُل والأولياء والملائكة والأَفْراط[1]، وغيرهم ممَّن أَذِنَ اللَّه لهم أنْ يشفعوا كما جاء في النُّصوص[2].

---

(١) الأفراط: مَنْ مات مِنَ الولد وهو صغير. المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ١٥٥).

(٢) كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وفيه: «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلَائِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ...» رواه البخاريُّ، رقم (٧٤٣٩)، ومسلم، رقم (١٨٣).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، فَيَلِجَ النَّارَ، إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ» رواه البخاريُّ، رقم (١٢٥١)، ومسلم، رقم (٢٦٣٢).

وحديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ» رواه أبو داود، رقم (٢٥٢٢).

فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

هذه الشَّفاعة يُنكِرها المعتزلة

وهذه هي التي يُنكِرها المُعْتَزِلَة، وأمَّا أهل السُّنَّة فإنَّ قولَهم فيها هو ما دَلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، وهو أنَّ أحكامَ عصاة المُوَحِّدين في الدُّنيا حُكْم المسلمين؛ إنْ قام عليهم حَدٌّ أُقِيم عليهم، وفي الآخرة مُعرَّضون للوعيد، ومَخُوفٌ عليهم، ومع ذلك يؤمنون بالأخبار المتواترة عن النَّبيِّ ﷺ في الآخرة من الشَّفاعة للعُصَاة.

(فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ) ممَّن استوجب واستحقَّ النَّار من المُوحِّدين **(أَنْ لَا يَدْخُلَهَا)**.

الشَّفاعة فيمَنْ دخل النَّار مِنْ عُصاة المُوَحِّدين أنْ يَخْرُجَ منها

(وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا) من العُصَاة **(أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا)** قبل أنْ يُطَهَّروا مِنْ أَوْضَار[(١)] الذُّنوب، إذا كانوا ماتوا على التَّوحيد، كما بُيِّنَ في الأحاديث: أنَّ مَنْ مات على التَّوحيد غير مشركٍ فالشَّفاعة تتناوله، قال ﷺ: «وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[(٢)].

---

(١) أي: أَوْسَاخ. لسان العرب (٥/ ٢٨٤).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الدَّعوات، باب لكلِّ نبيٍّ دعوة مستجابة، رقم (٦٣٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النَّبيِّ ﷺ دعوة الشَّفاعة لأمَّته، رقم (١٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَاماً بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَاماً، فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ.

يُخرِج اللَّه من النَّار أقواماً من غير شفاعة

(وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَاماً) ممَّن استحق النَّار من الموحِّدين لم يَعملُوا خيراً قطُّ **(بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ)** بمَحضِ فضلٍ من اللَّه ورحمته، كما جاءت بذلك النُّصوص الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ»(١)، وذلك لسَبْقِ الرَّحْمَة للغضب؛ كما في الحديث: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(٢).

يُنشِئ اللَّه أقواماً فيملأُ بهم الجَنَّة

(وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَاماً) لأنَّها وُعِدَت مِلأَها، **(فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ)** بفضله ورحمته، كما أنَّ الأوَّلين يَدخلون الجَنَّة بفضله ورحمته، فتمتلئ؛ كما في الحديث(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرُّؤية، رقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، رقم (٧٤٢٢)، ومسلم، كتاب التَّوبة، باب في سَعَة رحمة اللَّه تعالى وأنَّها سَبَقَتْ غضبه، رقم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، رقم (٧٣٨٤)، ومسلم، كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب النَّار يدخلها الجبَّارون، رقم (٢٨٤٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه: «وَلَا تَزَالُ الجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقاً، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ».

. . . .

يَضَعُ رَبُّ العِزَّة رجلَه في النَّار فيصير أهلُها مِلأَها بضيق

وأمَّا النَّار فلا تمتلئ؛ بل لا تزال تَطلُب الزِّيادة حتَّى يَكمُل أهلُها فيها، ولا تزال تقول: هل مِنْ مَزيدٍ؟ حتَّى يَضَع ربُّ العِزَّة فيها رجله، فيَنْزَوِي بَعضُها إلى بعض فيصيرون مِلْأَها بضيق، فتقول: قَط قَط، ولا يُنشِئ اللَّه لها كما أنشأ للجَنَّة.

الحكمة مِنْ أنَّ اللَّه يُنشِئ للجنَّة أقواماً يدخلونها وأنَّ النَّار بخلاف ذلك

والفرق بين هذه وهذه[١]: لِمَا سَبَق مِن سَبْقِ الرَّحْمَة للغضب؛ فإنَّ جانبَ الفضل والرَّحْمَة أغلبُ مِنْ جانبِ العدل والغضب، ولأنَّ النَّار لا تُدخَل إلَّا بذنوبٍ، ولأنَّ الجَنَّة وُعِدَت مِلْأَها وليس فيها تَضايقٌ كالنَّار.

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه انقلابٌ

ونعرف أنَّه جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه انقلابٌ[٢] على بعض الرُّواة: «أَنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فِيهَا»[٣]، وهذا انقلابٌ[٤]؛ بل صوابُ الحديثِ وصحيحُه الثَّابت: «أَنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لِلْجَنَّةِ خَلْقاً، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ».

---

(١) بين ملءِ الجَنَّة بإنشاء خَلْقٍ لها، وبين ملءِ النَّار بوَضْعِ ربِّ العِزَّةِ قدمه فيها إذا اكتمل أهلُها فيها.

(٢) الحديثُ المقلوبُ: ما كان فيه مخالفة بتقديم أو تأخيرٍ، وقد يَقَع القلبُ في الإسناد، وقد يَقَع في المتن أيضاً. نُزْهَة النَّظَرِ في توضيح نُخْبَة الفِكَر بتحقيقنا (ص١٦١).

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب التَّوحيد، باب ما جاء في قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، رقم (٧٤٤٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/٤٣٧).

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ؛ مِنَ الحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ العِلْمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ.

وَفِي العِلْمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

تفاصيل ما تضمَّنته الدَّار الآخرة مذكورة في الكتب السَّماويَّة وما أُثِر عن الأنبياء

(وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ)، وما أُعدَّ فيها؛ (مِنَ الحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ) كلُّها معلومةٌ (مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَ) في (الآثَارِ مِنَ العِلْمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ).

في الكتاب والسُّنَّة من أخبار اليوم الآخر أكثر ممَّا في سواهما

(وَفِي العِلْمِ المَوْرُوثِ عَنِ) النَّبيِّ (مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي) ممَّا تضمَّنه الكتاب والسُّنَّة؛ بل في القرآن والسُّنَّة أعظم وأكثر ممَّا سواهما من الكتب السَّابقة وأخبار الماضين.

في كتب التَّفاسير والسُّنن والصِّحاح تفاصيلُ ما تضمَّنته الدَّار الآخرة

(فَمَنِ ابْتَغَاهُ) فمَنْ تَطلَّبه وتَتبَّعه في مظانِّه؛ (وَجَدَهُ) فيها مُبيَّناً مُوضَّحاً - في كتب التَّفاسير والسُّنَن والصِّحاح وغيرها من كتب الحديث -، فإنَّ في ذلك من التَّفاصيل شيئاً كثيراً.

كأنَّ المُصنِّف رأى أنَّه أَقلَّ في المقام[1]، ولكن المقام لا

---

(١) أي: ذَكَرَ شيئاً قليلاً.

. . . .

يتحمَّل، وينبغي أنْ يُتطلَّب، فأحال بقوله: (**وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ**...) إلخ.

وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ - أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ -: بِالقَدَرِ . . . .

أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بالقَدَر

(وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ) من النَّار ومِن بين الفِرَق **(- أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ - بِالقَدَرِ)** يعني: كلَّه، وهذا آخر أصول الإيمان السِّتَّة المُتقدِّم ذِكرُها في أوَّل هذه العقيدة المُختَصَرة، وتقدَّم لك ما يتعلَّق بالخمسة الأُوَل، وهذا الفصل ممَّا يتعلَّق بالسَّادس؛ وهو القَدَر.

منهج المُصنِّف في العقيدة الواسطيَّة فيما وَقَع فيه نزاع بين أهل السُّنَّة والمُبتدِعة

والمُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر الأصول السِّتَّة، وما بعد ذلك شرحٌ، فمنه ما هو ببسطٍ، ومنها دون ذلك، فالذي تُكلِّم فيه ووقع فيه النِّزاع وكَثُر بين أهل السُّنَّة والمبتدعين؛ أطال فيها، والتي لم يُنازَع فيها ذَكَر منها كالإشارة.

ولم يَقُل: «فَصْلٌ؛ ومِنْ أُصولِ أهلِ السُّنَّة: الإيمانُ بقُدْرَة اللَّه، والإيمانُ بكُتبِ اللَّه، والإيمانُ برُسُلِ اللَّه»؛ وذلك لأنَّ المُبتدعة لم يكن لهم كلامٌ فيه ولا نِزاعٌ.

أطال المُصنِّف في القَدَر لكثرة النِّزاع فيه

إنَّما ذَكَر الذي فيه النِّزاع كـ«القَدَر» - مسألة الإيمان به -، فإنَّ القَدَريَّةَ النُّفاةَ والمُجْبِرَةَ انحرفوا عن الصِّراط المستقيم، فاحتيج لبعض التَّطويل في ذلك.

والقَدَر: من التَّقدير، وهو: التَّهيئة(١)، قدَّر مقادير الخلائق بما يُلائِم الخَلْقَ من أمور دينهم ودنياهم.

---

(١) لسان العرب (٥/٧٦).

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

(**خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**) كما في بعض ألفاظِ الحديث[١].

جَمِيع ما كان مِنْ خيرٍ وشرٍّ فهو بقضاء اللَّه وقَدَره

جميع ما كان في الأديان والأبدان، والخير والشَّرِّ، والصِّحَّة والمرض، ونحو ذلك، فهو بقضاء اللَّه وقَدَره؛ فما من خيرٍ في الأديان والأبدان فهو بقضاء اللَّه وقَدَره، وما من شرٍّ في الأديان والأبدان فهو بقضاء اللَّه وقَدَره.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٣).

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ: عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي، وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ.

الإيمانُ بالقَدَر على درجتين وكلٌّ درجةٍ تتضمَّن شيئين

(وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ: عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ) منهما (تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ) فمَنْ آمَنَ بها كلِّها حقيقة فقد آمَنَ بالقَدَر، ومَنْ كفر بها أو ببعضها فقد كفر بالقَدَر.

الشَّيء الأوَّل من الدَّرجة الأُولى: عِلم اللَّه السَّابق للأشياء عِلماً تفصيليّاً

(فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: عَلِمَ مَا الخَلْقُ عَامِلُونَ) مِنْ خيرٍ وشرٍّ، وجارُون عليه من خيرٍ أو شرٍّ، عَلِمَه (بِعِلْمِهِ القَدِيمِ[١] الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي، وَالأَرْزَاقِ) سَعَتِها وضِيقِها، (وَالآجَالِ) طول الأعمار وقصرها، والأجسام صحَّتها وسَقَمها، وكذا وكذا إلى ما لا يُحْصَى، والآثار وجميعَ تفاصيل ما هو كَائنٌ منهم، عَلِمه بعلْمِه القديم، فعَلِم تَفاصِيل ما هو صادرٌ منهم، وما هو جارٍ منهم، وما هم صائرون إليه.

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا بعِلْمِه الحَادِث بعد وجود عمل الخَلْق».

. . . .

وهذا هو الشَّيء الأوَّل من هذه الدَّرجة الأُولى: الإيمانُ بعِلْم اللَّه الأشياء علماً تفصيليّاً، عَلِمَها في الأَزَل.

ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلْقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، . . . .

الشَّيء الثَّاني من الدَّرجة الأُولى: كتابة اللَّه في اللَّوح المحفوظ مقادير الخَلْقِ

(ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلْقِ) والشَّيء الثَّاني من الدَّرجة الأُولى: الإيمانُ بالكِتَابَة - أنَّه كَتَبَ ما هو عالِم، ورَسَمَ أنَّ الخَلْق عاملوه -، ويأتي الشَّيئان[1]، فتجتمع حقيقة الإيمانِ بالقَدَر في هذه الأربعة[2]؛ فصار الإيمان بالقَدَر في الحقيقة يَنْتَظِم الإيمانَ بأربعة أشياء.

العَرْشُ مَخلوقٌ قبل القَلَم

(فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ) بالنِّسبة إلى هذا الكون المُشاهَد، وإلَّا فالعرش موجودٌ مخلوقٌ قبله كما في الأحاديث[3].

(قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ) ما علم أنَّه كَائنٌ من العباد (إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ)، هذا مِنْ جُمْلَة الأحاديث المُثبِتة للقَدَر.

نتيجة الإيمانِ بالقَدَر

(فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ) ممَّا عَلِمَ اللَّه وكَتَبَه (لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ)

---

(١) (ص٤٠٣-٤٠٤)، وهما: المشيئة والخَلْق.

(٢) وهي: عِلم اللَّه للأشياء، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه.

(٣) منها: ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ» رواه البخاريُّ، رقم (٧٤١٨).

وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

ولو اجتمع أهل السَّموات والأرض، (وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ)، هذا نتيجة وحقيقة الإيمانِ بالقَدَر.

ما كُتِب في اللَّوح المحفوظ لا يتغيَّر

(جَفَّتِ الأَقْلَامُ) التي كُتِبت بها المقادير، (وَطُوِيَتْ الصُّحُفُ) على ما كُتِب فيها، فلا تغيير ولا تبديل.

الدَّليل على الدَّرجة الأُولى بشيئيها

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾) هذا هو الكتاب الأوَّل، يعني: أنَّ ما عَلِمَه كائناً من العباد؛ كَتَبَه في الكتاب الذي فيه المقادير، فأوَّل الآية فيه إثبات العِلْم السَّابق، وآخرها فيه إثبات الكِتَابَة السَّابقة، (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾).

(وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾) قبل أنْ نَبْرَأَ الأرض، وقيل: الأنفس[١]، وقيل: المصيبة[٢]، والصَّحيح: أنَّه يعودُ إليها كلِّها، (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾).

---

(١) تفسير الطَّبريِّ (٢٢/٤١٨).
(٢) تفسير الطَّبريِّ (٢٢/٤١٩).

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ، يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ - جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً -: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ - قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ -: بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكاً؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ . . . .

فهذان شيئان[١] تَتضمَّنهما هذه الدَّرجة.

كتابة القَدَر نوعان: جملةً وتفصيلاً

(وَهَذَا التَّقْدِيرُ) أي: قَدَر الكِتَابَة - التي هي الثَّانية من أنواع القَدَر - **(التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ)** - فإنَّ الكِتَابَة تابعةٌ لعِلْمِه سبحانه - **(يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ)** يعني: أنَّه أقسامٌ وأنواعٌ:

منها: ما كتابته **(جُمْلَةً)**.

(وَ) منها: ما كتابته **(تَفْصِيلاً)**، ولكن ما بعد الجملة[٢] يكون تابعاً للجملة.

الكتاب الأوَّل: الجملة

(فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ) وهذا الكتاب الأوَّل، ليس فيه تغييرٌ أبداً، أَلَا ترى أنَّه قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟ هذا هو الجملة.

الكتاب الثَّاني: التَّفصيل وهو أنواع

ومِنْ هذه الجملة تفاصيل:

النَّوع الأوَّل: الكِتَابَة العُمُريَّة عند تَخلُّق الجَنِين

- منها: عند تخليق الجَنِين، **(وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ - قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ -: بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكاً؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ**

---

(١) وهما: عِلْم اللَّه، وكتابته.

(٢) وهو ما كتابته تفصيلاً.

لَهُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

(لَهُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ) هذا نوعٌ من أنواع التَّفصيل من الجملة الأُولى، وهو راجعٌ إليها، وفي الحديث: «رَبِّ، مُخَلَّقَةٌ أَوْ غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ؟ فَإِنْ قَالَ: غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ، قَذَفَهَا الرَّحِمُ دَماً وَلَمْ تَكُنْ نَسَمَةً، وَإِنْ قَالَ: مُخَلَّقَةٌ، قَالَ المَلَكُ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ مَا الأَجَلُ؟ مَا العَمَلُ؟ مَا الرِّزْقُ؟ وَبِأَيِّ أَرْضٍ يَمُوتُ؟ فَيُقَالُ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى أُمِّ الكِتَابِ، فَيَجِدُهُ مَكْتُوباً مِثْلَ مَا أُمِرَ بِهِ»[(١)].

النَّوع الثَّاني: الكِتَابَة السَّنويَّة ليلة القَدْر

- ومنه ما يكون في ليلة القَدْر.

النَّوع الثَّالث: الكِتَابَة اليوميَّة

- وكذلك الذي في خَبَر ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «يَنْظُرُ اللَّهُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسِتِّينَ نَظْرَةً»[(٢)].

(وَنَحْوَ ذَلِكَ) فهذا كلُّه تفصيلٌ من القَدَر.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٧٤)، رقم (١٣٧٨١)، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٦)، رقم (٣٧٧١)، ولفظه: «إِنَّ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَوْحاً مَحْفُوظاً مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ، دَفَّتَاهُ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، قَلَمُهُ نُورٌ، وَكِتَابُهُ نُورٌ. يَنْظُرُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسِتِّينَ نَظْرَةً - أَوْ مَرَّةً -، فَفِي كُلِّ نَظْرَةٍ مِنْهَا يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعِزُّ، وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾».

فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيماً، . . . . .

فيجب الإيمانُ بها جُمْلَةً وتفصيلاً.

الدَّرجة الأُولى من القَدَر كان يُنكِرها غُلاة القَدَريَّة قديماً ومنكروها اليوم قليل

(فَهَذَا القَدَرُ) يعني: الكِتَابَة[(١)] (قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيماً) يعني: الذين خَرَجُوا في زمن الصَّحابة، كمَعْبَد الجُهنيِّ[(٢)] وعَمْرو بن عُبَيْدٍ[(٣)] وأتباعِهما، «وَيَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ» يعني: أن لا قَدَر سابق، «وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ»[(٤)] - مُستأنفٌ -، يعني: يُجدِّدُ له قَدَراً[(٥)].

الرَّدُّ على غُلاة القَدَريَّة قديماً

قال الإمام الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «نَاظِرُوهُم بالعِلْم»؛ وذلك لأنَّ كُفرَهم من هذه النَّاحية أشهر، «فإنْ أَقرُّوا به خُصِمُوا، وإنْ جَحَدُوه كفروا»[(٦)]، فإنَّهم إنْ جَحدوا العِلْمَ فقد جَحدوا سابق عِلم اللَّه.

---

(١) وعلم اللَّه السَّابق للأشياء.

(٢) هو: مَعْبَد بن عبد اللَّه بن عُوَيمر الجُهَنِيُّ، أوَّل مَنْ تكلَّم في القَدَر بالبصرة، قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: «إيَّاكم ومَعْبَداً الجُهنيَّ، فإنَّه ضالٌّ مُضِلٌّ»، مات قبل التِّسعين. تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٣١٤)، سير أعلام النُّبلاء (٤/ ١٨٧).

(٣) هو: أبو عثمان عَمْرو بن عُبَيْد بن ثوبان التَّيميُّ مولاهم، البَصريُّ، شيخ القَدَريَّة والمُعْتَزِلَة، قال ابن معين رَحِمَهُ اللهُ: «ليس بشيءٍ»، وقال ابن عَدِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ: «كان يَغُرُّ النَّاس بنُسُكِه وتَقَشُّفِه، وهو مذمومٌ ضعيفُ الحديث جدّاً، مُعلِنٌ بالبِدَع»، توفي سنة (١٤٢هـ). تاريخ ابن معين - رواية الدُّوري - (٤/ ٢١٣)، الكامل في ضعفاء الرِّجال (٦/ ١٩٥)، البداية والنِّهاية (١٣/ ٣٤٣).

(٤) سبق تخريجه (ص١٧٣).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: أنَّه مُستأنَف العلم بالسَّعيد والشَّقيِّ، ويبتدئ ذلك من غير أن يكون قد تقدَّم بذلك عِلْمٌ ولا كتاب» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٣٨١).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٣/ ٣٤٩)، شرح الطَّحاويَّة لابن أبي العزِّ الحنفيِّ =

وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «القَدَر: قُدرة اللَّه»[(١)]، واستحسنه ابن عقيل[(٢)].

ومُرادُ أحمد رحمة اللَّه عليه: يعني مَنْ آمَنَ بالقُدْرَة فإنَّها حُجَّةٌ على القَدَر، ومَنْ أنكر قدرة اللَّه على الأشياء فقد أنكر قَدَر اللَّه، يعني: فمَنْ أنكر القَدَر فقد أنكر قدرة اللَّه.

القَدَريَّة المُتَأخِّرون لا يُنكِرون الدَّرجة الأُولى من القَدَر

(وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ) في زَمَنِ الشَّيخ ومَنْ يليه، فالذين في زَمَنِ المُصنِّف نُفَاة لا يُنِكرُون هذا؛ بل يُنكِرُون غيره من أنواع القَدَر، أو المُجْبِرَة وهم أكثر من النَّافية.

= (ص٢٤٧).

(١) السُّنَّة لأبي بكر الخلَّال (٣/ ٥٤٤)، رقم (٩٠٤).

(٢) شفاء العليل (ص٢٨).

وابنُ عقيل هو: أبو الوفاء عَليُّ بن عقيل بن مُحمَّد البغداديُّ، ولد سنة (٤٣١هـ)، مُقرِئ، فقيه، أصوليٌّ، واعظ، مُتكلِّم، من أفاضل العلماء الأذكياء، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٥١٣هـ). ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣١٦)، المقصد الأرشد (٢/ ٢٤٥).

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ. . . . .

الشَّيء الأوَّل من الدَّرجة الثَّانية: الإرادة والمشيئة

(وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ).

تقدَّم أنَّ الإيمانَ بالقَدَر على درجتين، وتقدَّمت الدَّرجة الأُولى[1]، وأنَّها تَتضمَّن شيئين، وأنَّ أَحدَهُما: (أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ...) إلخ، والثَّاني: (أَنَّهُ كَتَبَ مَا عَلِمَهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ...) إلخ.

وهذه الدَّرجة الثَّانية، وهي تَتضمَّن شيئين:

الأوَّل: الإيمانُ بالإرادة والمشيئة.

والثَّاني: الإيمانُ بخلق اللَّه الكائنات بقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

حقيقةُ الشَّيء الأوَّل من الدَّرجة الثَّانية

(وَ) حقيقةُ ذلك وإيضاحُه (هُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ) ولا يريد شيئاً إلَّا يكون بكلِّ حالٍ، (وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)، وهذه كلمة المسلمين: «ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن»، ومقتضى أنَّ ما شاء اللَّه كان: أنَّ ما لم يشأ لا يكون.

(وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ

---

(١) (ص٣٩٥).

إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ.

فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

(إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ) فما من شيءٍ واقع إلَّا وقد شاءه اللَّه ولا بدَّ، وما لم يشأ فلا يكون أبداً، ولا يكون شيءٌ - طاعةٌ أو معصية - إلَّا اللَّه شاءه.

الشَّيء الثَّاني من الدَّرجة الثَّانية: الخلق

(وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ) التي لم تُفعَل والممكن وجودها، أمَّا المُسْتَحِيلات فليست شيئاً حتَّى تُشمَل بالعلم والقُدْرَة، **(فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ)** وحده **(خَالِقُهُ)** ومُوجِدُه **(سُبْحَانَهُ)**، هذا مِنْ مضمون: «ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن»، **(لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ)**.

فشاء ما في الكون، وأوجده بقدرته ومشيئته، فصار ما في الكون بهذين الشَّيئين.

خلاصة ما ينتظمه الإيمان بالقَدَر

فصار الإيمانُ بالقَدَر يَنتَظِم أربعة أشياء:

الأوَّل: الإيمان بعلم اللَّه السَّابق.

الثَّاني: الإيمان بأنَّ اللَّه كَتَب ما عَلِمه كائناً في الأَزَل.

. . . .

الثَّالث: الإيمان بأنَّ ما شاء اللَّه كان.

الرَّابع: الإيمانُ بأنَّه ما من مخلوقٍ إلَّا اللَّه خالقه ومُوجِده.

فما مِنْ موجود من الموجودات إلَّا وهو مشمولٌ بهذه الأربعة.

وَمَعَ ذَلِكَ: فَقَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

لا منافاة بين الشَّرع والقَدَر

(وَمَعَ ذَلِكَ) أي: ومع ما تقدَّم، يعني: ما تقرَّر لك من الأصل العظيم - وهو الإيمانُ بالقَدَر، وأنَّه أحدُ أركان الإيمانِ السِّتَّة، وما اشتملت عليه الأشياء الأربعة السَّابقة -، (فَـ)تؤمن وتعتقد أنَّه (قَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ) ومعصية رُسُلِه، فوجب الإيمانُ بشرعه[1] وقَدَره جَمِيعاً، بأنْ يُؤمِنَ أنَّ هذا شرعه ويمتثله ويفعله، فإذا امتثل صار مِنْ أهل السَّعادة.

والقَدَر لا حُجَّة فيه على الشَّرع، وهو تامٌّ وماضٍ، ولا رادَّ له، وسبق أنْ لا يكون الخَلْقُ على طريقٍ واحدٍ؛ بل أنْ يكون الخَلْقُ متفاوتين، كما قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، كجنَّةٍ ونارٍ لِتُسْكَنا، وهو اللَّائق بجلاله، وسواه ليس بكمال، وقد رَكَزَ[2] اللَّه في عقول العباد معرفة النَّافع من الضَّارِّ، وأحدهم يعرف الضَّارَّ ويجتنبه، والنَّافعَ فيأتيه.

أقسام النَّاس في الشَّرع والقَدَر

والنَّاس في هذا على ثلاثة أقسام:

- فالقَدَريَّة النُّفَاة من المُعْتَزِلَة وغيرهم أثبتوا الحكمة والشَّرع

(١) أي: بأوامر اللَّه ونواهيه.
(٢) أي: غَرَزَ. لسان العرب (٥/ ٣٥٥).

. . . .

وغَلَوْا فيهما، ونَفَوا القَدَر أو بعضه، وقالوا: إنَّ الأمرَ والنَّهيَ بيد الإنسان، فإنَّها زعمت أنَّها إذا أثبتت القَدَر صارت مُعَطِّلة للشَّرع.

- وقابلها طائفة القَدَريَّة الجَبْريَّة، فغَلَّبت جانب القَدَر وغَلَت فيه، وعَطَّلت جانب الشَّرع، وقالوا: إنَّ العبدَ مجبورٌ لا فِعْلَ له، وإنَّما هو كالأشجار في مَهبِّ الرِّيح.

فضاقت أعطان[١] القَدَريَّة، ولم تتَّسِع للشَّرع والقَدَر جميعاً.

- وهَدَى اللَّهُ أهلَ الحقِّ - أهل السُّنَّة والجماعة - فآمنوا بالشَّرع والقَدَر جميعاً، وقالوا: له[٢] فِعلٌ صحيحٌ، واختيارٌ صحيحٌ، ويُحْمَد على فِعل الخير، ويُذَمُّ ويُعَاقَب على فِعل الشَّرِّ.

سبب الضَّلال في هذا الباب: أَخْذُ بعض النُّصوص وتَرْك البعض

فالمبتدعة نظروا بعينٍ واحدةٍ وأغضوا عيناً - أخذوا جانباً من النُّصوص وتركوا جانباً -، وأهل السُّنَّة والجماعة نَظَرُوا بالعَيْنَيْن جَمِيعاً، فآمنوا بالشَّرع والقَدَر، وقالوا: ما في الكون كلِّه خَلْقٌ للَّه؛ فالأفعال فِعلٌ للمخلوق، خلقٌ للرَّبِّ - فأفعالهم نسبتها إلى اللَّه نسبة خَلْقٍ وإيجاد، ونسبتها إلى العبد نسبة فعل -.

---

(١) أي: مدارك. الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ٣٩٣).
(٢) أي: للعبد.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ المُتَّقِينَ وَالمُحْسِنِينَ وَالمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

وَلَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الفَسَادَ.

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ المُتَّقِينَ وَالمُحْسِنِينَ وَالمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

وَلَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الفَسَادَ).

فرقٌ بين المَحبَّة والإرادة

ففَرْقٌ بين المَحبَّة والإرادة، خلافاً للمبتدعة الذين يقولون: «ما شَاءَه فقد أحبَّه»[1]؛ بل يريد ﷻ أشياء لا يُحِبُّها، وقد أراد كُفْر إبليس وكُفْر الكفَّار، ومع ذلك لا يُحِبُّه؛ لكونه ظلماً وفساداً.

يُحِبُّ القضاء والقَدَر في أهل الشَّقاء، وما يترتَّب عليه مبغوضٌ له؛ فعِلْمُه وقضاؤه كلُّه جَميلٌ، واللَّه يُحِبُّ كلَّ جَمِيلٍ.

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «القَدَرِيَّة النُّفاة يقولُون: لا معنى لمشيئته إلَّا أمره، فما شَاءَه فقد أَمَر به، وما لم يَشَأْه لم يَأْمُر به.
والجَبْريَّة قالوا: إنَّ مَشيئته وإرادته بمعنىً واحدٍ، وقد شاء ما وقع من المعاصي فهو يُحِبُّها ويَرضَاها» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٣٤٠، ٤٥٠).

وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.
وَالعَبْدُ: هُوَ المُؤْمِنُ وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي وَالصَّائِمُ.

العباد لهم أفعال حقيقيَّة واللَّهُ خالقها

(وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً) إذا عُرِف ما تقدَّم من القَدَر والإيمانِ به، وعُرِف أنَّ اللَّه أمر بطاعته وطاعة رُسُلِه، وأنَّه لا تعارض بين القَدَر والشَّرع، وأنَّ أهلَ السُّنَّة آمنوا بهما جميعاً؛ فاعلم أنَّ العبادَ لهم أفعالٌ حقيقيَّة، تقول: صلَّى زيد، زنى زيد، خلافاً للأشاعرة عندهم القول بالكسب(١).

(وَاللَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ) نَعَم، هي منه خَلْقٌ وإيجاد، فَفَرْقٌ بين الخَلْقِ والفِعْلِ.

أفعال العباد لها نسبتان

فأفعالُ العباد لها نسبتان: نسبة فِعْلٍ وعملٍ، ونسبة خَلْقٍ وإيجادٍ؛ فنسبة الخَلْقِ إلى اللَّه، ونسبة الفِعْلِ إليهم.

ما صَدَر من المخلوق يُنسَب له

(وَالعَبْدُ: هُوَ المُؤْمِنُ وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي وَالصَّائِمُ) وإنْ كان مُدبَّراً؛ بل هو حقيقة إذا صلَّى فهو المُصلِّي، وإذا قَتَل فهل القاتلُ غير مَنْ فَعَل القتل؟!

---

(١) أي: القول بأنَّ الفعل كَسْبٌ للعبد، لكن لا تأثير لقُدْرَة العبد في إيجاد المَقدُور، فَفُسِّر الكَسْب: بأنَّه ما يَحصُل في مَحَلِّ القُدْرَة المحدثة مَقرُوناً به، وهو عند التَّحقيق كلامٌ غير معقول ولا حقيقة تحته. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ٤٥٩)، (٣/ ١٠٩).

وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

فالفعل إنَّما يُضاف إلى مَنْ باشره؛ كما تقول: قام زيد، كَفَر زيد، قعد زيد، هذا هو المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فما صَدَر من المخلوق فهو فِعلٌ له، ليس فعلاً لربِّ العالمين.

للعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة واللَّهُ خالقهما

(وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ) لهم تَصَوُّرٌ واختيارٌ وفِعلٌ، (وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ) كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، فهي لربِّ العالمين خلقٌ وإيجادٌ وتكوينٌ، وللمخلوق فعلٌ وتَصَوُّرٌ، فهي قضاء اللَّه وقَدَره، وهي للعبد فِعلٌ.

الدَّليل على أنَّ للعبد مشيئة حقيقيَّة ولكنَّه لا يملكها استقلالاً

(كَمَا قَالَ تَعَالَى) وممَّا يدلُّ على ذلك قوله تعالى: (﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾) وهذا دالٌّ على أنَّ للعبد مَشيئةً حقيقيَّةً، ودلَّ على أنَّ له استقامةً، ودلَّ على أنَّ العبدَ لا يملكها استقلالاً، فوجود وتَصَوُّر المشيئة من العبد لا يكون إلَّا بمشيئة اللَّه، فإرادته تابعةٌ لإرادة اللَّه، ومشيئته تابعة لمشيئة اللَّه.

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ»، . . . . . .

الدَّرجة الثَّانية من القَدَر يُكَذِّب بها عامَّة القَدَريَّة

(وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ) أي: النُّفاة من المُعْتَزِلَة وغيرهم **(الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ»[(١)])** وإنَّما سُمُّوا: **(مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ)**؛ لِمُضارعةِ[(٢)] مَذهَبِهِم لِمذْهَب المَجُوس[(٣)]؛ فإنَّ المَجُوسَ هم القائلون بالأصلَيْن: النُّور، والظُّلمَة، وأنَّ النُّورَ خَلَقَ الخير، وأنَّ الظُّلمَةَ خَلَقَتِ الشَّرَّ، وهؤلاء ضارَعُوهُم؛ أخرجوا أفعال العباد عن أنْ تكون مخلوقةً للَّه، ورَأَوْا أنَّ العبد هو الذي يفعل الطَّاعات والمعاصي ويخلقها.

سبب تسمية القَدَريَّة بـ«مَجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ»

سبب ضلال القَدَريَّة: غُلُوُّهم في أفعال العباد

والذي أَلْجَأَهم - زعماً منهم لإثبات الشَّرع - غُلُوٌّ منهم في أفعال العباد، قالوا: «لو كانت خلقاً للَّه لكان ذلك للعبد ظلماً»، ويريدون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ باء العوض، وهؤلاء مُشبِّهةُ الأفعال، وَضَعُوا أوضاعاً جعلوا الخالق فيها مثل المخلوق.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٥٥٨٤)، من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أي: لمُشابَهة. الصِّحاح (٣/ ١٢٤٩).
(٣) المَجُوس هم: عَبَدة النَّار، يقولون بإثبات أصلين، وهما: النُّور والظُّلمَة، وزعموا أنَّ الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمَيْن أَزَلِيَّيْن؛ بل النُّور أَزَليٌّ، والظُّلمة مُحْدَثة. المِلَل والنِّحل (٢/ ٣٨)، موسوعة المِلَل والأديان (٢/ ١٧٠).

وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

الرَّدُّ على القَدَريَّة

والباء[١] للسَّبب، كما في الحديث: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ» الحديثَ[٢].

الدَّرجة الثَّانية يغلو فيها الجبريَّة

(وَيَغْلُو فِيهَا[٣] قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ) وهم الجَبْرِيَّة، ويقولون: «إنَّ العبد لا فعل له أصلاً»، أثبتوا هذه الدَّرجة من القَدَر وغَلَوْا فيها؛ **(حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ)** قالوا: «لا قدرة له ولا اختيار»، **(وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا)** فينفون الحكمة.

فهذا مَسْلَك الجَبْرِيَّة، ومنهم: الجَهْمِيَّة، ومِنْ مَسْلك المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعريِّ، وإنْ كان قد رَجَع[٤] عمَّا كان قد قال به أوَّلاً، والمنتسبون ليسوا على ما كان عليه، فإنَّه

---

(١) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النَّحل: ٣٢].

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٧٤٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وبنحوه رواه البخاريُّ، كتاب المرضى، باب تَمنِّي المريض الموت، رقم (٥٦٧٣)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجَنَّة والنَّار، باب لن يدخل أحد الجَنَّة بعمله؛ بل برحمة اللَّه تعالى، رقم (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً مِنْكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ».

(٣) أي: في الدَّرجة الثَّانية من القَدَر.

(٤) في آخر أَمْرِه. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٢٢٨).

. . . .

صَرَّح أنَّه على مذهب أهل السُّنَّة.

حاصل أقسام النَّاس في الشَّرع والقَدَر

فالنَّاس في الشَّرع والقَدَر ثلاثة أقسام:

- قسم أثبتوا الشَّرع، لكن غَلَوْا في إثباته حتَّى عَطَّلوا جانب القَدَر، وهم القَدَريَّة النُّفاة.

- وقسم أثبتوا القَدَر، لكن غَلَوْا في إثباته حتَّى عَطَّلوا جانب الشَّرع، وهم القَدَريَّة[1] المُجبِرة.

- وقسم وسط، وهم أهل السُّنَّة والجماعة، آمنوا بالقَدَر والشَّرع جَمِيعاً.



(١) المُثبِتة.

فَصْلٌ

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ.

فَصْلٌ

مِنْ أصول أهل السُّنَّة: أنَّ الإيمانَ قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص

(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ) الدِّين هو الإيمانُ، مِنْ عطف الصِّفة على الصِّفة، وفي ذلك مزيَّة، وهو: أنَّه يُسمَّى: «الدِّين»، ويُسمَّى: «الإيمان».

ونَعرِف مسألة، وهي أدلَّةٌ جاءت في القرآن: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾، هذا المُعدَّى باللَّام: التَّصديق، وما تعدَّى بالباء[1] فهو: الشَّرعيُّ.

أحسن تعريف للإيمان

أهل السُّنَّة لهم عِبارات في حَدِّ «الإيمان» نحو خمس عبارات؛ منها: «الإيمانُ: قولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالجَنَان، وعملٌ بالأركان»[2]، وكلُّها تَرجعُ إلى شيءٍ واحدٍ، ومِنْ أحسنِها وأجمعِها وأشمَلِها ما عرَّفه به شيخ الإسلام هنا:

(قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ).

---

(١) كقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٥٠٥).

. . . .

معنى «قَوْل القَلْب وعَمَله»

(**قَوْلُ القَلْبِ**): علمُه وتَصديقُه وإقرارُه.

(**وَعَمَلُ القَلْبِ**): انقياده بمقتضى ما أقرَّ به من الأعمال القلبيَّة؛ كالخشية، والخُضُوع، والرَّغبة، والرَّهبة، والتَّوكُّل عليه، ورجائه، ومَحبَّته، وأشياء غير ذلك من أعمال القلوب؛ فإنَّه أوَّلاً يُصدِّق ثم ينقاد لِمَا صَدَّق به، وكونه يُصَدِّق ولا ينقاد من الحُجَّة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، فلا بدَّ مِن أنْ ينقاد ويعمل.

معنى «قَوْل اللِّسان وعَمَله»

(وَ) قول (**اللِّسَانِ**): نُطقُه بكلمة الإسلام.

وأمَّا عَمَلُه: فهو انقياده بالنُّطق بالشَّيء الزَّائد على كلمة الإسلام مِنْ أنواع العبادة، كالذِّكر ونحو ذلك.

فقول اللِّسان وعَمَلُه قسمان:

- قسم: لا يَصِحُّ الإسلام إلَّا به، وهو كلمة الإسلام.

- وقسم: هو من واجباته ومندوباته، ولا يفتقر في صحَّته إليها.

معنى «عَمَل الجوارح»

(وَ) عمل (**الجَوَارِحِ**) ظاهر، كالمشي بالرِّجْل إلى الصَّلوات، وإعطاء اليد في الصَّدقات، وما يعمل بالأركان من صلاةٍ وحجٍّ، وغير ذلك من الأعمال الظَّاهرة من البَدَن.

. . . .

فالكلُّ من الإيمان، كلُّ خَصْلَةٍ إيمان، وسواء كان من الظَّاهر أو الباطن، فدخل في ذلك: فعل جَمِيع الطَّاعات - الواجبات والمندوبات -، وترك المُحرَّمات والمكروهات، فتَرْكُ خَصْلَةٍ من المُحرَّمات من الإيمان، وعملُ خَصْلَةٍ من الواجبات من الإيمان، والمندوبات من مندوباته.

وهذا الحدُّ عَرَفْتَ أنَّه شامل الإسلام؛ فإنَّه ما مِنْ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَال الإيمانِ إلَّا وهي داخلةٌ في الإسلام.

وهذا الحَدُّ يُوافِق عليه المُعْتَزِلَة والخَوَارِج، خلافاً للمُرْجِئة - مِنْ أعظمِهم الجَهْمِيَّة -.

الإيمان عند مرجئة الفقهاء: «النُّطق بالشَّهادتين والتَّصديق»

ومُرجِئة الفقهاء أقلُّ ما فيها أنَّها بدعة - ويُعَدُّ منهم: أبو حنيفة[١] -، عَرَّفوا الإيمانَ: بالنُّطق بالشَّهادتين والتَّصديق[٢].

(١) هو: أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت بن زُوطَى التَّيميُّ مولاهم، الكوفيُّ، ولد سنة (٨٠هـ)، إمام أهل العراق، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، قويُّ الحُجَّة، إليه المنتهى في الفقه والتَّدقيق، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٥٠هـ). سير أعلام النُّبلاء (٦/ ٣٩٠)، الوافي بالوفيات (٢٧/ ٨٩).

(٢) قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإيمان هو: الإِقْرَار والتَّصديق، وإيمان أهل السَّماء والأرض لا يَزيدُ ولا يَنقُصُ من جهة المؤمن بها، ويَزيدُ ويَنقُصُ من جهة اليقين والتَّصديق، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتَّوحيد، متفاضلون في الأعمال» الفقه الأكبر (ص٨٥).

وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ.

الإيمان يزيد بالطَّاعة ويَنقُص بالمعصية

(وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ) بفعل الطَّاعات.

(وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ) وينقص بفعل المعاصي.

جهات زيادة الإيمان ونقصانه

وزِيادتُه ونُقصانُه تارةً مِنْ جهة الشَّرع، وتارةً مِنْ جهة العامل، وتارةً لا مِنْ هذا، ولا مِنْ هذا.

فالأوَّل: إذا شُرِع شيء صار من الإيمان، وزاد بذلك وقت التَّشريع، فالذين ماتوا من المسلمين في أوَّل الهجرة آمنوا بالإيمان جميعه، والذي نزل بعد ذلك زيادةٌ في الإيمان.

ومِنْ جهة العامل[1]: إذا زاد خَصْلَةً مِنْ خِصَال الإيمان زاد إيمانُه، وإذا عَصَى نَقَص إيمانُه.

والثَّالث: المرأة إذا حاضت، وقد سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ عن ذلك فقال: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[2]، ولا تأثم عليه، فهذا نقصان من الإيمان الواجب، ومع ذلك هو نقصٌ ولا تأثم.

تعريف أهل السُّنَّة للإيمان

(قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ، وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ)

---

(١) وهذا الثَّاني.

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصَّوم، رقم (٣٠٤)، من حديث أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

. . . .

ويتبعَّض ويتجزَّأ، وهذا الحدُّ والحكم مُختصٌّ بقول أهل السُّنَّة والجماعة.

الذين خَالَفُوا في تعريفِ الإيمان

وخالف في ذلك الجَهْمِيَّة والمُرجِئَة، والمُعْتَزِلَة والخَوَارِج.

- فالإيمان عند الجَهْمِيَّة: المعرفة فقط، والمعرفة لا تَزيدُ ولا تَنقصُ، فإيمان جبريل وفرعون سواء.

الرَّدُّ على المُرجِئة في عدم دخول الأعمال في الإيمان

- وعند المُرجِئة: هو تصديقٌ فقط، أو قولٌ فقط، أو هما معاً، وأنَّه لا يَزيدُ ولا يَنقصُ، ولا يُدخِلون أعمال الجوارح في مسمَّى الإيمان؛ والنُّصوص من الكتاب والسُّنَّة[1] ظاهرةٌ أنَّها منه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، يعني: صلاتكم لبيت المقدس[2].

- والمعتزلة والخوارج يقولون: لا يَزيدُ ولا يَنقصُ، ولا يَتبعَّضُ ولا يَتجزَّأُ، وبنوا عليه أصلاً وهو: أنَّه إذا زال زال بالكلِّيَّة، وإذا وُجِد وُجِد بالتَّمام، فمَنْ أتى بمَعصيةٍ يَكفر ويَخرُج

(١) منها: ما رواه ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ: مَنِ الوَفْدُ؟ -، قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: مَرْحَباً بِالقَوْمِ - أَوْ: بِالوَفْدِ -»، وفيه: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» رواه البخاريُّ، رقم (٥٣)، ومسلم، رقم (١٧).

(٢) تفسير الطَّبريِّ (٢/ ٦٥١).

. . . .

من الإيمان، ويجعلون العَفْو ذنباً، والذَّنب كفراً[١].

- وأهل السُّنَّة يقولون: إنَّه يَزِيدُ من ناحية الصَّلاح والتَّصديق - مِنْ ناحية العمل، وما في القلوب -؛ فالتَّصديق الذي في قلب أبي بكرٍ رضي الله عنه ليس مثل غيره[٢]، وكذلك النُّقصان من ناحية المعاصي.

أدلَّة عقليَّة وشرعيَّة على زيادة الإيمان ونقصانه

نظير البَصَر، زَيْدٌ مثلاً يعرف فلاناً من نصف كيلو، وعُمَرُ يُميِّز أنَّه رجلٌ لا امرأة، وخالدٌ يرى الشَّخص لكن لا يُميِّز أَرَجُلٌ، أو امرأة.

وأدلَّة الزِّيادة والنُّقصان في القرآن معلومة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

والسُّنَّة كذلك؛ منها: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ»[٣].

أثر الإيمان على القلب

فالإيمان يُكسِب القلب لِيناً لأجل كمال حياته فيزيد، والمعصية تُظلِم بالقلب فيقسو فينقص الإيمان، وفي الآية: ﴿ثُمَّ

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أصلُ قول الخَوَارِج: أنَّهم يُكَفِّرون بالذَّنب، ويَعتَقدُون ذنباً ما ليس بذنبٍ» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٥٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٣١٣).

(٣) سبق تخريجه (ص٤١٧).

. . . .

تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾.

فالمُعْتَزِلَة والخَوَارِج: يُوافِقون المُرجِئة والجَهْمِيَّة في أنَّه لا يَزيدُ ولا يَنقصُ، ولا يَتبعَّضُ ولا يَتجزَّأُ، ويُوافِقون أهل السُّنَّة والجماعة في أنَّه قولٌ وعَملٌ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ: لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ - كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ -؛ . . . .

أهل السُّنَّة لا يُكَفِّرون أهل القِبْلة بمُطلَق المعاصي والكبائر

(وَهُمْ) أهل السُّنَّة (مَعَ ذَلِكَ) مع القول بهذا الحَدِّ[١] (لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ) يعني: كونه تَصْدُر منه مَعصيةٌ أو مَعاصٍ، فليس كافراً بذلك.

وهذه المسألة يقال لها: «مسألة أسماء الدِّين وأحكامه»[٢].

التَّفصيل في زوال الإيمان

فعند أهل السُّنَّة: أنَّ مِنْ خِصَال الإيمانِ ما يَزولُ كلُّه بزوالها، كأركان الإسلام والإيمان.

ومنها: ما يَزولُ كَمالُه الواجب، كفعل بعض المَعاصِي والكبائر التي لا تُوصِل إلى الكفر.

ومنها: ما يَزولُ كَمالُه المندوب بترك مندوبات الإيمان.

فالشَّجرة مثلاً اسم لمجموع الجِذع والورق والأغصان، وهي بعد ذهاب الورق شجرة، وبعد ذهاب الأغصان شجرة؛ لكنْ كاملة وناقصة، فليُفعَل مثل ذلك في مُسمَّى الإيمان والدِّين.

الخَوارِج يُكفِّرون بمُطلَق المعصية أو الكبيرة بناء على أصلهم

(كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ) بناءً على أصلهم السَّابق أنَّ الإيمانَ لا يَتبعَّضُ ولا يَتجزَّأُ، فبزوال خَصْلَة منه يَزولُ كلُّه، فيخرج من

(١) أي: بتعريف الإيمان وأنَّه: قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٨).

بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾.

رِبْقَةَ[1] الإيمان؛ فيُكَفِّرونه بمُطلَق المعصية أو الكبيرة، وهذا من أعظم الضَّلال؛ تكفير عُصَاة المُوحِّدين، وأنَّ الإيمانَ لا يقبل التَّبعُّض والتَّجزُّء.

الرَّدُّ على الخَوَارِج

(بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ) باقيةٌ لهم **(مَعَ)** وجود **(المَعَاصِي)** منهم؛ **(كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾)** فسَمَّاه: «أخاً له» مع وجود القتل، وجعل الأُخوَّة الإيمَانيَّة بينهما.

(وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾) وكذلك سمَّاهم: «إخوةً لهم»

---

(١) الرِّبْقة: عُرْوَة في حَبْل تُجعَل في عُنُق البَهِيمَة أو يدها تُمْسِكُها، والمراد هنا: ما يَشُدُّ به المُسْلِمُ نَفسَه من عُرَى الإيمان. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٩٠).

وَلَا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالكُلِّيَّةِ، . . . .

مع وجود التَّقاتل؛ فدلَّ على أنَّ الأُخوَّة الإيمانيَّة ثابتةٌ مع وجود المعاصي؛ فظهر بهاتين الآيتين وأمثالهما ضلالُ الخَوَارِج وأمثالِهم.

ومن جملة ما استدلَّ به الخَوَارِج: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية، وأشباهها[١].

والرَّدُّ على الخَوَارِج - من غير ما تقدَّم -: أنَّه كان في زمن النَّبيِّ ﷺ مَنْ صدَر منه معاصٍ من الزِّنى والسَّرِقَة والسُّكْرِ وغير ذلك، وثبتت لهم أحكام الإسلام؛ مِنْ تَوْرِيثِهم، ومِنْ دَفْنِهم مع المسلمين، ومِن الصَّلاة عليهم، وغير ذلك، ولم يكونوا كفَّاراً.

أهل السُّنَّة لا يَسلُبون الفاسق المِلِّيَّ اسم الإيمان بالكلِّيَّة

(وَلَا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ) الذي من أهل مِلَّتنا وهو فاسق (اسْمَ الإِيمَانِ بِالكُلِّيَّةِ) لا يُسلَب اسم الإيمان بالكلِّيَّة ويقال: «ليس بمؤمن»، كما تقولُه المُعْتَزِلَة؛ المُعْتَزِلَة يقولون بأصل الخَوَارِج: إنَّهم خَرَجُوا من المِلَّة؛ تتَّفق مع الخَوَارِج في خُروجِه من الإيمان.

قول المُعْتَزِلَة والخوارج في الفاسق المِلِّيِّ

ولكن الخَوَارِج يقولون: يَخرُج من الإسلام والإيمان، ويَدخُل في الكفران.

---

(١) ويأتي الجوابُ عن ذلك (ص٤٢٥)، وأنَّ المرادَ بذلك الإيمان المُطلَق.

وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ - كَمَا تَقُولُهُ المُعْتَزِلَةُ -؛ بَلِ الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ، . . . .

والمُعْتَزِلَة يقولون: يَخرُج من الإيمان ويَقِفُون، يقولون: هو في مَنزلةٍ بين المَنزلتَيْن، لا مؤمنٌ ولا كافرٌ، وردُّوا بذلك نصوص الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصَّحابة والتَّابعين ومَنْ بعدهم[١].

عند أهل السُّنَّة عُصَاة المُوَحِّدين تحت المشيئة

وأهل السُّنَّة بخلاف القولين - القول بخروجه من الإيمان والوقوف، والقول بدخوله في الكفر -، بَريئُون من مقالة الطَّائفتَيْن، ويقولون: إنَّه تحت المشيئة كما في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

فعُصَاة المُوحِّدين تحت المشيئة، إنْ شاء الرَّبُّ عذَّبهم على قَدْر جرائمهم وطهَّرهم منها، وإنْ شاء تجاوز وعفا وسمح عنهم وأدخلهم برحمته الجَنَّة.

أهل السُّنَّة لا يقولون بخلود الفاسق في النَّار كما تَقولُه المُعْتَزِلَة والخَوَارِج

(وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ) أهل السُّنَّة لا يقولون بخلوده في النَّار، **(كَمَا تَقُولُهُ المُعْتَزِلَةُ)** والخَوَارِج، فالمُعْتَزِلَة متَّفقون مع الخَوَارِج في حُكْمِه في الآخرة أنَّه مُخلَّدٌ في النَّار.

الدَّليل على دخول الفاسق في اسم الإيمان

(بَلِ الفَاسِقُ) المِلِّيُّ - الذي يُجاهِر بالمعاصي ويُكابِر بها، يُحكَم عليه بالفسق ويتغلَّظ بحسبها، ومَنْ تكرَّر منه حُبِس عليها - **(يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ[٢])**، لا كما يقوله هؤلاء، ولا هؤلاء،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٢٩٧). (٢) أي: مطلَق الإيمان.

كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾.

(كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾) ووجه دلالتها: أنَّه لو أعتق رقبةً فاسقةً ذاتَ معاصٍ أجزأت بإجماع أهل العلم(١)، فصار داخلاً في هذه الآية، وهو قوله: (﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾).

الفاسق لا يدخل في الإيمان المُثْنَى به وأدلَّة ذلك

(وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ(٢)) لأجل عصيانه، (كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾) أي: القرآنية السَّمعيَّة (﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾) فإنَّ الفاسقَ المِلِّيَّ لا يُوجَل قلبُه، وليس ممَّن إذا تُلِيَت عليه الآيات زَادَتْه إيماناً على الحقيقة؛ فلا دَخل في الإيمان الذي يَستحقُّ أنْ يُثْنَى عليه ويُمْدَح به، إنَّما يُثْنَى على مَنْ أتى بالإيمان الكامل؛ إذ لو كان مؤمناً الإيمان الواجب لزجره عن المعاصي، فلم يُباشِرها إلَّا عن نقص إيمانه.

فالفاسق لا يخرج من الإيمان بالكلِّيَّة، وإنْ خرج من الإيمان المُثْنَى به لا يخرج عن الثَّاني وهو مطلَق الإيمان(٣)، والمُثْنَى به

---

(١) المغني (٩/ ٥٤٧).
(٢) أي: الكامل.
(٣) أي: أصل الإيمان.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

هنا هو الواجب.

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ.

وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ.

وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ.

وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[(١)]).

فهذا الحديث فيه: نفي الإيمان عن أهل الكبائر، فنفي الإيمان عنهم ليس نفي أصله، إنَّما هو نفي بعض واجباته، وقول بعض السَّلف: «إِنَّ الإِيمَانَ يَخْرُجُ كَالظُّلَّةِ[(٢)] فَوْقَهُ»[(٣)]، المراد به:

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر، رقم (٦٧٧٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبِّس بالمعصية على إرادة نفي كماله، رقم (٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الظُّلَّة: السَّحاب، وكلُّ شيء أظلَّك فهو: ظُلَّة. تفسير غريب ما في الصَّحيحَيْن (١/ ١٠٨).

(٣) أورده ابن رجب رحمه الله موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه. جامع العلوم والحِكَم (١/ ٣٠٣). وقد رواه أبو داود مرفوعاً، كتاب السُّنَّة، باب الدَّليل على زيادة الإيمان ونقصانه، =

وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، . . . .

خرج ما يستحقُّ به الثَّناء عليه.

تعارضٌ وجَمْع

ولعلَّ قائلاً أنْ يقول: كيف يدخل فيها، ولا يدخل فيها[١]؟

قيل: الآيات مُصدِّقٌ بعضُها بعضاً، فيقال: إنَّ آية: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ على وجه إثبات الإيمان له، لا على وجه المدح والكمال، وعدم دخوله في آية: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ لأنَّها على وجه المدح والكمال، كما تقدَّم.

والضَّابط: أنَّه حيث ذُكِر الآيات التي فيها الأحكام؛ فمُطلَقُ الإيمان[٢] يدخل فيها.

قول أهل السُّنَّة في الفاسق: «مُؤمنٌ ناقص الإيمان» أو «مُؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته»

(وَنَقُولُ) كأنَّ قائلاً قال: إذا كان الفاسق قد يَدخلُ في اسم الإيمانِ، وقد لا يَدخلُ في اسم الإيمانِ المُطلَق، فهل تقولون: إنَّه مؤمن، أو تقولون: إنَّه كافر؟

لا نقول: إنَّ العاصي كافر، ولا نقول: إنَّه مؤمنٌ ويُطْلَق؛ بل يُقيَّد، فنقول: **(هُوَ مُؤْمِنٌ)** في الحكم وإثبات أصل الإيمان له، **(نَاقِصُ الإِيمَانِ)** لنقصه بعض واجبات الإيمان، فلا يستحقُّ

= رقم (٤٦٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ، كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ».

(١) أي: أنَّ الفاسق يَدخلُ في اسم الإيمانِ في بعض الآيات، ولا يَدخلُ فيها في آيات أخرى، فكيف الجمع؟

(٢) الذي ليس على وجه المدح والكمال.

أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ المُطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ.

أنْ يُثْنَى عليه به، لا نفيٌ لأصل الإيمان عنه.

(أَوْ) نقول: **(مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ)** بما معه من الإيمان، **(فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ)** بما معه من الفِسْق أو الكبيرة.

قول أهل السُّنَّة في الفاسق خروج من بدعة الخَوَارِج والمُرجِئة

ونكون قد خرجنا من بدعة الخَوَارِج الذين يقولون: «هو كافر»، ومن بدعة المُرجِئة الذين يقولون: «إنَّه مؤمنٌ كامل الإيمان»، فنصير وسطاً بينهم.

فالزَّاني والسَّارق - مثلاً - يقال: «هو مؤمنٌ ناقص الإيمان»، أو: «مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته»؛ إحدى هاتين العبارتين.

وبعض السَّلف قالوا: «نقول: إنَّه مسلم، ولا نقول: إنَّه مؤمن»[(١)]؛ لأنَّه نَفَى عنه الإيمان، وهذا يُشبِه أنْ يكون عدمَ تعرُّضٍ للمسألة، وحياداً عنها.

والذي ذكره شيخ الإسلام تصريحٌ فيها، وهو أحسن.

لا يقال للفاسق: «مؤمنٌ» أو «ليس بمؤمنٍ»

(فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ المُطْلَقَ) ويقال: «مؤمنٌ» ويُسكَت.

(وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ) فيقال: «ليس بمؤمنٍ» ويُسكَت.

---

(١) جامع العلوم والحِكَم (١/ ١١١).

. . . .

أمَّا قول: «ليس بمؤمنٍ»، فهذا ظلمٌ وهَضمٌ لحقِّه وتَعدٍّ عليه؛ لأنَّ معه أصلَ الإيمان.

وإنْ قيل: «هو مؤمنٌ»، فهذا إعطاءٌ له ما ليس بحقٍّ له، وهو لا يَستَحِقُّ أنْ يُثْنَى عليه به، وإدخالٌ له في آية المدح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهو ليس كذلك.

فدخوله في الإيمان باعتبار، وعدم دخوله باعتبار؛ فبذلك يكون هذا القول جامعاً بين النُّصوص جميعاً، وموافقاً للكتاب والسُّنَّة.



فَصْلٌ

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، . . . .

فَصْلٌ

من أصول أهل السُّنَّة: سَلامةُ قُلوبهم وأَلْسنَتِهم للصَّحابة رضي الله عنهم

(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ) وطهارتها **(لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)**.

(سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ) من الغِلِّ والحِقْد، والبُغْض والعداوة، واعتقاد السُّوء في الصَّحابة.

(وَأَلْسِنَتِهِمْ) فألسنتُهم سالمةٌ من أنْ تتلوَّث بالطَّعْن والوقيعة في أعراض أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ؛ بل هم أحبُّ طائفة إليهم.

مذهب الرَّافضة في أصحاب رسول اللَّه ﷺ أَشنعُ مذهبٍ وأفظعُه

يعني: خلافاً للرَّوافض الذين قلوبُهم مُفْعَمَةٌ[(١)] من بُغْض أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ وعداوتهم، وألسنتُهم مِسْلَقة[(٢)] في سَبِّ أصحاب رَسُولِ اللَّه ﷺ، فمِنْ مذهب الرَّوافض: تكفير أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ إلَّا بضعة عشر.

فمذهبهم في أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ أشنعُ مذهبٍ وأفظعُه؛ ولهذا صاروا أشرَّ من اليهود والنَّصارى في هذا الباب، فاليهود والنَّصارى خير منهم، فإنَّهم[(٣)] لو سُئِلوا: مَنْ شَرُّكم؟ لقالوا:

---

(١) أي: ممتلئة. مقاييس اللُّغة (٤/ ٥١١).

(٢) أي: شديدة القول. الصِّحاح (٤/ ١٤٩٧).

(٣) أي: الرَّافضة.

كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا . . . .

أصحاب مُحمَّدٍ ﷺ، واليهود لو سُئِلوا: مَنْ خَيْرُكم؟ لقالوا: أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنَّصارى لو سُئِلوا: مَنْ خَيْرُكم؟ لقالوا: أصحاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سبب كفر الرَّافضة

وذهب بعض أهل العلم إلى تكفير الرَّوافض بمجرَّد الرَّفض[1] - مِن دُون بدعة التَّخوين[2]، وما أضافوه إلى ذلك من عبادة القبور والأوثان وغير ذلك -، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾.

مِن وَصْفِ أهل السُّنَّة: أنَّهم يَدْعُون للصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم بالمغفرة

(كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ) يعني: وصف اللَّه أهل السُّنَّة والجماعة بسلامة قلوبهم (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾) يعني: مِنْ بعد المهاجرين والأنصار.

فمَنْ بعد البِعْثَة على ثلاث طبقات: مهاجرين، وأنصار، وتابعين إلى يوم القيامة.

فمِنْ صفة الطَّبقة الثَّالثة: أنَّهم (﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٢).

(٢) وهي قولهم: إنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ غَلِطَ بالرِّسالة فأنزل الوحي على مُحمَّد ﷺ فجعله رسولاً، وهي لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الفصل في المِلَل والأهواء والنِّحَل (٤/ ١٤٠)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٢٧)، فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٢٥٦).

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ . . . .

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾).

فإنَّ الآيةَ الأُولَى في المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

والآية بعدها في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾.

فأثنى اللَّه على مَنْ جاء بعد المهاجرين والأنصار بقوله: (﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾).

فهذا وَصْفُ أهل السُّنَّة وهذه مقالتهم، يَدْعُون للصَّحابة بالمغفرة كما يَسْأَلُونَها لأنفسهم، فمدَحَهم اللَّه بهذه المقالة، وهي باقيةٌ في أهل السُّنَّة إلى يوم القيامة.

والرَّافضة ليسوا كذلك؛ بل يقعون فيهم أشدَّ الوقيعة؛ بل يُكَفِّرونَهُم إلَّا النَّفرَ القليلَ.

مِن وَصْفِ أهل السُّنَّة: سلامة صدورهم للصَّحابة رضي الله عنهم

ثمَّ وصفهم بقوله: (﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ

إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، . . . .

إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) والغِلُّ في قلوب الرَّوافض حتَّى صاروا في هذا الباب يظهر منهم عند ذكر الصَّحابة من الأقوال والأعمال مُضحكاتٌ، من شدَّة الغَيْظ في قلوبهم.

لا حَظَّ للرَّافضة في الفيء

وبهذا استدلَّ مالكٌ[(١)] على مَنْعهم الفَيْء[(٢)]؛ ولهذا ينبغي لولاة الأمور أنْ لا يجعلوا لهم رِفادةً[(٣)]، ولا شيئاً أبداً، اللَّهمَّ إلَّا أنْ يَزولَ رَفضُهُم أوَّلاً بما يُظهِرون، فيُعْطَون.

مِن وَصْف أهل السُّنَّة: طاعةُ النَّبيِّ ﷺ في الكفِّ عن سَبِّ الصَّحابة رضي الله عنهم

(وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي) والخطاب مع مَنْ؟ مع خالد بن الوليد وأصحابه رضي الله عنهم في قصَّة بني جَذيمة[(٤)]، لَمَّا قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا؛ ظنّاً منهم أنَّهم لم يُسلِموا، أَنْكَر عليه عبدُ الرَّحمَن بن عوف رضي الله عنه قَتْلَه لهم، فسَبَّه خَالدٌ رضي الله عنه، فقال النَّبيُّ ﷺ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي) - يعني: عبد الرَّحمَن بن عوف -،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للَّالكائي (٧/ ١٣٤٤)، تفسير البغويِّ (٨/ ٨٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٧٣).

(٢) الفيء: ما أُخِذ من أموال الكفَّار بقتال أو من غير قتالٍ، إذا كان سبب أَخْذِه الكفر. الفروق اللُّغويَّة للعسكريِّ (ص١٧٠).

(٣) رِفَادَة: عَطاء. الصِّحاح (٢/ ٤٧٥).

(٤) بنو جَذِيمَة هم: بنو عامر بن عبد مناة بن كنانة، يسكنون جنوب مكَّة تبعد عنها مئة (١٠٠) كيلومتر على السَّاحل قبل اللَّيث عند الشعيبة. جمهرة النَّسَب (١/ ١٢٠)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٧)، معالم مكَّة التَّاريخيَّة والأثريَّة (ص٢٠٤).

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

مع أنَّ خالداً وأصحابَه من الصَّحابة ﵃، لكن عبد الرَّحمَن أسْبَق صُحْبَة، فما الظَّنُّ فيمَنْ بعدهم في الزَّمن والفضل؟!

فَضْلُ أعمال الصَّحابة ﵃ على مَنْ بعدهم بالإيمان والصِّدق

(فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ) جَبَلِ **(أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ)** من البُرِّ ونحوه ينفقه **(وَلَا نَصِيفَهُ»[(١)])** لغة في النِّصف[(٢)]، يعني: ولا نصفه، وذلك أنَّ تفاوت الأعمال إنَّما هو بالنِّسبة إلى ما في القلوب؛ لِمَا فيها من صريح الإيمان والصِّدق ما لا يكون لمَنْ بعدَهم.

فلأجل الآية، ولأجل طاعة النَّبيِّ ﷺ في هذا الحديث - الذي فيه أعظم تغاير بين الصَّحابة ومَنْ بعدهم - كان مَسْلَك أهل السُّنَّة في الصَّحابة هو ما تقدَّم.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٧٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة ﵃، باب تحريم سَبِّ الصَّحابة ﵃، رقم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدريِّ ﵁.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٣٧٨)، تهذيب اللُّغة (١٢/ ١٤٣).

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

أهل السُّنَّة يَقبَلُون ما جاء مِنْ فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومراتبهم

(وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ) المُطهَّرةُ (وَالإِجْمَاعُ؛ مِنْ) مناقب الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، و(فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).

أنواع تفضيل الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

وفضائل الصَّحابة جَمَّة؛ فإنَّه جاءت نُصوصٌ عامَّة لجميعهم، فيها تفضيل لهم عموماً.

وجاءت نصوصٌ خاصَّة:

- منها: ما هو تفضيل طائفةٍ على طائفةٍ أخرى، مثل المهاجرين فُضِّلوا على الأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرِّضوان[(١)].

- ومنها: ما هو تفضيل أشخاصٍ على أشخاصٍ.

- ومنها: ما هو في الصَّحابة لكلِّ واحدٍ بعَيْنِه.

فأهل السُّنَّة يعرفون لكلِّ واحدٍ من الصَّحابة فضله، ويَقْبَلُون ذلك كلَّه.

---

(١) هي: البَيْعَة التي حَدَثَتْ في شهر ذي القَعدة من العام السَّادس للهجرة النَّبويَّة تحت الشَّجَرة، وفيها بايَع الصَّحابة رسول اللَّه ﷺ على أنْ لا يَفِرُّوا، بعد أنْ شاعَ قتل قريشٍ لعثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد أثنى اللَّه تعالى على أهلها. جوامع السِّيرة (ص١٦٦)، الرَّوْض الأُنُف (٦/ ٤٥٢).

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

مَنْ أنفق مِنْ قبل الفتح وقاتل أفضل ممَّنْ أنفق مِنْ بعده وقاتَل

(وَيُفَضِّلُونَ) من الصَّحابة **(مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ)** سمَّاه اللَّه: «فَتْحاً»؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ حين صَالَح أهل الحُدَيْبِيَة ليأمن النَّاس؛ دخل بذلك خَلْق كثير في الدِّين، كانوا في غزوة بيعة الرِّضوان - الحُدَيْبِيَة[1] - ألفاً وأربع مئة، وبعدها في فتح مَكَّة كانوا نحواً من عشرة آلاف، وكان ما بين صلح الحُدَيْبِيَة[2] وبين فتح مكَّة[3] سنتين.

سبب تفضيل مَنْ أنفق من قبل الفتح وقاتل

(عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ) لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟

---

(١) الحُدَيْبِيَةُ: موضعٌ غربَ المسجد الحرام، يبعد عنه خمسة وعشرين (٢٥) كيلومتراً على طريق جدَّة القديم. معجم ما استعجم (٢/ ٣٨٤)، معجم البلدان (٢/ ٢٢٩)، معجم المعالم الجغرافيَّة (ص٩٤).

(٢) صُلْح الحُدَيْبِيَة: كان بين المسلمين ومشركي قريش في الحُدَيْبِيَة في شهر ذي القَعدة من العام السَّادس للهجرة النَّبويَّة، وفيه اصطلحوا على أنْ يَرجِع عنهم النَّبيُّ ﷺ عامه ذلك، وأنْ يَعْتَمِر من العام المقبل، وعلى أنْ يأمن النَّاس بينهم وبينه عشر سنين، فكانت هذه الهُدْنَة من أكبر الفتوحات للمسلمين. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٣٠٨)، الرَّوْض الأُنُف (٦/ ٤٥٢)، الفصول في سيرة الرَّسُول (ص١٨٥).

(٣) بعد أنْ نَقَضَ المشركون صُلْح الحُدَيْبِيَة؛ خرج رسولُ اللَّه ﷺ إلى مكَّة في عشرة آلاف مِنْ أصحابه في شهر رمضان من العام الثَّامن للهجرة النَّبويَّة، ففتحها، ودخل النَّاس في دين اللَّه أفواجاً. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٣٨٩)، جوامع السِّيرة (ص١٧٧).

. . . .

﴿مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾؛ وإنَّما كانوا أفضل لأنَّهم كانوا سابقين، ولأنَّهم اختاروا الإسلام وقت القِلَّة والشِّدَّة، وبَذَلُوا المُهَج[1] والنَّفْس والنَّفيس، ولم يُبالوا بكثرة الأعداء، فَفَرْقٌ بين مَنْ دخل في حال الضِّيق والشِّدَّة، ممَّنْ قد كثر النَّاصر والدَّاخل في الدِّين.

فهذا جنس المراتب، فجنس مَنْ أنفق مِنْ قبل الفتح وقَاتَل أفضل وأرفع ممَّنْ أنفق مِنْ بعده وقَاتَل.

---

(١) أي: خالصَ نفوسهم وما يقدرون عليه. لسان العرب (٢/ ٣٧٠)، تاج العروس (٦/ ٢٢٢).

وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ.

المهاجرون أفضل من الأنصار

(وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ) أهل السُّنَّة يرون أنَّ الكلَّ له فضيلةٌ وخير، ولكن يَرَوْن أنَّ المهاجرين أفضل؛ لأنَّ اللَّه قدَّم المهاجرين على الأنصار في مواطن الثَّناء عليهم في عدَّة آيات - واللَّه لا يُقَدِّم إلَّا الأفضل -؛ كما في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هم أهل المدينة، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، فالتَّقديم يُفيد التَّفضيل كما تقدَّم.

سبب تفضيل المهاجرين على الأنصار

والحكمة في ذلك: أنَّهم باشروا من الشَّدائد ما لم يُباشِره الأنصار، وبسبقهم أيضاً، ولكونهم فارقوا مَأْلُوفَاتِهم من المساكن والأوطان والأموال والعشائر وغير ذلك؛ كلُّه نصرةً للَّه ورسوله، وبعضهم فارق وَالدَيْه كما في قصَّة سعد - وقصَّتهما(١) معروفة(٢) -.

---

(١) أي: قصَّةُ سعدٍ رضي الله عنه وأُمِّه.

(٢) رواها مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب في فضل سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه، رقم (١٧٤٨)، عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه موقوفاً، ولفظه: «حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَداً حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا، قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثاً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا - يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ - فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل فِي القُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾، ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾، وَفِيهَا: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾».

. . . .

والأنصار آوَوُا المسلمين ونَصرُوهُم بالمال والأبدان، ولكن في أوطانهم وعشائرهم؛ فكانوا في الفضل دون المهاجرين.

فبهذا يُعرَف سبب تفضيلهم، رضي اللَّه عن الكلِّ وأرضاهم.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

أهل السُّنَّة يؤمنون بأنَّ أهلَ بدرٍ مغفور لهم

(وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ) وبدر: ماءٌ معروفٌ غير بعيدٍ من المدينة[1]، وجرَت فيه الوقعة الشَّهيرة، وهو المذكور في الآية الكريمة[2].

(وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ) الذي شَهِدَه من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم هم هذا العدد.

(«اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[3]) لَمَّا استفتى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قتل حاطبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: **(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)**» أي: ما عملتُم مِنْ عملٍ لا يَصِلُ إلى الكفر مَغفورٌ لكم؛ ثواباً على هذا المَشْهَد العظيم الذي فُرِّق فيه بين الحقِّ والباطل.

معنى التَّكفير في باقي العمر

لكن لا بدَّ من معرفة معنى ذلك، فليس معناه عند أهل العلم أنَّه مُرخَّصٌ لهم في الكفر والمعاصي - فالكفر لو قُدِّر وُجوده مِنْ بَدريٍّ حَبِط عَمَلُه -، لكن مِنْ ثواب اللَّه لأهل بَدرٍ: أنَّ

---

(١) يقع جنوب غرب المدينة المُنوَّرة، يبعد عنها مئة وخمسين (١٥٠) كيلومتراً، وهو الآن مدينة عامرة. معجم ما استعجم (١/ ٢٣١)، الرَّوض المعطار (ص٨٤).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٣].

(٣) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، رقم (٤٨٩٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، باب من فضائل أهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وقصَّة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٩٤)، من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

. . . .

المعاصيَ المُتجدِّدةَ إذا وَقَعَتْ مِنْ أحدِهِم فإنَّه يُوَفَّق للتَّوبة، وكذلك توفيقه للحسنات، كلُّه مِنْ ثواب اللَّه، فهذا معنى التَّكفير في باقي العمر بعد ذلك.

وهذا معنى ما في النُّصوص مِنْ أنَّ صَومَ يوم عرفة «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ»[(١)].

فلا تظنَّ أنَّ الواحدَ من البَدْريِّين مَأذونٌ له في المعاصي؛ بل إيمانهم أعظمُ مِنْ غيرهم، وعصيان مَنِ انقطع إلى اللَّه أعظم؛ لامتيازه بالمعرفة، والشُّكر في حقِّه آكد، لكن مغفرة ذلك مِنْ أجلِ ما جَرَى على أيديهم من النَّفع.

أهل بَدرٍ مُتفاوِتُون في الأجر

وهم مُتفاوِتُون في الأجر، فلِعُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من سَنَامه ما ليس لغيره[(٢)].

فيؤمنون بأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك، وبأنَّهم ممتازون بالفضيلة على غيرهم من الصَّحابة؛ فهي رُتبةٌ عاليةٌ.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصِّيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيَّام مِنْ كلِّ شهرٍ وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، رقم (١١٦٢)، من حديث أبي قتادة الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) السَّنام: من سَنِم، وهي: مادَّة تدلُّ على العلوِّ والارتفاع. مقاييس اللُّغة (٣/ ١٠٧).
والمراد: أنَّ لعمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في غزوة بَدرٍ من الأجر العظيم ما ليس لغيره.

وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ . . . .

أهل السُّنَّة يؤمنون بأنَّ مَنْ بايع النَّبيَّ ﷺ تحت الشَّجرة لا يَدخُل النَّار

(وَ) كذلك أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون (بِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ) وهؤلاء هم أهل بَيْعَة الرِّضْوَان، وذلك سَنَة سِتٍّ، حين خرج النَّبيُّ ﷺ قاصداً مكَّة في ذي القَعدة معتمراً، ولَمَّا بلغه أنَّ قريشاً يريدون أنْ يَصُدُّوه عن العمرة، عزم على أنَّ مَنْ قاتلَه أنَّ النَّبيَّ ﷺ يُقاتِلهم، فبايعهم تحت الشَّجَرة على أنْ لا يَفرُّوا إذا لقوا قُريشاً في مكَّة، فصَالَحَهُم النَّبيُّ ﷺ أنْ يَعْتَمِر من القابلة[1]؛ المقصود: أنَّهم بايعوه تحت الشَّجرة.

الجمع بين الحديث وقول اللَّه ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

(كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ) في قوله: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[2].

وأمَّا قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فالمراد: المرور على الصِّراط، فإنَّه مَنصوبٌ على مَتنِ جهنَّم، وجميع الخَلْقِ[3] يَعْبُرون عليه، فالوُرُود أَعمُّ من الدُّخول، والدُّخول أَخصُّ، فلا يلزم من الوُرُود الدُّخول.

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، رقم (١٨٥٨)، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أصحاب الشَّجرة أهل بيعة الرِّضوان رضي الله عنهم، رقم (٢٤٩٦)، من حديث أمِّ مُبَشِّر الأنصاريَّة رضي الله عنها، ولفظه: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا».

(٣) أي: من المسلمين.

بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ.

كلُّ مَنْ بايع تحت الشَّجرة في الحُدَيْبِيَة فاللّٰه رَضِيَ عنه

(بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) كلٌّ منهم قد رضي اللَّه عنه، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ المعروفة في صلح الحُدَيْبِيَة، وغير خافٍ أنَّ الرِّضا درجةٌ فوق المغفرة.

(وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ).

فيُؤمِن أهل السُّنَّة أنَّ اللَّهَ رَضِيَ عنهم.

أنواع التَّفضيل

- فهؤلاء هم أهل بيعة الرِّضوان لهم مَزِيَّةٌ على مَنْ لم يَحصُل له ذلك؛ هذه فضيلةٌ عُموميَّةٌ لأهل بيعة الرِّضوان، كما أنَّ موقعة بدر عُموميَّةٌ لأهل بدر على غيرهم، وكذلك فضيلة المهاجرين على مَنْ ليسوا مهاجرين.

- ومنها باعتبارِ تفضيل العَشَرة؛ فهي خاصَّةٌ لهم بالنِّسبة إلى غيرهم وعامَّتهم.

- ولكلٍّ من الصَّحابة فضائلُ خاصَّةٌ به، كأبي بَكرٍ وعُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وغيرهم.

- وكذلك الملازمون له في الصُّحبة، وهذا غالبٌ فيهم ليس كلُّ فردٍ فردٍ منهم؛ بل مَن اجتمع بالرَّسُولِ ﷺ ولو لَحْظَة وهو

. . . .

مؤمنٌ به فإنَّه من الصَّحابة[١].

(١) الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ١٥٨).

وَنَشْهَدُ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كَالعَشَرَةِ، . . . .

نشهد بالجَنَّة لمَنْ شَهد له الرَّسُول ﷺ بها

(وَنَشْهَدُ بِالجَنَّةِ) بالتَّعيين **(لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)** بالجَنَّة؛ لأنَّه شَهِد له الرَّسُول بوحيٍ من اللَّه فنجزم، وبشهادة المعصوم له عُرِف أنَّه لا يأتي عليه ما ينقض هذه؛ هذا أَصلٌ مِنْ أُصولِ أهل السُّنَّة.

أمثلة مَنْ شَهد لهم النَّبيُّ ﷺ بالجَنَّة على التَّعيين

(كَالعَشَرَةِ) جاء في بعض الأحاديث تعدادهم في حديثٍ واحدٍ، ومتفرِّقة.

و**(العَشَرَة)** هم: أبو بكر الصِّدِّيق، والفاروق، وذو النُّورَيْن، وعليُّ بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقَّاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرَّحمَن بن عوف، والزُّبَيْر بن العَوَّام، وطلحة، وأبو عُبَيْدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»[1]؛ فنَشْهَد ونَجْزِم أنَّهم مِنْ أهل الجَنَّة.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (١٦٧٥)، من حديث عبد الرَّحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ -.

(وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ) وله قصَّة شهيرة، فإنَّه كان يَخطُب للنَّبيِّ ﷺ، وكان ثقيل السَّمع، ولَمَّا نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآيةَ؛ خَشِيَ أنْ يكون ممَّنْ يرفع صوته في القرآن، فاحتبس في بيته يَبكي، فلَمَّا فَقَدَه النَّبيُّ ﷺ سأل عنه، فقيل له: إنَّه لَمَّا نَزَلَت هذه الآية احتبس في بيته وخَشِيَ أنْ يكون ممَّنْ رفع صوته فحَبِط عَمَله وأنَّه من أهل النَّار، فأرسل إليه النَّبيُّ ﷺ وبَشَّره بالجَنَّة، وقال: «أَخْبِرُوهُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[(١)].

وكعُكَّاشة بن مِحْصَن رضي الله عنه[(٢)]، ومعاذ رضي الله عنه للحديث[(٣)]، وبلال رضي الله عنه[(٤)]، ولذلك قال المُصنِّف: **(وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ)**؛ فكلُّ ما ثبت لأحدٍ نصٌّ أنَّه مِنْ أهل الجَنَّة فهو من أهل الجَنَّة، وكذلك مَنْ شَهِدَ له النَّبيُّ ﷺ أنَّه من أهل النَّار فنَشْهَد أنَّه من أهل النَّار.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب المناقب، باب علامات النُّبوَّة في الإسلام، رقم (٣٦١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يَحْبَط عمله، رقم (١١٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) كما في حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما في السَّبعين ألفاً الذين يَدخلُون الجَنَّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وفيه: «فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ رضي الله عنه، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ» رواه البخاريُّ، رقم (٦٥٤١)، ومسلم، رقم (٢٢٠).

(٣) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الصَّغير (١/ ٣٣٥)، رقم (٥٥٦)، من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما، ولفظه: «يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ العُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ».

(٤) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لبلال رضي الله عنه: «سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ» رواه البخاريُّ، رقم (١١٤٩)، ومسلم، رقم (٢٤٥٨).

. . . .

مسألة الشَّهادة بالجَنَّة أو بالنَّار

فهذه مسألة «الشَّهادة بالجَنَّة والنَّار»؛ تارة تكون لعموم، وتارة لخصوص:

- فالعموم: أنَّ مَنْ مات على التَّوحيد مصيره إلى الجَنَّة؛ على أحدِ تقادير ثلاثة[١].

ومَنْ مات على الكفر فهو مِنْ أهل النَّار الخالدين المُخلَّدين.

- أمَّا الخُصوصيَّة: فلان بن فلان؛ فلا شهادة إلَّا لمَنْ شَهِد له النَّبيُّ ﷺ بعَيْنه أنَّه من أهل الجَنَّة فهو من أهل الجَنَّة.

وكذلك النَّار؛ مَنْ شَهِد له الرَّسُول ﷺ أنَّه مِنْ أهل النَّار فنَشْهَد أنَّه مِنْ أهل النَّار، كأبي لَهَب[٢] وأبي طَالِب[٣].

---

(١) قال سماحة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح كتاب التَّوحيد: «مَنْ مات على التَّوحيد فلا بُدَّ أن يدخل الجَنَّة، ودخوله الجَنَّة على أحد تقادير ثلاثة:

أحدها: أن لا يموت مُصِرّاً على ذنبٍ أصلاً - أن يلقى اللَّه سالماً من جميع الذُّنُوب - فهذا يدخل الجَنَّة في أوَّل وَهْلَة.

والثَّاني: أن يموت مُصِرّاً على ذنبٍ أو كبيرةٍ؛ فهذا بين أمرَيْن:

- إمَّا أن يُجازيَه بجُرْمِه، فيُدخله النَّار، ويُطهِّر من أوضار الذُّنُوب وأرْجَاس المعاصي، ثمَّ يُدخلَه الجَنَّة بعد ذلك.

- وإمَّا أن يعفوَ الرَّبُّ ويتجاوزَ عنه تفضُّلاً وإحساناً، فيُدخله الجَنَّة.

فصار مَصيره إلى الجَنَّة بكلِّ حال، إمَّا آخراً وغاية، وإمَّا ابتداء».

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الجنائز، باب ذِكْر شِرار الموتى، رقم (١٣٩٤)، من حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «قَالَ أَبُو لَهَبٍ - عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ - لِلنَّبِيِّ ﷺ: تَبّاً لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾».

(٣) سبق تخريجه (ص٣٨٤)، من حديث العبَّاس بن عبد المُطَّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «قَالَ =

. . . .

فمَنْ لم يُشهَد له بالتَّعيين من الصَّحابة أو غيرِهم فلا نشهد له به، وإنْ بَلَغ ما بَلَغ؛ لأنَّه لا يُدرَى عن الخواتيم، للحديث في ذلك[1]؛ فلا يقال: فلانٌ مِنْ أهل الجَنَّة؛ بل يُرجَى له أنَّه مِنْ أهل الجَنَّة رجاءً قريباً من الجَزْم.

والكافر وإنْ بَلَغ كُفره من الكفر ما بَلَغ، لا نقول: إنَّه مِنْ أهل النَّار؛ لأنَّا لا ندري ما باطنه، ولا ندري ما يموت عليه.

فلا نُعيِّن إلا مَنْ عيَّن ﷺ.

مرتبةٌ بين الشُّهود الكلِّيِّ والتَّعيين

ثم هنا مرتبةٌ بين الشُّهود الكلِّيِّ والتَّعيين، كأهل بيعة الرِّضوان وكأهل بدر، فإنَّه يُشهَد لهم بمثل هذا، فهي عموميَّةٌ مِنْ وجهٍ، خصوصيَّةٌ من دون غيرهم من المسلمين؛ وعمومٌ مِنْ حيث إنَّه لم يَقُل في واحدٍ بعينه؛ بل يقال فيهم ذلك عموماً.

جواز الشَّهادة بالصَّلاح والخير

بخلاف الشَّهادة بالصَّلاح والخير، كما جاء عن عليٍّ رضي الله عنه

= لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

(١) رواه البخاريُّ، كتاب بَدْءِ الخَلْقِ، باب ذِكْر الملائكة، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم، كتاب القَدَر، باب كيفيَّة خَلْقِ الآدميِّ في بطن أمِّه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٣)، من حديث عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي الله عنه، وفيه: «وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ».

. . . .

لَمَّا سُئل وهو على المنبر[١].

الرُّؤيا تُثبِت الخيريَّة إذا تواترت

والرُّؤيا[٢] تُثبِت الخيريَّة إذا تواترت، ولا يُشهَد له بمُجرَّدها.

---

(١) رواه الآجرِّيُّ في الشَّريعة (٥/ ٢٣٢٤)، عن أبي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه، ولفظه: «سَمِعْتُ عَلِيّاً وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ بِالكُوفَةِ يَقُولُ: إِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ خَيْرُهُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ، وَالثَّالِثُ لَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُهُ».

(٢) في المنام.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁ وَغَيْرِهِ: مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ ﵃، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، ....

أهل السُّنَّة يُقِرُّون بما تواتر عن عليٍّ ﵁ وغيره مِنْ أنَّ أَفضلَ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكرٍ ثمَّ عُمرُ ﵄

(وَيُقِرُّونَ) كذلك يُقِرُّ أهل السُّنَّة والجماعة **(بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁ وَغَيْرِهِ: مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ)** قال المُصنِّف: «صَحَّ عن عليٍّ من نَحْو ثمانين طريقاً حين سُئِل: (مَنْ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قِيلَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ)، حتَّى إنَّه سُئِل عن ذلك وهو على مِنبَر الكوفة؛ بل هي من المتواترِ»(١).

الشِّيعة لا يَعْبَؤُون بأقوال عليٍّ ﵁

وهذا بيان أنَّ الذين ينتسبون إلى أنَّهم يُعَظِّمونه - وهم الشِّيعَة - لا يَعْبَؤُون بأقواله، مع أنَّهم لا يَعْبَؤُون بالكتاب والسُّنَّة في ذلك.

أهل السُّنَّة يُثَلِّثُون بعُثمان ويُربِّعون بعليٍّ ﵄

(وَ) كذلك أهل السُّنَّة والجماعة **(يُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ ﵃، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ)** كما قال ابن عمر ﵄: «كُنَّا

---

(١) جامع الرَّسائل (١/ ٢٦١)، ونَصُّه: «ولَمَّا بلغ عليّاً أنَّ أقواماً يُفَضِّلونه على أبي بَكرٍ وعُمرَ، قال: (لَا أُوتَى بِأَحَدٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي)، تَحقيقاً لِمَا رواه البخاريُّ في صحيحه عن مُحمَّد ابن الحَنَفيَّة أنَّه سأل أباه: (مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ)، وقد رُوِي ذلك عن عَلِيٍّ مِنْ نَحوِ ثَمانينَ طَريقاً، وهو مُتواترٌ عنه».
وقال في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٩): «وثَبَتَ عن عَليٍّ مِنْ وجوهٍ كثيرةٍ أنَّه قال: (لَا أُوتَى بِرَجُلٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي)».

وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، . . . .

نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ»[١].

وهذا بالنِّسبة إلى الخيريَّة، وأمَّا بالنِّسبة إلى الخلافة فشيءٌ آخر.

(**وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ**) وهم لا يجتمعون على تقديم أحدهما إلَّا أنَّه أفضل.

وهذه المسألة يقال لها: «مسألة التَّفضيل»[٢]؛ فإنَّ أهل السُّنَّة يُقَدِّمون أبا بكرٍ، ثمَّ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والنُّصوص يستفاد منها: أنَّ عثمانَ بعد خلافة أبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

بعض أهل السُّنَّة اختلفوا في عثمان وعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أيُّهما أفضلُ ثمَّ اسْتقرَّ أمرُهم على تقديم عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(**مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ**) والجماعة (**كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**) في وقتٍ من الأوقات (**- بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا**) أي: عليٌّ وعثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (**أَفْضَلُ،**

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب فَضْلِ أبي بكرٍ بعد النَّبيِّ ﷺ، رقم (٣٦٥٥)، ولفظه: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم».

(٢) شرح النَّووي على مسلم (١٥/ ١٤٨).

فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيّاً، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -: لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا[١]).

س: ما معنى (سَكَتُوا)؟

ج: ما أدري. اهـ.

(وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيّاً، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ) وزال الاختلاف، ورجع الأمر إلى نصابه.

مسألة التَّفضيل بين عُثمانَ وعليٍّ رضي الله عنهما لا يُضَلَّل فيها المُخالِف

(وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ) التَّفضيل بين **(عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -: لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ)** والجماعة؛ لأنَّها مسألة تفضيل، والتَّفضيل أمرُه أسهلُ من غيره.

---

(١) هكذا في النُّسخة التي قُرِئَت على سماحته، وفي نُسَخ أخرى: «فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ» بزيادة: «أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ» وبها يَزولُ الإشكال. العقيدة الواسطيَّة - ضمن متون طالب العلم -، نسخة الحواشي بتحقيقنا (ص٥٣٦).

لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

التي يُضَلَّل فيها مسألة الخلافة

(لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الخِلَافَةِ) إنَّما الذي يُضَلَّل فيها مسألة «الخلافة»، فمسألة «الخلافة» هي التي فيها من القَدْح في الصَّحابة والوقيعة وتكفير بعضهم؛ بل القَدْح في الأُمَّة ما لا يخفى، والظَّاهر: أنَّها لا تَصِل إلى الكفر، لكن مِنْ أقربها من الكفر إذا قال: ارتدُّوا.

ترتيب الخلفاء بعد رسول الله ﷺ

(وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ) أهل السُّنَّة يقطعون **(أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ)** يعني: فَرْقٌ بين مسألة «الخلافة» و«التَّفضيل»:

فأمَّا مسألة «الخلافة» ما جَرَى فيها خِلافٌ يُذكَر.

وأمَّا مسألة «التَّفضيل» فجرَى - كما تقدَّم - ثمَّ زال.

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لا خلاف في خِلافَتِهما وفَضلِهما على سائر الصَّحابة

أمَّا أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما: فلا خلاف في خلافتِهما، وفضلِهما على سائر الصَّحابة ومَنْ بعدهم أبداً، ولكن بعض أهل العلم قال بالنَّصِّ، وبعضهم قال بإجماعهم عليهما، وكذلك خلافة

. . . .

عثمانَ رضي الله عنه[١].

استقرَّ تفضيل عثمان على عليٍّ رضي الله عنهما

أمَّا فضيلة عثمانَ على عليٍّ رضي الله عنهما: فجَرَى فيها خلافٌ وزال، ولكن استقرَّ هذا - وهو تفضيله -.

---

(١) الإمامة والرَّدُّ على الرَّافضة (ص٢٩٩)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ٤٧)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦/ ١٥٤)، (٨/ ٣٣٩)، شرح الطَّحاوية لابن أبي العِزِّ الحنفي (ص٤٨١).

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: ....

أهل السُّنَّة يُحِبُّون أهلَ بيت رسول اللَّه ﷺ ويَتَوَلَّوْنَهم ويحفظون فيهم وصيَّة رسول اللَّه ﷺ

(وَ) أهل السُّنَّة والجماعة (يُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) يعني: قرابته، وهم: بنو هاشم، يجب أن يُحَبُّوا زيادةً على غيرهم؛ لأنَّهم قرابةُ أفضل الخَلْقِ.

(وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ) التَّولِّي: المَحبَّة والتَّرضِّي والذَّبُّ[1] عنهم ونحو ذلك[2].

يعني: يُحِبُّونهم، ويَذُبُّون عنهم، ويَنصرُونَهُم عندما يحتاجون إلى ذلك، ويَحمونهم عندما يحتاجون إلى حماية، ويعرفون لهم فضائلهم ومناقبهم رضي الله عنهم؛ بل أهل السُّنَّة والجماعة يتولَّوْنهم زيادةً على ما يَتولَّوْن به سائر المؤمنين، فإنَّهم يَرَوْن أنَّ المُسلمَ يُذَبُّ عنه، ويُنصَر، ويُحَبُّ؛ فهم اشتركوا معهم في ذلك، واختصُّوا بقُرْبِ رسولِ اللَّه ﷺ.

وَصَّى النَّبيُّ ﷺ بأهل بيته بعدَّة أمور

(وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ) وهو: موضعٌ معروفٌ بين مكَّة والمدينة[3]، في منزلٍ نَزَلَه

---

(١) الذَّبُّ: المنع والدَّفع. الصِّحاح (١/١٢٦).
(٢) لسان العرب (١٥/٤٠٨).
(٣) غدير خُمٍّ: الغدير: القطعة من الماء يغادرها السَّيْل. الصِّحاح (٢/٧٦٦)، لسان العرب (٥/٩).

=

«أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

في رجوعه مِنْ حَجَّة الوداع - لَمَّا رجع مِنْ مكَّة -، خَطَبَهُم فيه خطبة شهيرة قبل موته بشهرين: («أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[(١)])

الأمر الأوَّل: التَّذكير بحقِّهم ومكانتهم مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ

يعني: أنْ تعرفوا لهم حقَّهم وحُرْمَتهم، ومكانتهم من رسولِ اللَّه ﷺ، ولا تحرموهم؛ قاله مزيد حثٍّ وتذكيرٍ لهم على أنَّه يُراعى لهم حقيقةً.

وهذا خلافاً للنَّواصب الذين نَصَبُوا لهم العداوة، وهذا حيث كان في خلافة بني أُميَّة؛ جَفَوْا أهل البيت، والمُنْصِف يُعطِي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

المسلمون مِنْ آل بيت رسول اللَّه ﷺ يُحَبُّون لأمرين

فدلَّ على أنَّ أهلَ بيت رسولِ اللَّه ﷺ يُحَبُّون لأمرين:

أحدهما: إسلامهم.

والثَّاني: لقُرْبِهم من المصطفى ﷺ.

الكافر مِنْ آل البيت يتغلَّظ كفره

والمراد: المسلمون المُوحِّدون الذين هم على سنَّته ﷺ، أمَّا مَنْ كان من الكفَّار فلا؛ فإنَّ أبا لَهَب عمُّ النَّبيِّ ﷺ، وهو أبعد

= وخُمٌّ: موضعٌ بين مكَّة والمدينة، شمالَ شرقِ الجحفة، يبعد عنها ثمانية (٨) كيلومترات، وكان في «خُمٍّ» عَينٌ تَصبُّ فيه، حوله شجر كثير ملتفٌّ، وهو الذي يُسمَّى: «خُمّاً». معجم ما استعجم (٢/ ٣٦٨)، معجم البلدان (٢/ ٣٨٩)، مراصد الاطِّلاع (١/ ٣١٥)، المعالم الأثيرة (ص١٠٩).

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة ﷺ، بابٌ من فضائل عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٨)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وَقَالَ أَيْضاً لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَقَدِ اشتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ -: «وَالَّذِي . . . .

النَّاس عنه، وأسوؤهم كفراً، وقُرْبُه من النَّبيِّ ﷺ يدعوه أنْ يكون أسرعَ النَّاس إجابةً له ﷺ، والذين يَكفرون من ذرِّيَّة عبد المُطَّلب يتغلَّظ كفرُهم، ألَا ترى قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾؟

وهذه الخُطبة ألَّف فيها الحافظ ابن جرير[(١)] مُجلَّدَيْن[(٢)]، لكن ما ذَكَر ورواه مُشتمِلٌ على أشياء لا تثبت، ويُعْرَف أنَّ عنده شيئاً من التَّشيُّع الذي لم يَصِل إلى البدعة[(٣)].

المقصود: أنَّ مِنْ جُمْلَة ما حُفِظ عنه ﷺ هذا الحديث.

الأمر الثَّاني: أنَّ مَحَبَّتهم من واجبات الإيمان

(وَقَالَ أَيْضاً لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ) يعني: يُقَصِّر في حَقِّهم، (فَقَالَ -: «وَالَّذِي

---

(١) هو: أبو جعفر مُحمَّد بن جرير بن يزيد الطَّبريُّ، ولد سنة (٢٢٤هـ)، إمام مجتهد، عالم العصر، جَمَع علوماً عديدة، وصَنَّف التَّصانيف الكبار؛ منها: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٣١٠هـ). إنباه الرواة (٣/ ٨٩)، سير أعلام النُّبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في البداية والنِّهاية (٧/ ٦٦٦): «وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر مُحمَّد بن جرير الطَّبريُّ - صاحب التَّفسير والتَّاريخ -، فجَمَع فيه مُجلَّدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وساق الغثَّ والسَّمين، والصَّحيح والسَّقيم، على ما جَرَت به عادة كثير من المُحدِّثين، يُورِدون ما وقع لهم في ذلك الباب من غير تمييزٍ بين صحيحه وضعيفه».

(٣) في مسألة تقديم عليٍّ على عثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لا ما عليه الرَّوافض مِنْ مُعتقداتِهم الباطلة.

نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي».

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشاً، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»[١])؛ فدَلَّ على أنَّه واجبٌ مِنْ واجبات الإيمان مَحبَّةُ قرابة النَّبيِّ ﷺ في اللَّه؛ لكونهم مسلمين، وواجبٌ مَحبَّتُهم مِنْ جهةٍ أخرى، وهي: قرابتهم مِنَ النَّبيِّ ﷺ، وهي أخصُّ.

الأمر الثَّالث: أنَّ آلَ بيت رسول اللَّه ﷺ هم صفوة النَّاس

(وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى) أصلها: اصتفى، مِنْ صفا الشَّيء: اختاره؛ وصفوة الشَّيء: خيرته[٢]، يعني: اتَّخَذ من العرب من ذرِّيَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: (بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشاً، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[٣]) ولهذا عرفنا أنَّ بني هاشم - أهلَ بيت رسول اللَّه ﷺ - صَفوةٌ، مِنْ صَفوةٍ، مِنْ صَفوةٍ، مِنْ صَفوةٍ، فبنو إسماعيل صَفوةٌ، كما أنَّ كِنانة صفوةُ بني

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٤٠).

(٢) لسان العرب (١٤/ ٤٦٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فَضْلِ نَسَبِ النَّبيِّ ﷺ، وتسليم الحَجَر عليه قبل النُّبوَّة، رقم (٢٢٧٦)، من حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

. . . .

إسماعيل، وقريشاً صفوةُ كِنانة، وبني هاشم صفوةُ قريش؛ وصفوة الشَّيء: خَالِصُه.

فنبيُّنا ﷺ خِيارٌ، مِنْ خِيارٍ، مِنْ خِيارٍ، مِنْ خِيارٍ، مِنْ خِيارٍ - صَفوةٌ، مِنْ صَفوةٍ، مِنْ صَفوةٍ، مِنْ صَفوةٍ، مِنْ صَفوةٍ -.

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ -، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ.

أهل السُّنَّة يَتولَّوْن أزواج رسول اللّه ﷺ

(وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) كما يَتولَّوْن أهل بيت رسول اللّه ﷺ[١]، خلافاً للنَّواصب.

والتَّولِّي - كما تقدَّم -: التَّرضِّي عنهنَّ، ومَحبَّتهنَّ، والذَّبُّ عنهنَّ، ومراعاة حقِّهنَّ، والنَّصر عندما يُحتاج لذلك، ونَشْرُ الجميل، وتبرئتهنَّ - فُرُشُ المصطفى ﷺ خيرِ الخَلْقِ وأطهرِ الخَلْقِ ﷺ -.

والأزواج: جَمْع زوج، والأفصح: زوج بدون تاء.

المراد بزوجات النَّبيِّ ﷺ

والمراد: اللَّاتي تُوفِّي وهنَّ في عصمته، أو تُوفِّين وهنَّ في عصمته، بخلاف مَنْ فَارَقْنَه في حياته ﷺ.

المراد بكونهنَّ أُمَّهات المؤمنين

(أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ) والمراد: في الحُرْمَة، وعدم التَّزوُّج بهنَّ بعده فقط - ليس المرادُ: كشفَهنَّ الوجهَ للنَّاس، أو إذا أرضعت -؛ فإنَّه ﷺ أبوهم الأكبر الذي على يديه تربيتهم بغذاء القلوب، وفي قراءةٍ: «وَهُوَ أَبُوهُمْ»[٢].

ويؤمنون بأنَّهنَّ أزواجُه في الآخرة

(وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ) رضي اللّه عنهنَّ **(أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ)**.

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأزواجُه مِنْ أهلِ بيته».

(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم (٦)، وهي قراءة أُبَيِّ بن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الدُّرُّ المنثور (٤/ ٤٥٧).

خُصُوصاً خَدِيجَةَ رضي الله عنها أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنها الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

ويَخُصُّون بالتَّولِّي خديجة وعائشة رضي الله عنهما

(خُصُوصاً) نخُصُّ منهنَّ اثنتين؛ هما أفضل النِّساء على الإطلاق: (خَدِيجَةَ) بنتَ خويلد (رضي الله عنها) فلها من المَزِيَّة ما لا يخفى، (أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ) أمَّ فاطمة رضي الله عنها، (وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ) أي: دينه، فهي أوَّل امرأة آمنت به، وهي التي جاء إليها لمَّا جاءه المَلَك وقال: «زَمِّلُونِي»، وأخبرها بما أتاه - والقصَّة معروفة[1] -؛ (وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ).

(وَالصِّدِّيقَةَ) عائشة (بِنْتَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنها) يعني: وخصوصاً أيضاً الصِّدِّيقَة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنهما، يعني: عظيمة التَّصديق، فأبوها الصِّدِّيق الأكبر، وهي صِدِّيقة النِّساء التي لها المزايا الخاصَّة؛ مِنْ نزول الآيات في حقِّها، والعلم، وباتِّفاقٍ أنَّها أعلَم نساء الصَّحابة[2]، (الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[3]) والثَّريد هو:

---

(١) رواها البخاريُّ، بَدْء الوحي، كيف كان بَدْء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ، رقم (٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بَدْء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ، رقم (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: «هي أعلمُ النِّساءِ على الإطلاق» البداية والنِّهاية (١١/ ٣٣٨).

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب فَضْلِ عائشة رضي الله عنها، رقم (٣٧٧٠)، =

. . . .

الخبز مع اللَّحم(١).

فأهل السُّنَّة والجماعة يَتَوَلَّوْن جميع أزواج النَّبيِّ ﷺ وبالأخصِّ هاتين؛ لكونهما أَخصَّ أزواج النَّبيِّ ﷺ.

أيُّهما أفضل خديجة أم عائشة رضي الله عنهما؟

واختلفوا أيُّهما أفضل عائشة أو خديجة رضي الله عنهما(٢)؟

استدلَّ قومٌ على فضل خديجة رضي الله عنها بما ذُكِر.

وقومٌ قالوا: عائشة رضي الله عنها أفضل بالحديث(٣).

الصَّواب: خديجة رضي الله عنها أفضل في أشياء وعائشة رضي الله عنها أفضل في أشياء

والتَّحقيقُ - كما ذكره المُصنِّف في غير هذه العقيدة المختصرة(٤) -: أنَّ عائشةَ رضي الله عنها أفضل من خديجة في الأشياء التي امتازت بها، وخديجة رضي الله عنها أفضل في الأشياء التي امتازت بها، فالصِّدِّيقة أُعْطِيَت مِنْ مِنَّة التَّصديق شيئاً كثيراً ما ليس لغيرها، وابنة الصِّدِّيق - والصِّدِّيق: كثير التَّصديق -، وفيها آيات تُتلَى في المساجد، فهي بها أفضل، ومن جهة كون خديجة أُمَّ أكثر أولاده، فيقال: هذه أفضل مِنْ وَجهٍ، وهذا ينبغي سلوكه في مسائل التَّفضيل.

= ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب في فَضْلِ عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٤٤٦)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١) النِّهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٠٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٧)، (٧/ ١٠٩).

(٣) المُتَقَدِّم.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٣٩٣).

. . . .

وهذا له نظائر يفاضل بينها ويحتجُّ كلُّ طرفٍ بحُجج، فيقال: هذا أفضل بشيءٍ ليس في غيره، فإذا كان هنا حُججٌ تقتضي التَّفضيل فيقال: هذا أفضل بما أثبتته حُججه؛ وبهذا تجتمع النُّصوص.

مسألة التَّفضيل لا يُضَلَّل المُخالِف فيها

ومسألة التَّفضيل أمرها سهل، فلا يُضَلَّل فيها كما تقدَّم(١).

مسائل الخِلَاف في الفَضْل وعدمه كثيراً ما يدخلها الهوى

ومسائل الخلاف في الفَضْلِ وعدمه كثيراً ما يدخلها الهوى النَّفسانيُّ، وبعضها قد لا يدخلها الهوى، وكونها مسألة هوى لا يُوَسَّع البحث فيها؛ مخافة أنْ يدخل في تأييد هواه.

معنى حديث: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ»

وحديث: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ»(٢): النَّهي في قوله: «لَا

---

(١) (ص٤٥٢).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الخصومات، باب ما يُذكَر في الإشْخَاص والخُصومَة بين المسلم واليهود، رقم (٢٤١٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدريِّ ﵁، ولفظه: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ، ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: مَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: ادْعُوهُ، فَقَالَ: أَضَرَبْتَهُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، قُلْتُ: أَيْ خَبِيثُ، عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؟! فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى».

. . . .

تُخَيِّرُوا» إذا كان التَّخيير على وجه التَّعصُّب، مثل ما فعل الأنصاريُّ واليهوديُّ، أو أنَّه قاله على وجه التَّواضع.

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

أهل السُّنَّة يتبرَّؤون مِنْ طريقة الرَّافضة الذين يُبغِضون الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ويسبُّونهم

(وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ)، من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: التَّبرُّؤ من طريقة الرَّوافض الذين يُبغِضون الصَّحابة، فإنَّ قُلوبَهُم مُفْعَمَةٌ من البُغْضِ لأصحابه، وألسنَتَهُم مُتلوِّثةٌ بالسَّبِّ في أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ولا يُقِرُّون لهم بقولٍ ولا عَمَلٍ[1].

وأهل السُّنَّة يُحِبُّونهم ويَتَرضَّوْن عنهم.

أصل مذهب الرَّافضة تكفير الصَّحابة لكن ضمُّوا إليه الشِّرك والاعتزال

الرَّافضة مَسْلَكُهم في الصَّحابة أخْبَث مَسْلَكٍ، يُكَفِّرون الصَّحابة إلَّا نَفَراً قليلاً، وتكفيرهم الصَّحابة هو أصلُ مذهبِهم، لكن ضَمُّوا إليه الشِّرك والاعتزال.

أهل السُّنَّة يتبرَّؤون من طريقة النَّواصب الذين يُؤذون أهل البيت

(وَ) يتبرَّؤون من (طَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ) يَنصِبون العداوة لأهل بيت رسول اللَّه ﷺ، و(يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ) فَهُمْ في مقابلة الرَّوافض في الغُلُوِّ في أهل البيت؛ جَفَوْا أهل البيت وأبغضوهم.

الحامل على النَّصب: الشَّهوة، وعلى الرَّفْض: الشُّبهة

وأصل النَّصْب ناشئٌ عن المنازعة في مُلْكٍ من مُلْكِ مصر –

---

(١) فاضل.

. . . .

في مُلْكِ بني أميَّة ومَنْ يُواليهم -، فينصبون لأهل البيت العداوة للأغراض الشَّخصيَّة - للمَيْل إلى رؤساء بني أُميَّة -، ويمكن أنْ يوجد إخوان النَّواصب، فمَنْ كان كذلك فهو نَاصبيٌّ مبتدعٌ ضَالٌّ.

فالحامل على النَّصب: الشَّهوة.

والرَّفْض أعظم منه، والحامل عليه: الشُّبهة، والشُّبهة أعظمُ من الشَّهوة.

والخَوَارِج: لا يَقتَصِرُون على عداوة أهل البيت؛ بل عموماً، والذي باشرهم هو عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فهم يُعَادُونه ويُكَفِّرونه ومَنْ معه من الصَّحابة، يقولون: إنَّك حكَّمت الرِّجال وكَفَرتَ؛ فالخَوَارِجِ والنَّواصب: متَّفِقون في مزيد العداوة لأهل البيت.

الطَّوائف في أهل البيت

فالنَّواصب والرَّوافض في أهل البيت في طَرَفي نقيض:

الرَّوافض: يَغْلون في أهل البيت، ويُكَفِّرون باقي الصَّحابة.

والنَّواصب: يَجْفون.

وأهل السُّنَّة: وَسَطٌ بين غُلُوِّ هؤلاء، وبين جَفْوِ أولئك، ورَأَوْا أنَّ لهم مَزِيَّةً لقربهم من النَّبيِّ ﷺ، كما قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»[١]، ويترضَّون

(١) سبق تخريجه (ص٣٤٠).

. . . .

عنهم جميعاً، ويعرفون لأهل البيت قَدْرهم - القَدْرَ الشَّرعيَّ -، مِنْ غير غُلُوٍّ وإفراطٍ، ومِنْ غير تفريطٍ وتقصيرٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: «إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِّصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، . . . .

مِنْ أصول أهل السُّنَّة: الكَفُّ عمَّا شَجَرَ بين الصَّحابة رضي الله عنهم

(وَيُمْسِكُونَ) يَكُفُّون **(عَمَّا شَجَرَ)** وقع **(بَيْنَ الصَّحَابَةِ)** من النِّزاع بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما - من الحروب بينهما -.

هذا مِنْ أصول أهل السُّنَّة: الإمساكُ والكَفُّ عمَّا شَجَر بين الصَّحابة رضي الله عنهم في الحروب والوقائع، وعدم الخَوْضِ فيها، وعدم الكلام، وتُتْرَك إذا جاء الخَوْضُ، فلا يكونون في هذا الجانب ولا في هذا الجانب؛ لأنَّ تلك الأمور اجتهاديَّة، وهم على قسمين: مُجتهدٍ مُصيبٍ، ومُجتهدٍ مريدٍ للحقِّ مُخطئٍ؛ فَاتَه أجر الإصابة، وصار له أجر الاجتهاد، مع العلم والقول: أنَّ أَوْلَى الطَّائفتَيْن عليٌّ رضي الله عنه ومَنْ معه.

الآثار المَرْويَّة في مساوئ الصَّحابة رضي الله عنهم ثلاثة أقسام

(وَيَقُولُونَ) ما يأتي بيانه:

(«إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ) الكثيرة **(فِي مَسَاوِيهِمْ)** في عيوبهم:

- **(مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ)** مِنْ أصلِه، ولا أصل له بحال أبداً.

- **(وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِّصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ)** أي: ومنها ما له أصلٌ لكن ما بَقِيَ على أصله؛ بل غُيِّر.

وَالصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ؛ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ».

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ: لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.

ما صَحَّ من الآثار خاصٌّ بأفرادهم وهم فيه معذُورُون لاجتهادهم

- (**وَالصَّحِيحُ مِنْهُ**) أي: الذي يَثبُت منه وهو الأقلُّ: (**هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ**)، وهذا خاصٌّ بالأفراد - أمَّا العموم فلا يجتمعون على ضلالة -.

اجتهادهم مُتردِّدٌ بين أنْ يَكونَ لهم أجران أو أَجرٌ

(**إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ**) فيكون لهم أجران رضي الله عنهم؛ أجرُ الحِرْصِ على العلم والعمل به، والاجتهاد.

(**وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ»**) والخطأ مغفور لهم.

فاجتهاداتهم مُتَرَدِّدة بين أنْ تكون لهم أجران أو أجرٌ، مثل الحاكم إذا اجتهد فأصاب له أجران، وإنِ اجتهد وأخطأ فله أجرٌ واحدٌ.

أفراد الصَّحابة رضي الله عنهم ليسوا معصومين عن كبائر الإثم وصَغائرِه

(**وَهُمْ**) أي: أهل السُّنَّة والجماعة (**مَعَ ذَلِكَ: لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ**) كلَّ فردٍ منهم (**مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ**) تجوزُ عقلاً وغير مستحيلة، فهذا من التَّجويز الوقوعيِّ، لا أنَّه يجوزُ لهم في الأحكام، تجوزُ عليهم - لا تجوزُ لهم - (**الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ**) فالذُّنوبُ مُتَصوَّرةٌ من

وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ، وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

أحدهم، إنَّما العِصْمَة لجميعهم أنْ يكونوا مجتمعين على ضلالة.

للصَّحابة رضي الله عنهم عدَّة أمور من الفضائل تُوجِب مغفرة ما يَصدُر منهم إنْ صَدَر

(وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ) إلى الإسلام وقوَّة الإيمان واليقين والجهاد (وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ).

الأمر الأوَّل: لهم من الحسنات التي تمحو السَّيِّئات ما ليس لمَنْ بعدهم

الأمر الثَّاني: أنَّهم خير القُرُون

(وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ) كما في حديث عمران وابن مسعودٍ رضي الله عنهما: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي...» الحديثَ[1]، و«خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي...» الحديثَ[2].

الأمر الثَّالث: أنَّهم أكملُ النَّاس إيماناً وإخلاصاً

(وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ) من البُرِّ ونحوه (إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ، كَانَ) خيراً و(أَفْضَلَ) عند اللَّه (مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً مِمَّنْ بَعْدَهُمْ)، فهذه

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٨).
(٢) سبق تخريجه (ص٣٢٨).

. . . .

فضيلةٌ ومَنْقبةٌ لهم؛ بل قال ذلك النَّبيُّ ﷺ لبعض الصَّحابة السَّابق منهم[1]؛ فقد ثَبَتَ بقولِ رسولِ اللَّه ﷺ - مُخاطباً خالداً رضي الله عنه ومَنْ معه، وكان منهم -: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ»[2]؛ فإذا صار متأخِّر الصَّحابة إذا أنفقَ مِثلَ جَبلِ أُحدٍ ما بَلَغ مِثلَ مُدِّ مَنْ تقدَّمه من الصَّحابة، فكيف بمَنْ بعد الصَّحابة، ومَنْ بعدهم فمَنْ بعدهم؟! فهذا بَوْنٌ[3] بعيدٌ وتَفاوتٌ عَظيمٌ.

وهذا يُبيِّن لك أنَّ الأعمالَ لا تتفاوت وتتفاضل إلَّا بتفاضل ما في القلوب، وصدور العمل مُعتمِدٌ على النِّيَّة والإخلاص وسماح النَّفْس، فالصَّحابة أكملُ النَّاس إيماناً وإخلاصاً وعلماً.

الأمر الرَّابع: منزلة الصُّحبة التي امتازوا بها عن غيرهم

وأيضاً: صُحبتُهم الرَّسولَ ﷺ التي امتازوا بها عن غيرهم - فقاتل اللَّه الرَّوافض -.

---

(١) وهو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.
(٢) سبق تخريجه (ص٤٣٤).
(٣) أي: بُعْدٌ. لسان العرب (١٣/ ٦٨).

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ،

إذا قُدِّر أنَّ أحداً منهم صَدَر منه ذنب فإنَّه بعُرْضَة خمسة أسباب لمغفرة ذنبه

(ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ) تقدَّم لك أنَّ الفردَ منهم غير معصوم، إذا قَدَّرنا أنَّ واحداً منهم قد صَدَر منه ذنبٌ وثبت - وهو غير معصوم - فهو بعُرْضَة أمور:

السَّبب الأوَّل: أنْ يكون تاب منه

الأوَّل: التَّوبة، **(فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ)** والتَّوبة تَجُبُّ[1] ما قبلها، فهم أسرع النَّاس إلى المبادرة بالتَّوبة والإقلاع عمَّا صار منهم؛ بل هذا ممكن قريب وهو الأحرى بهم ﷺ؛ لأنَّهم أعرف النَّاس باللَّه، ثمَّ الشَّخص قد يكون بعد الذَّنب والتَّوبة أكمل منه قبله.

السَّبب الثَّاني: أنْ يكون أتى بحسناتٍ تَمْحُوه

الثَّاني: **(أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ)** كثرة الأعمال ورجحانها على السَّيِّئات، فـ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، وفي الحديث: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»[2].

السَّبب الثَّالث: أنْ يُغفَر له بفَضْلِ سَابِقَتِه

الثَّالث: **(أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ)** وجِهادِه مع النَّبيِّ ﷺ كما في قصَّة أهل بَدرٍ[3]، فإنَّ صَاحبَ السَّابقة يُغفَر له ما لا يُغفر لغيره، فإنَّها شيءٌ كبيرٌ من الفَضْلِ؛ ولهذا نَوَّه اللَّه عن أهل السَّبق

(١) أي: تمحو. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٣٤).
(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٢١٣٥٤)، من حديث أبي ذَرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه.
(٣) سبق تخريجها (ص٤٤٠).

أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ -، أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا . . . .

في كتابه، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

السَّبب الرَّابع: أنْ يُغفَر له بشفاعة النَّبيِّ ﷺ له

الرَّابع: **(أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ)** فإنَّ شفاعتَه هي دعوته للعُصَاة مِنْ أُمَّته، **(الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ)** أَوْلى النَّاس بها أصحابُه؛ لامتيازهم على الأُمَّة؛ فإنَّه ﷺ أخبر أنَّ شفاعته نَائِلةٌ العُصَاة من أُمَّته، كما في الحديث: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً»[١]، فأَوْلَى النَّاس بهذه الشَّفاعة من العُصَاة: الصَّحابة، وَلِمَ لا يكونون أَوْلَى وهم خيرُ القرون؟!

السَّبب الخامس: أنْ يُكفَّر عنه ببلاء ابتُلِي به في الدُّنيا

الخامس: **(أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا)** مِنْ مصائبَ ببَدَنه أو أهلِه أو مَالِه، فإنَّهم ليسوا أهل تَرَافات[٢]؛ بل هم أحرى بالمصائب المُنْكِبات[٣]، كما في الحديث: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً

(١) سبق تخريجه (ص٣٨٨).
(٢) أي: ترف، والتَّرَف: التَّنعُّم. مقاييس اللُّغة (١/ ٣٤٥).
(٣) أي: الشَّديدة. الصِّحاح (١/ ٢٢٨).

كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ»[١]، **(كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ)** فإنَّ المصائبَ ليست حسنات؛ بل مُكَفِّرات للذُّنوب مُطَهِّرات؛ وهي نوعُ امتحان، ولكنَّها غالباً تُسَبِّب إمَّا عملاً صالحاً وهو الصَّبر، أو سوءاً وهو الجَزَع.

المُصنِّف ذكر في «منهاج السُّنَّة» عشرةَ أسباب في تكفير الذُّنوب

فهذه خمسة أسباب لمغفرة الذَّنب؛ إذا صَدَر عن أحدٍ من الصَّحابة فهو بعُرْضَة خمسة أشياء، والمُصنِّف ذكر في بعض مؤلَّفاته كـ«منهاج السُّنَّة» عشرةَ أسباب في تكفير الذُّنوب[٢].

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (١٤٨١)، من حديث سعد بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه.

(٢) وهي:

١ - التَّوبة.

٢ - الاستغفار.

٣ - الأعمال الصَّالحة.

٤ - دعاء المؤمنين لهم.

٥ - شفاعة النَّبيِّ ﷺ يوم القيامة، فإنَّهم أخصُّ النَّاس بدعائه وشفاعته.

٦ - ما يُفعَل له بعد الموت مِنْ عَملٍ صَالح؛ كالصَّدقة عنه والحجِّ عنه.

٧ - المصائب الدُّنيويَّة التي يُكَفِّر اللَّه بها الخطايا.

٨ - ما يُبتلَى به المؤمن في قبره من الضَّغطة، وفتنة المَلَكَيْن.

٩ - ما يَحصُل له في الآخرة من كَرْبِ أهوال يوم القيامة.

١٠ - أنَّ المؤمنين إذا عبروا الصِّراط وُقِفُوا على قَنْطَرةٍ بين الجَنَّة والنَّار، فيُقتَصُّ لبعضهم من بعضٍ، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجَنَّة.

قال شيخ الإسلام: «فهذه الأسباب لا تفوت كلُّها من المؤمنين إلَّا القليل، فكيف بالصَّحابة رضوان اللَّه عليهم الذين هم خير قرون الأُمَّة؟!» منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦/ ٢٠٥-٢٣٨).

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ، فَكَيْفَ بِالأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ؛ إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ لَهُمْ؟!

ثُمَّ إِنَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ، مَغْمُورٌ ....

ما ذُكِر مِنْ مساوئهم: إنْ كانت ذنوباً فهي مُكَفَّرةٌ وإنْ كانت باجتهاد فلهم أجرٌ

(فَإِذَا كَانَ هَذَا) يعني: الأسباب العشرة التي ذكر منها هنا خمسة (فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ) أنَّها بعُرْضَة هذه الأسباب، (فَكَيْفَ بِالأُمُورِ) التي ليست مُحقَّقةً؛ بل اجتهاداً، وليست ذنوباً مَحْضَةً (الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ) في الحِرْصِ على الصَّواب وتَحَرِّيه؟!

(إِنْ أَصَابُوا) في الحصول على الخير والعمل به (فَلَهُمْ أَجْرَانِ) أجرُ الاجتهاد، وأجرُ الإصابة.

(وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ)، إنْ فَاتَهُم أجرُ الإصابة ما فَاتَهُم أجرُ الاجتهاد والحِرْصِ على الخير، (وَالخَطَأُ) يعني: الذي خلاف الاجتهاد وما إلى ذلك، (مَغْفُورٌ لَهُمْ؟!) يعني: فبطريق الأَوْلَى أنْ تكون مغفورةً.

القَدْر الذي يُنكَر مِنْ فِعل بعضهم: قَليلٌ نَزْرٌ مَغمورٌ في جَنْب فضائلهم

(ثُمَّ إِنَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ) إذا ثَبَتَ عن أحدٍ منهم فهو (قَلِيلٌ نَزْرٌ، مَغْمُورٌ) كالقطرة من النَّجاسة في الماء المستبحِرِ(١)،

(١) أي: الماء الكثير جدّاً كالبحر.

فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ،

بقَدْرِ ما تُباشِر الماء تزول ولا يبقى لها عينٌ ولا أثرٌ **(فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ)**؛ بل في جَنْبِ واحدةٍ مِنْ هذه الفضائل، **(مِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ)** (مِنْ) لبيان الجنس؛ في جنس ما مَنَّ اللَّه به عليهم، ومَيَّزهم به، وتفضَّل به عليهم، إذا نَسَبْتَ هذا إلى هذا[1]؛ فلا نسبة؛ كميَّةً ولا كيفيَّةً.

مِنْ فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم

(وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ) يعني: الصَّحابة **(بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ)**، مَنْ عَرَفَ ذلك في سيرتهم، **(وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ)** مِنْ صريح الإيمان باللَّه ورسوله، وسَبْقِهِم إلى الخير والأعمال الصَّالحة؛ **(عَلِمَ)** عَرَفَ صِدْقَ ما جاء في الأحاديث **(يَقِيناً)**:

مَنْ نَظَر في سيرة الصَّحابة رضي الله عنهم تبيَّن له أمران

(أَنَّهُمْ خَيْرُ) وأفضلُ **(الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ)** كما تقدَّم: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي»، كما في حديث عمران وابن مسعودٍ رضي الله عنهما[2]،

الأمر الأوَّل: أنَّهم خير الخَلْقِ بعد الأنبياء

---

(١) أي: إذا نسبتَ ما يُنكَر مِن فعل بعضهم إلى فضائلهم ومحاسنهم العظيمة.

(٢) سبق تخريجهما (ص٣٢٨).

لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ.

(لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ) رضي الله عنهم.

الأمر الثَّاني: أنَّهم الصَّفوة مِنْ قرون هذه الأُمَّة

(وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ) يعني: الخيار **(مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ)** ومنه: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»[1].



---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٩).

فَصْلٌ

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ؛ . .

فَصْلٌ

مِنْ أصول أهل السُّنَّة: الإيمان بكرامات الأولياء

(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ) التي يُكرِم اللَّه بها أولياءَه، **(وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ)**.

تعريف الخارق

حقيقة الخارق هو: أنْ يُوجَد منه شيءٌ ليس من عادته ولا استطاعته؛ كالطَّيران في الهواء، أو حَمْل الأثقال، أو قَطْع المسافات الطَّويلَة - يَقْطَعَ في لحظةٍ ما جنسه يُقطَع في يوم -، أو نحو ذلك.

أقسام النَّاس في التَّصديق بكرامات الأولياء

وقد انقسم النَّاس في كرامات الأولياء إلى ثلاثة أقسام:

قسم: نَفَوْا كرامات الأولياء وأنكروها بالكُلِّيَّة، وهم المُعْتَزِلَة.

وقسم: أثبتوها وغَلَوْا في إثباتها، حتَّى جعلوا مَنْ صَدَرت

. . . .

منه فهو وليٌّ للَّه، وأنَّها من الدَّلالة على أنَّه يَصلُح للعبادة، وهم القبوريُّون.

وقسم: تَوَسَّطوا، وهم أهل السُّنَّة والجماعة؛ فأثبتوا كرامات الأولياء، وتثبَّتوا فيمَنْ صَدَرت منه.

وهذا هو الصَّواب؛ إثبات جِنْسِها، وأنَّ مَنْ جَرَت على يده يُوزَن بالكتاب والسُّنَّة:

- فإنْ كان من أهل الاستقامة فهي كرامةٌ وولايةٌ وعلامة، ولا تَدلُّ على أنَّه يَصلُح للعبادة.

- وإنْ كان بخلاف ذلك فهي من الأمور الشَّيطانيَّة.

سبب إنكار المُعْتَزِلَة كرامات الأولياء والرَّدُّ عليهم

والذي حَدَا[(١)] المُعْتَزِلَة على إنكار الكرامات أنَّهم يقولون: «إنَّ تعريفَ النَّبيِّ هو: مَنْ صَدَرَ عَنْ يَدِه خارِقٌ»، قالوا: «فإذا قلنا: إنَّ لهم كرامات الْتَبَس الوَلِيُّ بالنَّبيِّ، فلم يَتمَيَّز هذا من هذا»، فأنكروا الكرامات لذلك.

ونقول: هذا من تعريف النَّبيِّ، كرامةٌ لكن مع شيءٍ آخر؛ وهو إنزال الوحي عليه.

فأهل السُّنَّة أثبتوها، وصدَّقوا بأن من جرى لهم ذلك فهو

(١) حَدَا: سَاقَ. الصِّحاح (٦/ ٢٣١٠).

كَالمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ. . . . .

الكرامة لا تدلُّ على الأفضليَّة

كرامة، وقالوا: مَنْ صَدَرت منه فليس له مَزِيَّةٌ على غيره وفضيلة؛ إنَّما تدلُّ على فضله، لا على أَفضليَّته على غيره، فليست الكرامة هي الميزان في عُلُوِّ الدَّرجة في الوَلَايَة، وأنَّ مَنْ ظهرت له كرامةٌ أفضل ممَّن لم تظهر له كرامة؛ بل ممَّن ليس له كَرَامَةٌ أفضل بكثير ممَّن له كَرَامَة؛ بل هي من نوع الحَظِّ والبَخْت[1] يُعطِيها اللَّه مَن يشاء.

الكرامة ابتلاء وامتحان

ثم هي ابتلاء وامتحان، فهي كالنِّعمة؛ من النَّاس مَنْ تكون له خيراً، تزيده ولا تنقصه، وتحمله على فعل الطَّاعات؛ وقد تكون فتنةً وشرّاً وتنقصه في دينه؛ وقد لا تزيده ولا تنقصه، فإنْ زادت صاحبها صارت نعمة، وإنْ كانت أوقفت شيئاً من سَيْرِه نَقَصَتْه؛ فهي نعمةٌ مِنْ جانب، وابتلاءٌ مِنْ جانب، كما قال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

أمثلة للكرامات مِنْ سَالِفِ الأُمَمِ وهذه الأُمَّة

(كَالمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ) كقصَّة أصحاب الكهف (فِي سُورَةِ الكَهْفِ) لَمَّا فارقوا قومهم في ذات اللَّه، وأَوَوْا إلى الغار ثلاث مئة وتسع سنوات، لا يأكلون هذه المُدَّة الطَّويلة.

المقصود: أنَّ جنس هذا من كرامات الأولياء؛ كونهم بَقُوا هذه المُدَّة بلا طعامٍ ولا شرابٍ.

---

(١) البَخْت بمعنى: الحظّ. المصباح المنير (١/ ٣٧).

وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ. . . . .

(وَغَيْرِهَا) كما جَرَى لابن مريم مِنْ إِبْرَاء الأَكْمَه والأَبْرَص(١).

(وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ) كقصَّة خالدٍ رضي الله عنه حين حَسَا السُّمَّ(٢)، وقصَّة الذين خاضوا البَحْرَ ولم يَغرَقُوا(٣).

---

(١) قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٢) وفيها: «وكتب لأهل الحِيرَة كتاب أَمَان، فكان الذي راوَضَه عليه عمرو بن عبد المَسيح بن بُقَيْلَةَ، ووَجَد خالدٌ معه كيساً، فقال: ما في هذا؟ - وفَتَحَه خَالدٌ فوَجَدَ فيه شيئاً -، فقال ابن بُقَيْلَةَ: هو سُمُّ سَاعَة، فقال: ولِمَ استَصحَبْتَهُ معك؟ فقال: حتَّى إذا رأيتُ مكروهاً في قومي أكلْتُه، فالمَوْتُ أحبُّ إليَّ مِنْ ذلك، فأخذَه خالدٌ في يَدِه وقال: إنَّه لَنْ تَموتَ نَفْسٌ حتَّى تأتي على أجَلِهَا، ثمَّ قال: بِسْمِ اللَّهِ خَيرِ الأَسْمَاء، ربِّ الأَرْضِ والسَّماءِ، الَّذِي لَيْس يَضُرُّ معَ اسْمِه دَاءٌ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيم. قال: وأَهْوَى إليه الأُمَرَاء؛ لِيَمْنَعُوهُ منه، فبَادَرَهُم فابْتَلَعَه، فلمَّا رَأَى ذَلِك ابنُ بُقَيْلَةَ قال: وَاللَّهِ يا مَعْشَر العَرَب، لَتَمْلِكُنَّ ما أَرَدْتُم ما دَامَ منكم أحدٌ، ثمَّ التَفَتَ إلى أهل الحِيرَة فقال: لَمْ أَرَ كاليَوْم أَوْضَح إقبالاً من هذا، ثمَّ دعاهُم وسألوا خالداً الصُّلْحَ، فصالَحَهُم وكَتَبَ لهم كتَاباً بالصُّلح» البداية والنهاية (٩/ ٥٢٢-٥٢٣).

(٣) وفيها: «جَهَّز عُمَرُ بن الخَطَّاب - يعني: جَيْشاً - واسْتَعْمَل عليه العلاء ابن الحَضْرَمِيِّ، قال - أي: الرَّاوِي، وهو: أنس بن مالك رضي الله عنه -: وكنتُ في غزاته، فأتينا مغازِيَنا، فوجدنا القومَ قد نَذَروا بنا فعفوا آثار الماء، قال: والحَرُّ شَديدٌ، فَجَهَدَنَا العَطشُ ودَوابَّنَا، وذَلِك يَوم الجُمُعَة، قال: فلمَّا مَالَتِ الشَّمسُ لِغُرُوبِهَا صلَّى بنا رَكْعَتَيْن، ثمَّ مدَّ يَدَه وما نَرَى في السَّماء شيئاً، قال: فواللَّهِ ما حَطَّ يَدَه حتَّى بَعَث اللَّهُ رِيحاً، وأَنْشَأ سَحَاباً، فأَفْرَغَت حتَّى مَلأَت الغُدُرَ والشِّعابَ، فشَرِبْنَا وسَقَيْنَا واسْتَقَيْنا، ثمَّ أَتَيْنا عَدوَّنا وقد جَاوَزُوا خليجاً في البَحْر إلى جزيرةٍ، فوَقَف على الخليج، وقال: يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ، يا حَليمُ يا كَريمُ، ثمَّ قال: أَجيزُوا باسْم اللَّه، قال: فَأَجَزْنا، ما يَبُلُّ الماءُ حَوَافِر دَوابِّنا، فأَصَبْنَا العَدوَّ غِيلَةً، فقتَلْنا، وأَسَرْنَا وَسَبَيْنَا، ثمَّ أَتيْنا الخَلِيج، فقال مِثْل مَقَالَتِه، فَأَجَزْنَا، ما يَبُلُّ المَاءُ حَوَافِر دَوَابِّنا» دلائل النُّبوَّة للبيهقيِّ (٦/ ٥٢).

وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ.

وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

الكرامات في التَّابعين أكثر من الصَّحابة وسبب ذلك

(وَالتَّابِعِينَ) أكثر من الصَّحابة، والسَّبب: أنَّ الصَّحابةَ أقلُّ حاجةً إليها؛ لأنَّها لتأييد الحقِّ وبيان فضله، وهم لا يحتاجون إليها.

الكرامة في سائر قرون الأُمَّة إلى يوم القيامة

(وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ) وهم على طبقتين: مُقَرَّبين، وأصحاب يمين، ولا تكون لهم دائماً في كلِّ وقت، وإذا عرفت ذلك عرفت أنَّهم في هذا الزَّمان كادوا أنْ يُفقَدوا، والأكثر فيهم من التَّخليط ما فيهم! وليس المراد أنَّهم لا يقع منهم زلَّة؛ بل تقع ولكن يرجعون وليسوا معصومين، هذا هو المراد، واللَّه أعلم.

(وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) وللمُصنِّف كراماتٌ مع أهل زمانه(١).



(١) ألَّف تلميذه أبو حفصٍ البزَّار رَحِمَهُ اللَّهُ كتاباً في ذكر مناقبه سمَّاه: «الأعلام العليَّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، وأورد فيه فَصْلاً في ذِكر بعض كرامته وفراسته (ص٧٧٣-٧٧٧).
قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولقد شاهَدْتُ مِنْ فراسة شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ أموراً عجيبة، وما لم أُشاهِدْه منها أعظمُ وأعظمُ؛ ووقائع فراسته تَسْتَدْعِي سِفْراً ضخماً» مدارج السَّالكين (٣/ ٣٠٩).

فَصْلٌ

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاطِناً وَظَاهِراً، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا . . . .

فَصْلٌ

طريقة أهل السُّنَّة: اتِّباع آثار الرَّسول ﷺ واتِّباع سبيل الصَّحابة رضي الله عنهم

(ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاطِناً وَظَاهِراً) اعتقاداً في الاعتقادات، وأقوالاً في الأقوال، وأفعالاً في الأفعال.

ما أُثِر عنه وما جاء عنه أقسام: قِسمٌ مِنْ قوله، وقِسمٌ مِنْ فعله، وقِسمٌ مِنْ إقراره، فنتَّبع ما قال، ونقرِّر ما قرَّر، ونفعل ما فعل، فهذا أصلٌ عظيم، وبابٌ كبيرٌ مِنْ أبوابِ الدِّين.

(وَ) كذلك مِنْ أُصولِ أهل السُّنَّة مع ذلك: (اتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) ومعرفة ما هم عليه والأخذ بهَدْيِهم.

الوصيَّة بالتَّمسُّك بسُنَّة النَّبيِّ ﷺ والخلفاء الرَّاشدين

(وَ) مِنْ أصولِهم أيضاً: (اتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) هذا مِنْ عطف الخاصِّ على العامِّ، (حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا) يعني: شُدُّوا

بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

(بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا) يعني: أمسكوا عليها **(بِالنَّوَاجِذِ)** الأربع، فإنَّ الشَّيءَ النَّفيسَ لا يُكتفَى بإمساكه باليد فقط.

الحذر من البِدَع

(وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ) حَرَّض على التَّمسُّك بما تقدَّم، وحَذَّر ممَّا أُحدِث بعده ممَّا يُتعبَّد به.

تعريف البدعة

(فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(١)]) فإذا لم يكن في القرآن، ولم يكن من المأثور عن النَّبيِّ ﷺ، ولا عن الصَّحابة والتَّابعين والصَّدر الأوَّل؛ فهو بدعة؛ لو كان خيراً لَسَبَقُونا إليه، «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ»[(٢)].

معنى قول عمر رضي الله عنه: «نِعْمَتِ البِدْعَةُ»

والبدعة في قول عُمرَ رضي الله عنه: «نِعْمَتِ البِدْعَةُ»[(٣)]، مراده من حيث اللُّغة، وإلَّا فأصلُها معروفٌ زَمَن النَّبيِّ ﷺ[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (١٧١٤٢)، من حديث العِرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمان (٣/ ٥٠٦)، رقم (٢٠٢٤)، عن عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي الله عنه موقوفاً.

(٣) رواه البخاريُّ، كتاب صلاة التَّراويح، باب فضل مَنْ قام رمضان، رقم (٢٠١٠).

(٤) كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فِي المَسْجِدِ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَتحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، فَصَلَّوْا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ المَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ المَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا» رواه البخاريُّ، رقم (٩٢٤)، ومسلم، رقم (٧٦١).

. . . .

البِدْعَة التي لا يُسَوِّغُها الشَّرع ضلالة

أمَّا تقسيم بعضهم البدعة إلى خمسة أقسام فهذا غير مُسلَّم؛ بل البدعة التي لا يُسَوِّغُها الشَّرع فهي بدعة ضلالة، وما كان لها ما يُخوِّلُها[1] من الدِّين ويدلُّ عليها فليست بدعة ضلالة؛ بل بدعة لُغويَّة.

(١) يُخَوِّلُها: يُسَوِّغها.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُّوا: «أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ».

وَسُمُّوا: «أَهْلَ الجَمَاعَةِ»؛ لِأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الِاجْتِمَاعُ،

ثلاثةُ أصولٍ مُجمَعٌ على الاستدلال بها عند أهل السُّنَّة

(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ) كما قال تعالى:

الأوَّل: كتاب اللَّه

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

الثَّاني: سُنَّة النَّبيِّ ﷺ

(وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ) هديه وسِيرته خير الهَدْيِ والسِّيرة، فلا هَدْيَ ولا سِيرة خيرٌ مِنْ هديه وسِيرته.

أهل السُّنَّة يُؤْثِرون كلامَ اللَّه ويُقَدِّمون هَدْيَ النَّبيِّ ﷺ

(وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ) فلا يَعدِلُون بكلام ربِّ العالمين كلام أحدٍ كائناً مَنْ كان، ويَرَوْنَ: أنَّ فَضلَ كلام اللَّه على كلام خلقه كفضل اللَّه على خلقه، (وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ) كذلك مِنْ أصولِ أهل السُّنَّة: تقديم هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ على هَدْيِ كلِّ أحدٍ، ولا يَعْبَؤُون بهَدْيِ ما سواه.

سبب تسميتهم: «أهل الكتاب والسُّنَّة»

(وَلِهَذَا) ولأجل ما تقدَّم مِنْ إيثارهم طريق الكتاب والسُّنَّة، وكونهم لا يُفَضِّلون على كلام اللَّه كلام غيره، ولا يُقَدِّمون هَدْيَ أحدٍ على هَدْيِ مُحمَّدٍ ﷺ (سُمُّوا: «أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»).

سبب تسميتهم: «أهل الجماعة»

(وَسُمُّوا: «أَهْلَ الجَمَاعَةِ»؛ لِأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الِاجْتِمَاعُ،

وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ «الجَمَاعَةِ» قَدْ صَارَ اسْماً لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ.

وَالإِجْمَاعُ هُوَ: الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ . . . .

(وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ) لأنَّه يجمعهم شيءٌ واحدٌ، ولا سُمُّوا بذلك إلَّا لاجتماعهم على الحقِّ، وهو الأخذ بالكتاب والسُّنَّة، والمنع بالكتاب والسُّنَّة، فمَنْ صار كذلك فهو مِنْ «أهلِ الجماعة»، (وَإِنْ كَانَ لَفْظُ «الجَمَاعَةِ» قَدْ صَارَ اسْماً لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ) وإنْ تباعدت بهم الأوطان، سواء كانوا قليلين أو كثيرين فهُم الجماعة، ولو كان شخصاً واحداً فهو الجماعة في الحقيقة، كما سمَّى اللَّهُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أُمَّةً﴾.

الثَّالث: الإجماع

(وَالإِجْمَاعُ هُوَ: الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ) وذلك لكرامة هذه الأُمَّة، وأنَّها لا تَجْتَمِع على ضلالة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

فهذه الأصول الثَّلاثة المُجْمَع عليها؛ فإنَّ كلَّ وَاحدٍ منها حُجَّة، الكتاب والسُّنَّة والإجماع، وهناك أصولٌ مُختلفٌ فيها كالقياس.

الأصول الثَّلاثة التي يُوزَن بها جَميع ما عليه النَّاس ممَّا له تَعَلُّقٌ بالدِّين

(وَهُمْ) يعني: أهل السُّنَّة (يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ

مَا عَلَيْهِ النَّاسُ - مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ، بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ - مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ: مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ وَبَعْدَهُمْ كَثُرَ الِاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الأُمَّةُ.

مَا عَلَيْهِ النَّاسُ - مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ، بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ - يَزِنُونَهُم بهذه الأصول الثَّلاثة، ما كان راجحاً فهو راجح، وما كان مرجوحاً فهو مرجوح، وما لم يُعلَم رجحانه ولا مرجوحيَّته، فإذا أمكن رَدَّه إلى الكتاب والسُّنَّة؛ **(مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ)** خاصَّة، ممَّا جِنْسُه يُتعبَّد به إلى اللَّه مِنْ فعلٍ أو تركٍ - إمَّا مِنْ تَحْرِيمِه أو تَحْلِيلِه -، أمَّا مِنْ جهة الأمور العاديَّة؛ فهذا لا مدخل له فيه.

الإجماع الذي ينضبط: ما كان عليه السَّلَف الصَّالح

(وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ: مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ وَبَعْدَهُمْ كَثُرَ الِاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الأُمَّةُ) في فضاء المعمورة، فلا يمكن أنْ يَحصُل إجماع إلَّا ما حصل في ذلك الوقت، فهي أوطانٌ محصورةٌ مَعروفةٌ، وهي أمصار الإسلام الشَّهيرة، وكانت مَرْجِعاً للدِّين، وبعدهم لا يقال: أجْمَع العلماء على كذا؛ لأنَّه لا ينضبط.



فَصْلٌ

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ: يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ؛ . . . .

فَصْلٌ

أهل السُّنَّة يَأْمُرُون بالمعروف ويَنْهَوْن عن المُنكَر

(ثُمَّ هُمْ) يعني: أهل السُّنَّة والجماعة (مَعَ) إيمانهم وعملهم بـ(هَذِهِ الأُصُولِ) العظيمة والهامَّة، والعقائد القيِّمة المُتقدِّم ذكرها:

مكانة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكَر من الدِّين

(يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ) والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكَر أصلٌ عظيمٌ وعِبادةٌ عُظمَى من أجلِّ الطَّاعات، وهو بابٌ عظيمٌ كبيرٌ مِنْ أبواب الجهاد، فهو من الدِّين بمكان؛ ولهذا في النُّصوص شَرْعِيَّةُ الأمر به(١)، وقيل: إنَّه رُكنٌ سادسٌ مِنْ أركان الدِّين(٢)؛ لأَثرٍ وَرَد(٣).

---

(١) منها: ما رواه أبو سعيد الخدريُّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ» رواه البخاريُّ، رقم (٢٤٦٥)، ومسلم، رقم (٢١٢١).
ومنها: ما رواه أبو سعيد الخدريُّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» رواه مسلم، رقم (٤٩).

(٢) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٥/ ١٤).

(٣) رواه أبو داود الطَّيالسيُّ في مسنده، رقم (٤١٣)، عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً، ولفظه: =

. . . .

المعروف: ما استحسنه الشَّرع والعقل وأعلاه التَّوحيد

(يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ) المعروف كلمةٌ شاملةٌ، وهو: اسمٌ لكلِّ شيءٍ عُرِف من الشَّرع والعقل حُسْنُه.

فكلُّ ما استحسنه الشَّرع والعقل فهو معروفٌ، والمعروف درجات:

- منه ما هو مندوب؛ كالأمر بالمندوبات.

- وفوقه: الأمر بالواجبات.

- وفوق ذلك: الذي يفتقر الدِّين إلى صحَّته، ممَّا يُؤمَرون به حتماً ووجوباً، ويُقاتَلون عليه.

فأعلى المعروف: التَّوحيد، وأدناه: المُستحبَّات، فإنَّ بكُلِّها ممَّا يأمر به أهل السُّنَّة والجماعة.

المُنكَر: ما أنكره الشَّرع والعقل وأعظمه الكفر

(وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ) المُنكَر: اسمٌ لكلِّ شيءٍ عُرِف من الشَّرع والعقل قُبْحُه.

فكلُّ ما أنكره الشَّرع والعقل فهو مُنكَرٌ؛ وأعظمُه الكفر.

فما أَنكرَتْه العقول السَّليمة والفِطَر المستقيمة والشَّرائع المنزَّلة

= «الإِسْلَامُ ثَمَانِيَةُ أَسْهُمٍ؛ الإِسْلَامُ سَهْمٌ، وَالصَّلَاةُ سَهْمٌ، وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ، وَالحَجُّ سَهْمٌ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ سَهْمٌ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ سَهْمٌ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ سَهْمٌ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَهْمٌ، وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ».

عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

فهو مُنكَر، والمعروف بعكسه.

فأوَّلاً يَعرِف المعروف ويَعتَقِدُه بقلبه، ويَعرِف المُنكَر ثمَّ يُنكِره، ولمَّا قيل لابن مسعود رضي الله عنه: هَلَكَ مَنْ لم يأمر بالمعروف ويَنْهَ عن المُنكَر، فقال: «بَلْ هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ المَعْرُوفَ بِقَلْبِهِ، وَيُنْكِرِ المُنْكَرَ بِقَلْبِهِ»(١).

المُنكَرات يكفي معرفتها جملة بخلاف الواجبات

والمُنكَرات يكفي معرفتها جملة، بخلاف الواجبات؛ فإنَّها جملةً وتفصيلاً.

فأهل السُّنَّة والجماعة يأمرون بالمعروف الذي أعلاه وأَعظمُه التَّوحيد، ويفرضون الفرْضيَّات(٢)، ويأمرون بالمستحبَّات.

ويَنْهَوْن عن الشِّرك - أَصغرِه وأكبرِه - ويُنكِرونَه، ويَنْهَوْن عن الكبائر والمُحرَّمات والصَّغائر، ويَنْهَوْن عن المكروهات.

وقوله: **(عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)** قَيدٌ، يعني: لا مُطلَقاً؛ كما أنَّها مُفتقرةٌ أنْ تُفعَل ابتغاء وجه اللَّه الكريم.

يجب على الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المُنكَر: الإخلاص والمتابعة

فالآمر بالمعروف والنَّاهي عن المُنكَر لا بدَّ له من أمرين: الإخلاص، والمتابعة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المُصنَّف، كتاب الفتن، ما ذُكِر في فتنة الدَّجَّال، رقم (٤٠٣٧٠).

(٢) أي: يأمرون بالفرائض.

. . . .

فمَنْ لم يُخلِص أَمْره ونَهْيه فهو مشرك.

ومَنْ أخلص ولكن ما تابع فهو مبتدع؛ كالمُعْتَزِلَة والخَوَارِج، فإنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكَر أحدُ أُصولِهم، لكنَّهم لم يتابِعوا في ذلك ما جاء به الرَّسُول ﷺ، وخرجوا عن حدِّ الشَّريعة، حتَّى جوَّزوا الخروجَ على الأئمَّة وقتالَهم على شيءٍ من المعاصي التي لا تُنافِي الدِّين، وسَمَّوْا قِتالَهُم: «أمراً بالمعروف»، وأمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فهم يَنْهَوْن عن المُنكَر على ما تُوجِبُه الشَّريعَة.

كَثيرٌ من النَّاس خارجٌ عن قَيدِ «عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ»

فالمُصنِّف احترز بهذا القَيدِ؛ فقال: (**عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ**)، وكثيرٌ ممَّن يأمر بالمعروف وينهى عن المُنكَر خارجٌ عن هذا القَيدِ؛ فلا يُزاد في ذلك فيَدْخل في سلك هؤلاء(١)، ولا يُنْقَص فيدخل في سلك الإباحيَّة أو أهل الشَّهوات.

---

(١) أي: المعتزلة والخوارج.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ وَالجُمَعِ . . . .

أهل السُّنَّة يَرَوْن إقامة الحجِّ والجهاد والجُمَع والأعياد مع الأمراء

(وَيَرَوْنَ) كذلك أهل السُّنَّة يَرَوْن (إِقَامَةَ الحَجِّ) يعني: مع ولاتهم المسلمين، بأنْ يكونوا هم المُتولِّين منهم أعمال الحجِّ، واتِّباع المسير فيها، والذَّهاب إليها، وتدبير أمرها، ونحو ذلك، أو مَنْ يقوم مقامهم، كنُوَّابهم؛ فإنَّهم في ذلك كالأئمَّة للنَّاس.

لا يُنازَع الأئمَّة في الجهاد

(وَ) كذلك إقامة (الجِهَادِ): جهاد الكفَّار أعداء اللَّه، يعني: مع ولاة الأمور، كما في الحديث: «الجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرّاً كَانَ أَوْ فَاجِراً»[1]، فهم الذين يَتولَّون إقامة الجهاد في سبيل اللَّه وتدبيره وأمره وشؤونه، كما أنَّهم يَتولَّوْن فَيئَه وخُمُسَه ونحو ذلك، فلا يُنازَعون فيه، فإنَّه لا دين إلَّا بجماعة، ولا جماعة إلَّا بإمامة، ولا إمامة إلَّا بسمعٍ وطاعة.

إقامة الجمع والأعياد مع الأئمَّة والصَّلاة خلفهم واجبة

(وَ) كذلك إقامة (الجُمَعِ) مع الأئمَّة والصَّلاة خلفهم واجبة، ولو كانوا عصاةً فجَّاراً؛ فإنَّه تصحُّ الصَّلاة خلفهم.

والمراد: إذا كان مسجدٌ واحدٌ يُصلِّي به إمامٌ فَاجِرٌ، فإنَّ الصَّلاة خَلفَه أَهونُ مِنْ تَركِ الصَّلاة مع الجماعة، وهذا بخلاف الصَّلوات الخمس، فإنَّها لا تجب في مسجدٍ واحدٍ، وأمَّا الجمعة فتجب في مسجدٍ واحدٍ على قولِ مَنْ لا يرى التَّعدُّد إلَّا

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمَّة الجَوْر، رقم (٢٥٣٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ - أَبْرَاراً كَانُوا أَوْ فُجَّاراً -، . . . . .

لِمُسوِّغٍ شرعيٍّ[(١)].

(وَ) كذلك إقامة (الأَعْيَادِ) فيُصلَّى مع الأئمَّة.

فإنَّ أهل السُّنَّة يَرَوْن إقامة ذلك كلِّه (مَعَ الأُمَرَاءِ) يعني: كون الأئمَّة هم الذين يَتولَّوْن إقامة ذلك؛ (أَبْرَاراً كَانُوا أَوْ فُجَّاراً)، إنْ كانوا تُقاةً فلهم وللنَّاس، وهذا مِنْ فضل اللَّه وبرحمته، وإنْ كانوا فجَّاراً فهو مِنْ ذنوب المسلمين أنْ وُلِّيَ عليهم مِنْ فُجَّارهم، وفُجُورُهم على أنفسهم.

الدِّين يُتَّبع ولو على أيدي الفُجَّار

فإنْ قاموا بأمر دينٍ وإسلامٍ فيجب القيام به معهم، في بِرِّهم وصلاتِهِم وأعمالِهِم الصَّالحة، فإنَّ هذه طاعاتٌ تُفعَل للَّه، فيُشارَكون فيها، فالشَّرع يُقِيمونَه ومَعصيتُهُم عليهم، فهذا اتِّباعٌ للدِّين ولو على أيدي الفُجَّار، وما كان مِنْ فُجورٍ وفسادٍ فعليهم، ولا يُشارَكون فيه، فالمسلمون يُشارِكونَهُم في الطَّاعة، ولا يُشارِكونَهُم في المعاصي.

التَّفصيل في الصَّلاة خلف المُبتدِع

وأمَّا الصَّلاة خلف المُبتدِع: فإنْ كانت بدعته تُوصِله إلى الكفر، وكان يُخاف مِنْ سَطْوَتِه[(٢)]؛ صلَّى وراءه وفَارَقَه في النِّيَّة.

---

(١) وهو قول أكثر العلماء. المغني (٢/ ٢٤٨)، الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام (٢/ ٣٦٢).

(٢) أي: بَطْشه. المصباح المنير (١/ ٢٧٦).

وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ.

أهل السُّنَّة يُحافِظون على الصَّلوات الخمس جَماعة

(وَيُحَافِظُونَ عَلَى) الجُمَع و(الجَمَاعَاتِ) هذا ممَّا عليه أهل السُّنَّة؛ الصَّلوات الخمس مع الجماعة، وكذلك الجُمَع، وقد هَمَّ النَّبيُّ ﷺ بإحراق مَنْ لم يَشهَد الجماعة[١]، والجمعة أهمُّ وآكدُ.

(يُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ) يعني: وراء كلِّ مسلمٍ.

الرَّوافض لا يَرَوْنَ إقامة الصَّلاة جماعة والرَّدُّ عليهم

بخلاف الرَّوافض، فإنَّهم لا يَرَوْن إقامتها إلَّا وراء مَعصوم، ويَنتَظِرُون مُحمَّداً العَسكريَّ[٢] - وقيل: إنَّهم مُعِدُّون له بَغْلَةً وفَرَساً[٣] - متى خرج صَلَّوْا وراءَه.

وهذا أصلٌ فاسدٌ ومَردودٌ عليهم؛ فإنَّهم أنفسهم غير معصومين؛ بل تقع منهم المعاصي؛ بل والكفر، فكيف يَرَوْنَ أنْ لا يُصلُّوا إلَّا وراءَ مَعصومٍ؟!

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، رقم (٦٤٤)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب فَضْل صلاة الجماعة، وبيان التَّشديد في التَّخلُّف عنها، رقم (٦٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَدَ نَاساً فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ، فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَآمُرَ بِهِمْ، فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ بِحُزَمِ الحَطَبِ بُيُوتَهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْماً سَمِيناً لَشَهِدَهَا - يَعْنِي: صَلَاةَ العِشَاءِ -».

(٢) هو: أبو القاسم مُحمَّد العسكريُّ بن الحسن بن عليٍّ الهادِي، آخر الأئمَّة الاثْنَي عشر على اعتقاد الإماميَّة، الذي تدَّعي الرَّافضة أنَّه: المهديُّ، وأنَّه دَخل سِرْداباً بسَامَرَّاء وهو صغير، وأنَّه حيٌّ لا يَموتُ حتى يَخرُج، وكلُّ ذلك لا حقيقة له. وفيات الأعيان (٤/ ١٧٦)، سير أعلام النُّبلاء (١٣/ ١٢٢).

(٣) شرح الطَّحاويَّة لابن أبي العِزِّ الحنفيِّ (ص٣٨١).

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ، . . . .

أهل السُّنَّة يَدِينُون بالنَّصيحة لجميع الأُمَّة

(وَ) كذلك أهل السُّنَّة والجماعة (يَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ) لجميع الأُمَّة المُحمَّديَّة؛ خَاصَّتِهِم وعامَّتِهِم، في دينهم وإرشادهم وهدايتهم، وكذلك السَّعيُ لهم فيما يُوصِلهم إلى ما ينفعهم في معاشهم ومصالحهم كلِّها، ومَحبَّتُه لهم، وإنقاذهم من المُهلِكات؛ ولهذا في الحديث: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»[(١)].

أركان النَّصيحة: السَّلامة من الغِشِّ وبذل المَجهُود

والمراد بالنَّصيحة: خُلوصِ السَّريرة للمسلمين - مِنْ قولهم: «ذَهَبٌ نَاصِحٌ» -؛ وخُلوصُها هو: سَلامةُ البَاطِن من الغِشِّ، وسلامَتُها وخُلُوُّها من غِلٍّ أو حِقْدٍ أو دَغَلٍ[(٢)]؛ بل تكون صافيةً طاهرةً نقيَّةً، سَاعِيَةً في الخير للمسلمين، سَاعِيَةً في دفع الضُّرِّ عنهم، يُحِبُّ لهم الخير والدُّخول فيه، ويكره لهم الشَّرَّ.

فهي تَعتَمِدُ على شيئين: السَّلامة من الغِشِّ؛ وبذل المجهود.

فَمَنْ كان مدخول القصد للمسلمين فهذا عَادمُ النَّصيحة، ومَنْ كان سالم القصد وقَصَّر فهذا غير نَاصحٍ.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدِّين النَّصيحة، رقم (٥٥)، من حديث تميم الدَّاريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أي: فساد. الصِّحاح (٤/ ١٦٩٧).

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ . . . .

أهل السُّنَّة يَعتَقِدُون معنى قوله ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ»

(وَيَعْتَقِدُونَ) ويعملون بمقتضى ما اعتقدوه؛ فمتى تَخَلَّف العمل بمُوجَب ما اعتقدوه دلَّ على تخلُّف الاعتقاد، ومتى ضَعُف دلَّ على ضَعْف الاعتقاد، فكلُّ مَنِ اعتقدَ شيئاً حقيقةً، ولم يَكنْ على ذلك مُكَدِّر - لا غبار شُبهة ولا شهوة -، فإنَّه لا يتخلَّف بحالٍ عن أيِّ عملٍ.

هل العلم يستلزم الهداية أم لا؟ والتَّفصيل في ذلك

وهذه كمَسألةِ: هل العلم يستلزم الهداية أم لا؟ قولان لأهل العلم[(١)]:

طائفةٌ مِنْ أهل العلم: ذهبوا إلى أنَّه يستلزم الهداية.

وقومٌ قالوا: لا يستلزم الهداية، واستدلُّوا على ذلك بقصَّة بَلعَامَ[(٢)] وعلماءِ اليهود، وغيرِهم ممَّنْ عَلِم وتخلَّف منه العمل.

وفَصَّل المَسألةَ شيخُ الإسلام وابنُ القيِّم، فقالا: «العِلمُ التَّامُّ السَّالِمُ من مُكَدِّرٍ - شُبهةٍ، أو شهوةٍ - لا يَتَخلَّفُ عنه العملُ أبداً»[(٣)].

معنى حديث: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»

(مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ) يعني: أنَّ اتِّفاقَ المؤمنين

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٢٤٣-٢٦٤).

(٢) هو: بَلْعَام بن بَاعُور، من بني إسرائيل، آتاه اللَّه علماً، ولكنَّه اتَّبَع هَوَاه وعَصَى ربَّه. تفسير الطَّبريِّ (١٠/ ٥٧٧)، البداية والنِّهاية (٢/ ٢٣٣).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٢٩)، مفتاح دار السَّعادة (١/ ٢٤٩).

كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ -»، . . .

بعضهم ببعض، وارتفاقَ بعضهم ببعض، وحمايةَ بعضهم عن بعض، في أمور دينهم ودنياهم؛ **(كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً)** يَشُدُّ قَويُّه ضَعيفَه؛ فإنَّ البنيانَ منه القويُّ، ومنه الضَّعيفُ، فإذا تَمَاسَك وشَدَّ بعضُه بعضاً، ولَصِقَ بعضُه ببعض استقام كلُّه.

وجه تشبيه تعاضد المؤمنين بالبنيان

فإذا كان هذا شأن البنيان بعضُه مع بعضٍ، كان واجباً على المسلم أنْ يَنْصَحَ أخاه، فإنَّ هذا كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً في دينه ودنياه؛ فإنَّ مِنَ المؤمنين مَنْ هو ضعيفُ الإيمان لا يستقيم استقامة تامَّة، فلو تُرِك وحده لَسَقَط، فإذا كان مع جماعة المسلمين تَقَوَّى مِنْ ضعفه بجماعتهم، وصار منهم ومثلهم.

(وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[١]) الكريمة، إشارةً إلى حقيقة ذلك، وأنَّ المؤمنين كالأصابع المتداخلِ بعضها في بعض.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، رقم (٦٠٢٦)، ومسلم، كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٥)، من حديث أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، . . . .

أهل السُّنَّة يَعتَقِدُون معنى قوله ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ»

(وَ) يَعتقدُ أهل السُّنَّة معنى (قَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ) فإنَّ مِن الأصول العظيمة: الحُبَّ في اللَّه.

و(تَوَادِّهِمْ) أَصلُه: «تواددِهم»، وهو: التَّحابُّ[1]، وفي الحديث: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ... - إلى قوله -: وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ»[2]، يعني: المَحبَّة الدِّينيَّة التي هي للَّه.

(وَتَرَاحُمِهِمْ) التَّراحُم هو: رَحْمَة بعضهم بعضاً[3]؛ كما وصف اللَّه المؤمنين في قوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

(وَتَعَاطُفِهِمْ) التَّعاطف يعني: عطف بعضهم على بعضٍ بالمنافع والمصالح ونحو ذلك، ورجوع بعضهم على بعضٍ، ورِفق بعضهم ببعضٍ[4].

---

(١) مشارق الأنوار (٢/ ٢٨٢).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتَّصف بهنَّ وَجَد حلاوة الإيمان، رقم (٤٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

(٣) مختار الصِّحاح (١/ ١٢٠).

(٤) شمس العلوم (٧/ ٤٦١٣)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٣٩).

كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ».

إذا أصاب واحداً من المسلمين شيءٌ فكلُّهم يَتألَّمُون لذلك

(كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ) فينعطف عليه الجسد ويتداعى، يعني: يُنادي بعضه بعضاً: هلُمَّ نحمل معه الألم؛ بل ونكون معه بالسَّويَّة، نحمل كما حمل.

(بِالحُمَّى) وهي: شدَّة الحرارة[1].

(وَالسَّهَرِ»[2]): عدم النَّوم، فلو كان الأَلَم في بَضْعَة[3] من الجسد سَهِرَ ذلك الجسد كلُّه، فمثلاً: الوجع يكون في الإصبع الواحد، فيتألَّم منها سائر الجسد ويشتكي، وينالهُ من الوجع - وهو في طَرَف الأنملة - فيسهر.

فالشَّكوى إنَّما هي في عُضوٍ، والحُمَّى والسَّهَر في سائر الجسد، وكذلك المسلمون يُصيب واحداً منهم شيءٌ في أَهلِه أو مَالِه أو نَفسِه؛ فيَتألَّمُون لذلك كلُّهم.

---

(١) تاج العروس (٣٢/ ١٧).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب الأدب، باب رحمة النَّاس والبهائم، رقم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦)، من حديث النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٣) أي: عضوٍ. مقاييس اللُّغة (١/ ٢٥٤).

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلَاءِ، . . . .

أهل السُّنَّة يأمرون بالصَّبر عند البلاء

(وَ) أهل السُّنَّة والجماعة (يَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلَاءِ) يَحثُّون على الصَّبر وغير ذلك ممَّا في الكتاب العزيز؛ وذلك أنَّ الصَّبرَ من الدِّين بمكانٍ، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ»(١).

مكانة الصَّبر من الدِّين

والصَّبر نصف الإيمان؛ وذلك أنَّ العبدَ مُتقلِّبٌ بين نِعَمٍ يجب عليه شكرها، وبين صبرٍ عن المعاصي يجب عليه اجتنابها.

أقسام الصَّبر وأفضلها

والصَّبر على ثلاثة أقسام: صبر على الطَّاعات، وعن المعاصي، وصبر على الأقدار.

الأوَّل: الصَّبر على الطَّاعة؛ وهو: إلزام النَّفس على فعلٍ؛ وهو أفضل أقسام الصَّبر - وهذا الذي يُفْهَم مِنْ كلام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢) -؛ لكون العبد فَعَله وصبر عليه طاعةً للَّه، ولأنَّ الطَّاعات مُرادةٌ بالذَّات، أمَّا المعاصي فليست مرادةً بالذَّات.

والثَّاني: الصَّبر عن المعاصي؛ وهو فِعلٌ للعبد، وهو أَشقُّها، وأصعب على النُّفوس من الصَّبر على الطَّاعات، ولكنَّه مراد لغيره، وهو دون الأوَّل في الفضل.

---

(١) رواه البخاريُّ مُعلَّقاً (٨/ ٩٩)، كتاب الرِّقاق، باب الصَّبر عن مَحارِمِ اللَّه، ووصله أحمد في الزُّهد (ص٩٧)، رقم (٦١٢).

(٢) مدارج السَّالكين (٢/ ٤٥٢).

وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، . . . .

والثَّالث: الصَّبر على ما قَدَّره اللَّه وقضاه، وهو فِعلٌ للرَّبِّ لا للعبد، إنَّما فِعْله الصَّبر والاستسلام فقط، وهذا طاعة للَّه، لكن لَمَّا لم يكن فِعلاً للعبد صار في الفضل دون القسمين الأوَّلَيْن.

أهل السُّنَّة يَأْمُرُون بالشُّكر عند الرَّخاء

(وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ) كذلك أهل السُّنَّة والجماعة يأمرون به.

وَالشُّكْر هو: الاعتراف بها في الباطن؛ كون اللَّه أنعم بها، وهو أَعمُّ من القول باللِّسان.

أركان الشُّكر

وأركانه ثلاثة: اعترافه بنعمة اللَّه عليه، والثَّناء عليه بها، والاستعانة بها على طاعته ومرضاته.

مكانة الصَّبر والشُّكر من الدِّين

وهذان الأمران[١] من الدِّين بمكان؛ بل الدِّين كلُّه في هذين الشَّيئَيْن:

- فعل المأمور، وهو العَمَل بطاعة اللَّه، وهو حقيقة الشُّكر.
- وترك المحظور، وهو الصَّبر عن المعاصي.

فإذا قام عند المعاصي بالصَّبر، وعند النِّعم بحقِّها - وهو الشُّكر -، صار عابداً للَّه حقّاً.

والصَّبر عند البلاء، والشُّكر عند الرَّخاء؛ هما: الإيمان.

(١) الصَّبر والشُّكر.

وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ.

أهل السُّنَّة يَأْمُرُون بالرِّضا بمُرِّ القضاء

(وَ) مِنْ أُصولِ أهل السُّنَّة: (الرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ) هذا يرجع إلى الصَّبر ولكنَّه غيره، وقد يكون بمعنى التَّسليم، ورُبَّما أنَّه أَشهرُ معنىً من التَّسليم، فهو من الكلمات التي هي أقربُ إلى الذِّهن من التَّسليم.

الفَرْقُ بين الرِّضا والصَّبر

وحالة الرِّضا: أنْ يستويَ عنده البلاء وعدمه.

والصَّبر دون الرِّضا، فيتمنَّى سلامته من هذه المصيبة، ولكن لا يسخط، ولا يضرب الخُدُود، ولا يشقُّ الجيوب[١].

أحوال العبد عند المصيبة

وللعبد عند المصيبة أربع أحوالٍ ممكنة:

١ - الجزع.

٢ - الصَّبر.

٣ - الرِّضا.

٤ - الاستشعار بأنَّها نعمة، وهذا يكاد أن يكون يُذكَر ولا يُوجَد.

فالصَّابر قليل، وأقلُّ منه الرِّضا، وأقلُّ منه الشُّكر.

الرِّضا مرتبةٌ أعلى من مرتبة الصَّبر

فالرِّضا مرتبةٌ أعلى من مرتبة الصَّبر، فالصَّبر واجب، والرِّضا

(١) الجيوب: جمع جيب، وهو: طوق القميص. تاج العروس (٢/ ٢١٠).

. . . .

مندوب، والأصل أنَّ الواجبَ أَفضلُ من المندوب إلَّا في أمور، منها هذا، كما في الحديث: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»[1]، فإنَّه دالٌّ على أنَّ الواجبَ أفضلُ من المُستحبِّ، فالرِّضا هنا أفضل من الواجب وهو الصَّبر.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الرِّقاق، باب التَّواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً: أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقاً».

أهل السُّنَّة يَدْعُون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال

(وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ) يعني: إلى كلِّ خُلُقٍ كَريمٍ عالٍ نفيسٍ.

(وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ) يعني: إلى كلِّ عَمَلٍ حَسَن، لِمَا رُكِز في القلوب استحسانه.

فكلُّ خُلُقٍ وفِعْلٍ حسن يُستحسَن في الشَّرع والفِطْرَة والعقل؛ فأهل السُّنَّة يَعتقدُون حُسْنَه، ويَعْمَلُون به، ويأمرون به، وكلُّ خُلُقٍ وفِعْلٍ يُستنكَر في الفِطَر والعقول يَكرَهُونه ويَنْهَوْن عنه، وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»[1].

ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً: أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقاً»

(وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً: أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقاً»[2]) ويَقْبَلُونَه ويَعْمَلُون بمُوجَبه، ويَسعَوْن ويَجِدُّون في تحسين أخلاقهم مع إخوانهم المسلمين، ويَحثُّون الغير على ذلك.

والخُلُق - بضمِّ الخاء - هو: صورة الإنسان الباطنة.

والخَلْق هو: صورته الظَّاهرة.

---

(١) رواه البيهقيُّ في السُّنن الكبرى، كتاب الشَّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي مَنْ كان متخلِّقاً بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قَبولِ الشَّهادة على طريق الاختصار، رقم (٢٠٧٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٧٤٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، . . . .

أهل السُّنَّة يَندُبُون إلى أنْ تَصِل مَنْ قَطَعَك

(وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ) من الأرحام، لا تَقْطَعْه حين يقطع؛ ليبوء بالإثم الذي مِنْ قِبَلِه[١]، وتنجو من تلك القطيعة، فلا تقابله، وقد سأل رَجلٌ النَّبيَّ ﷺ فقال: «إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ[٢]، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ[٣]، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[٤].

وقال: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[٥]؛ وصِلَة الأرحام ليس فيها انقسام[٦].

تمام الصِّلة الحقيقيَّة: أنْ تكون أنت الواصل ولو لم يَصِلْك

وتَمامُ الصِّلة الحقيقيَّة: بأنْ تكون أنت الواصل ولو لم يَصِلْك، فإذا فعلت الخير، فالخير ما يَجُرُّ إلَّا إلى خير، وهو أنْ يتَّقيَ اللَّه فلا يقطعك.

---

(١) أي: ليبوء القاطعُ بالإثم الذي من جِهَتِه.
(٢) أي: بالسَّبِّ والغضب. مرقاة المفاتيح (٧/ ٣٠٨٧).
(٣) المَلُّ - بفتح الميم -: الرَّمَادُ الحَارُّ، والمعنى: كأنَّما تُطْعِمُهم الرَّمَاد الحَارَّ، وهو تَشبيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُم من الأَلَم بما يَلْحق آكِلَ الرَّمَادِ الحَارِّ من الألَم، ولا شيء على هذا المُحْسِن؛ بل يَنالُهُم الإثم العظيم في قَطيعَتِه وإدخالِهم الأذى عليه. شرح النَّووي على مسلم (١٦/ ١١٥).
(٤) رواه مسلم، كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب صِلَة الرَّحِم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) رواه البخاريُّ، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمُكافِئ، رقم (٥٩٩١)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.
(٦) أي: يَجبُ عليك صلتها على كلِّ حالٍ، سواء وَصَلُوك أم قَطَعُوك.

وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

ويَندُبُون أنْ تُعطِيَ مَنْ حَرَمَك

(وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ) أي: إذا كان لك حقٌّ عليه فحَرَمَك؛ فلا تحرمه وتقابله بمثل ما فعل؛ بل ابذل حقَّه إليه.

ويَندُبُون أنْ تَعفوَ عمَّنْ ظَلَمَك

(وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) وكذلك مَنْ أساء إليك وتعدَّى عليك وظلمك؛ تَعفو عنه ولا تقابله بمثل فعله، وإنْ كان جائزاً، وهو مِنْ باب القصاص، لكن الأفضل أنْ تَعفوَ عنه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾، فدرجة العَفْو درجة عُلْيا.

الظَّالم له عند أهل السُّنَّة مرتبتان: المُقاصَّة والمُسَامَحَة

فالظَّالمُ له عند أهل السُّنَّة مرتبتان: المُقاصَّة والعدل، والمُسامَحَة والفضل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ﴾، ثمَّ قال: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾.

فأهلُ السُّنَّة يَندُبُون إلى خير الأمرين: تُقابِل الظُّلمَ بالعَفْو، وبمَنْ حَرَمَك أنْ تُعطيَه.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، . . . .

أهل السُّنَّة يَأْمُرُون ببِرِّ الوالدَيْن

(وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ) فِعْل الجميل معهما، وضدُّه العُقُوق، فبِرُّ الوالدَيْن من الواجبات، وضدُّه من المُحرَّمات.

وبِرُّ الوالدَيْن جاء قَرْنه في الآيات بحقِّ اللَّه تعالى(١)، فإنَّه أعظم حقٍّ بعد حقِّ اللَّه وحقِّ الرَّسُول ﷺ، فالوالدان أصلُك، وهما سبب إيجادك، فأعظمُ حقٍّ عليك حقُّ الذي خلقك والذي أوجدك، ثمَّ بعد ذلك حقُّ النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّه سبب نجاتك، وبعد ذلك حقُّ الوالدَيْن.

مِنْ أوجه البرِّ بالوالدَيْن بعد الوفاة

ومِنْ برِّ الوالدَيْن بعد الوفاة: الدُّعاء، والصَّدقة وهذا ثوابه لهما، وأنْ تُوقِفَ(٢) وتَجعلَ المَثُوبَة لهما، ومَودَّة أصدقائهما، ففي الحديث: «هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا»(٣)، وحديث: «مِنْ بِرِّ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ: أَنْ يَبَرَّ مَا يَوَدُّ»، أو ما هذا معناه(٤)؛ فبيَّن ﷺ فِعْلَ بعضِ هذه الأوجه.

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

(٢) أي: تضع وَقْفاً.

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (١٦٠٥٩)، من حديث أبي أُسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه مسلم، كتاب البِرِّ والصَّلاة والآداب، باب صِلَة أصدقاء الأب والأمِّ ونحوهما، رقم (٢٥٥٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ: صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».

وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى. .

ويأمرون بصِلَة الأرحام

(وَصِلَةِ الأَرْحَامِ) القرابات: بأنْ تفعل معها الخير.

فالصِّلَة من الوَصْل، بأنْ تَبقى بعضُها منضمّاً مع بعضٍ بالخير والنُّصح، هذا وَاجبٌ لكلِّ مُسلم، فإنْ كان رَحِماً فهو أَوْلى، وفي الحديث: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».

ويَأمُرُون بحُسْنِ الجِوَار

(وَ) يأمرون أيضاً بـ(حُسْنِ الجِوَارِ) يعني: معاملة الجار بالجميل، والمعاملة الحسنة، وإرادة الخير له، وكفِّ الأذى، والسِّتر، والعفو والصَّفح عمَّا يحصل منه إنْ حصل؛ فحقُّه كبيرٌ عَظيمٌ، وفي الحديث: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[(١)].

أنواع الجيران

فإذا كان مُسلماً اجتمع له حقُّ الإسلام وحقُّ الجِوار، فإنْ كان قريباً فهو آكَد، وحُسنُ الجِوار حتَّى مع الذِّمِّيِّ إذا تُصُوِّر أنْ يكون في دار ذِمَّة.

ويَأمُرُون بالإحسان إلى اليتامى

(وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى) الإحسان مِنْ حيث هو له مَحَلُّه[(٢)]؛ ولكن مِن آكَد مَحالِّه اليتامى، وفي الكتاب والسُّنَّة أدلَّة وجوب

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم (٦٠١٥)، ومسلم، كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب الوصيَّة بالجار والإحسان إليه، رقم (٢٦٢٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أي: له مواضعه. الصِّحاح (٤/ ١٦٧٣).

وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ.

الإحسان كقوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وجاء في حقِّ اليتيم أحاديث؛ منها: «كَافِلُ اليَتِيمِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ»[1]؛ وذلك أنَّه فَقَدَ مَنْ يعولُه ويَقومُ به.

واليتيم: الذي مات أبوه قبل بلوغه، وما بعد البلوغ فليس بيتيم[2].

ويَأمُرُون بالإحسان إلى المساكين

(وَ) الإحسان إلى **(المَسَاكِينِ)** ودخل فيهم المحاويج[3]؛ سواء كان يجد بعض الكفاية أو لا؛ فأهل السُّنَّة والجماعة يأمرون بالإحسان إليهم بما يدفع مسكنتهم.

ويَأمُرُون بالإحسان إلى ابن السَّبيل

(وَابْنِ السَّبِيلِ) يعني: المسافر، فإنَّه مَحلٌّ للإحسان، وذلك أنَّه في سَفرٍ قد فارق أهلَه ووَطنَه، فهو بحَاجةٍ إلى مَنْ يُحسِن إليه.

ويَأمُرُون بالرِّفق بالمَمْلوك

(وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ) النُّصوص جاءت في الرِّفق بالمملوك ومواساته، وأنَّه لا يُكلَّف ما يَشقُّ عليه، وفي الحديث: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ[4]، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الأدب، باب فَضْلِ مَنْ يعول يتيماً، رقم (٦٠٠٥)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما، ومسلم، كتاب الزُّهد والرَّقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم (٢٩٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كشف المُشكِل من حديث الصَّحيحَيْن (١/ ٣٧٣).

(٣) أي: الفقراء. تاج العروس (٥/ ٥٠٠).

(٤) أي: خَدَمُكم وعَبِيدُكم. فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٥).

. . . .

تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[١].

فهو إِنسانٌ آدميٌّ مثلُك، فجُعِل لك عليه الرِّقُّ نعمةً لك وابتلاءً وامتحاناً، فمُتعيِّنٌ عليك في الشَّرع الرِّفق به عند جَهْلِه وغَشْمِهِ[٢]؛ لكونه تحت يدك؛ ولهذا هو ليس بمَمْلُوكٍ مِنْ كلِّ جِهةٍ، فيَرفُق بهم، وفي معاملتهم، وطعامهم وشرابهم، وسائر ما يحتاجون إليه.

كلُّ هذا ممَّا يأمر به أهل السُّنَّة والجماعة، وأدلَّته ومكانته وفضله من الكتاب والسُّنَّة معلوم.

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أَمْر الجاهليَّة، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلَّا بالشِّرك، رقم (٣٠)، ومسلم، كتاب الأَيْمان، باب إطعام المملوك ممَّا يأكل، وإلباسه ممَّا يلبس، ولا يُكَلِّفه ما يغلبه، رقم (١٦٦١)، من حديث أبي ذَرٍّ رضي الله عنه.

(٢) غَشْمِه بمعنى: جَهلِه. تاج العروس (٣٣/ ١٧٤)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٥٣).

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، . . . .

أهل السُّنَّة يَنْهَوْن عن الفخر

(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ) أي: الافتخار، وذلك بذكر الفضيلة مفتخراً بها على غيره، والفخر لا ينبغي، فإذا كان لِدِينٍ فهي نِعمةٌ يستعين بها على شكر اللَّه[1]؛ ولَمَّا بيَّن ﷺ ما هو عليه من السِّيادة قال: «وَلَا فَخْرَ»[2]، يعني: بل على وجه التَّحدُّث بنعمة اللَّه.

وفي الحديث: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الجُعَلِ[3] الَّذِي يُدَهْدِهُ[4] الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ»[5]، وفي الحديث الآخر: «إِنَّ اللَّهَ

---

(١) قال ابن القَيِّم رحمه الله: «والافتخار نوعان: محمود، ومذموم.
فالمذموم: إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفُّعاً عليهم.
والمحمود: إظهار الأحوال السَّنِيَّة والمقامات الرَّفيعة لا على وجه الفخر؛ بل على وجه التَّعظيم للنِّعمَة، والفَرَح بها، وذكرها، والتَّحدُّث بها، والتَّرغيب فيها، وذلك من المقاصد في إظهارها، كما قال ﷺ: (أَنَا سَيِّدُ وَلِدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ)، وقال سعد رضي الله عنه: (أَنَا أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)» مدارج السَّالكين (٣/ ٤٢٤).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٠٩٨٧)، من حديث أبي سَعيدٍ رضي الله عنه، ولفظه: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ».

(٣) الجُعَل: دُوَيْبَّة سَوْدَاء تدير الغَائِط. مرقاة المفاتيح (٧/ ٣٠٧٢).

(٤) أي: يُدَحرِجُ. مرقاة المفاتيح (٧/ ٣٠٧٢).

(٥) رواه التِّرمذيُّ، أبواب المناقب، باب في فضل الشَّام واليمن، رقم (٣٩٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَالخُيَلَاءِ، وَالبَغْيِ، . . . .

قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ[1]، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»[2].

وينْهَوْن عن الخُيَلاء

(وَالخُيَلَاءِ) هي: الكِبْر والتَّعاظم[3]، فإنَّ المُتكبِّر يتخيَّل نفسه أعظم ممَّا هي عليه، ويراها أكبر ممَّا هي عليه.

الكِبْرُ على قسمين

والكِبْر على قسمين:

- قسم: يكون عنده مِلْك[4].

- وقسم: عائل[5]، كما في الحديث[6].

فهو مُحرَّمٌ على كلِّ أحدٍ.

وينْهَوْن عن البَغْي

(وَالبَغْيِ) وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا،

---

(١) عُبِّيَّة الجاهليَّة: فَخْرها وتكبُّرها. شرح المصابيح (٥/ ٢٦٩).

(٢) رواه التِّرمذيُّ، أبواب المناقب، باب في فضل الشَّام واليمن، رقم (٣٩٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٩٣).

(٤) أي: عنده مِلك مِنْ مالٍ ونحوه.

(٥) أي: فقير. مرقاة المفاتيح (٨/ ٣١٩٠).

(٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمَنِّ بالعطيَّة وتنفيق السِّلعة بالحلف، وبيان الثَّلاثة الذين لا يُكلِّمهم اللَّه يوم القيامة، ولا يَنظُر إليهم، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذاب أليم، رقم (١٠٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ».

وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ؛ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[١].

وينْهَوْن عن الاستطالة على الخَلْق

(وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ) وهو: العُلُوُّ[٢] - الارتفاع عليهم بيده، أو بكلام، أو نحو ذلك -؛ التَّرفُّع والتَّعالي عليهم سواء كان **(بِحَقٍّ)** عند أسباب ذلك، فلا تُوجِب نِعمُ اللَّه معصيةَ اللَّه بها؛ بل تُوجِب طاعةَ اللَّه بها، **(أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)** ولا سيَّما إذا صار فخراً بغير مَفْخر[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصِّفات التي يُعرَف بها في الدُّنيا أهلُ الجَنَّة وأهلُ النَّار، رقم (٢٨٦٥)، من حديث عِياض بن حمار المُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه.

(٢) تاج العروس (٢٩/ ٣٩٣).

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «نَهَى سبحانه على لسانِ رسولِه عن نوعي الاستطالة على الخَلْقِ، وهي: الفخر والبَغْي؛ لأنَّ المستطيلَ إنِ استطال بحقٍّ فقد افتخر، وإنْ كان بغير حقٍّ فقد بَغَى، فلا يَحِلُّ لا هذا ولا هذا» اقتضاء الصِّراط المستقيم (١/ ٤٥٣).

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

أهل السُّنَّة يأمُرُون بالأخلاق العالية

(وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ) يعني: العالية الرَّفيعة مُطلَقاً، التي جاء من الشَّرع حُسْنُها، وقد قال ﷺ: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»(١)، فيأمرون بكلِّ خُلُقٍ عالٍ جميل.

ويَنهَوْن عن الأخلاق الرَّذيلة

(وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا) ورَذَائِلِها؛ أي: مَراذِل الأخلاق وسَفَالَات الأخلاق، فهُمْ يَنْهَوْن عن كلِّ خُلُقٍ دَنِيءٍ رَذيلٍ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٠٥).

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

كلُّ ما يقوله أهل السُّنَّة ويَفعلُونَه من الحقِّ متَّبِعون فيه الكتاب والسُّنَّة

(وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ) أهل السُّنَّة **(أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا)** الذي تقدَّم **(وَغَيْرِهِ)** ممَّا هو مِنْ أنواع الحقِّ من أُصولِهِم وعقائدهم، **(فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)** مُعَوَّلُهم ومستندهم الكتابُ والسُّنَّة.

كلُّ ما تقدَّم إِيضاحُه وشَرحُه عن أهل السُّنَّة إنَّما هم أبداً متَّبِعون فيه الكتاب والسُّنَّة، وحَبْل القياد في يد الكتاب والسُّنَّة، يَسيرُون حيث سار الكتاب والسُّنَّة، لا استحسان منهم لشيء، ولا نَظر لشيء.

وَطَرِيقَتُهُمْ: هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ.

لَكِنْ ....

طريقة أهل السُّنَّة: دينُ الإسلام الذي بَعَثَ اللَّه به نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ

(وَطَرِيقَتُهُمْ) يعني: كثير من النَّاس سلكوا طُرُقاً - كالتِّيجانيَّة[1] وغيرها -، فعندما يكون للنَّاس طرائق، فإنَّ أهل السُّنَّة طريقتهم شيءٌ وَاحدٌ؛ و**(هِيَ: دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ)** ليس لهم دين غير دين الإسلام، هذه طريقتهم ظاهراً وباطناً.

استشكال: إذا كانت طريقة أهل السُّنَّة هي الإسلام فلِمَ قيل: «إنَّهم أهل السُّنَّة» ولَمْ يُقَل: «المسلمون»؟

(لَكِنْ) استدراكٌ ممَّا تقدَّم وهو قوله: **(وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ)**، وهذا الاستدراك إنَّما هو لإرادة شيءٍ مُقدَّر، كأنَّ قائلاً قال: إذا كانت طَريقَتُهُم هي الكتاب والسُّنَّة ودين الإسلام، فلِمَ لَمْ يُكْتَفَ بذلك ويقال لهم: «المسلمون»؟ - ما وَجْهُ قول: «أهل السُّنَّة والجماعة»[2]، أليس هذا[3] من الطُّرق التي يُلَقَّبون بها؟ -.

---

(١) هم: فِرْقَة صُوفيَّة تُنسَب إلى مُؤسِّسِها أحمد التِّيجانيِّ، المتوفَّى سنة (١٢٣٠هـ)، سَلَك مَسْلَك غلاة الصُّوفيَّة كابن عربيٍّ وغيره، وادَّعى أنَّه خاتَم الأولياء، وصرَّح بأنَّه يقوم لأَتْبَاعِه في موقف الحشر مقامَ النَّبيِّ ﷺ، ومِنْ مُعتقداتِهِم: دعوى اللِّقاء بالنَّبيِّ ﷺ يقظةً في الدُّنيا، والتَّعبُّد بأورادٍ وأدعيةٍ بِدعيَّة يُفضِّلونها على التَّعبُّد بالأذكار والأدعية الشَّرعيَّة، ويُشارِكون بقيَّة فِرَق الصُّوفيَّة في سائر أصولهم المخالفة للسُّنَّة. الهدية الهادية إلى الطَّائفة التِّيجانيَّة، فتاوى اللَّجنة الدَّائمة (٢/ ٣١٥)، الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٢٨١).

(٢) أي: سبب تلقيبهم بـ«أهل السُّنَّة والجماعة».

(٣) أي: لقب أهل السُّنَّة والجماعة.

لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً - وَهِيَ الجَمَاعَةُ -، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلَامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ، هُمْ: «أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ».

الجواب: لأنَّ أهل السُّنَّة هم المُتمسِّكون بالإسلام المَحْضِ الخالص من الشَّوْب

قيل: (لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً) فهو واقعٌ بكلِّ حالٍ، (كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً - وَهِيَ الجَمَاعَةُ -، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[1]؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلَامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ: «أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ») هذا جوابُ (لَمَّا) المذكورة.

فكأنَّهم قيل لهم[2]: هم على ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأتباعُه، فإنَّ مَن انتسب إلى الإسلام فيهم بِدَع - منها ما تُخرِجهم عن الإسلام، ومنها ما لا تُخرِجهم من الإسلام -، ليس كلُّ مَن انتسب إلى الإسلام فهذه عقيدته، لا؛ بل هذه عقيدةُ فرقةٍ واحدةٍ، وهم أهل السُّنَّة والجماعة، وإنَّما لُقِّبوا بذلك؛ لكونهم أهل سنَّة الرَّسول ﷺ، ومجتمعين على إيثار ما جاء به النَّبيُّ ﷺ،

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧١).

(٢) في الجواب.

. . . .

وتمسَّكوا به، فطريقهم ليس شيئاً خفيّاً، ولا من الطُّرق الفُلانيَّة ولا الفُلانيَّة؛ بل هو هذا الطَّريق البيِّن الواضح.

وَفِيهِمُ: الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ.

أهل السُّنَّة فيهم أعلى طبقات الخَلْق ففيهم: الصِّدِّيقُونَ والشُّهداء

(وَفِيهِمُ) وفي أهل السُّنَّة والجماعة: (الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ) يعني: فيهم الطَّبقتان اللَّتان هما أعلى الطَّبقات بعد الأنبياء والرُّسُل، فطبقات المُكَلَّفين المُؤَهَّلين للشَّرع ثماني عشرة، مذكورة في مُصنَّف[1]، وفيها أربع طبقات، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾، وهذه المذكورة في الآية على التَّرتيب من الأعلى إلى الأدنى، فأفضل هذه الطَّبقات: الأنبياء، ثمَّ الصِّدِّيقُونَ، ثمَّ الشُّهداء، ثمَّ الصَّالحون، فالأنبياء مكانتهم شَيءٌ مَعروفٌ، وما سواهم كلُّهم مِنْ هذه الأُمَّة.

والمقصود: أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة موجودٌ فيهم الصِّدِّيقُونَ والشُّهداء.

---

(١) وهو: «فصلٌ في بيان مراتب المُكلَّفِين في الدَّار الآخرة وطبقاتهم فيها»، ضمن كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن القيِّم رحمه الله (٢/ ٧٦١)، وقد طُبع مُفرَداً.
والطَّبقات الثَّماني عشرة هي: ١ - الرُّسُل الذين سَلَّم اللَّه عليهم في العالَمين. ٢ - مَنْ عَدَاهُم من الرُّسُل. ٣ - الأنبياء. ٤ - ورثة الرُّسُل. ٥ - أئمَّة العدل. ٦ - المجاهدون في سبيل اللَّه. ٧ - أهل الإيثار والصَّدقة والإحسان. ٨ - العُبَّاد. ٩ - مَنْ اقتصروا على الفرائض وتركوا المحارم. ١٠ - مَنْ غَشَوا الكبائر وتابوا. ١١ - مَنْ غَلَبَتْ حسناتهم على سيِّئاتهم. ١٢ - مَنْ تَساوَتْ حسناتهم وسيِّئاتهم. ١٣ - مَنْ رَجَحتْ سيِّئاتهم على حسناتهم. ١٤ - مَنْ لا طاعة لهم ولا معصية. ١٥ - المنافقون. ١٦ - رؤساء الكفر. ١٧ - جُهَّال الكفَّار. ١٨ - طبقة الجنِّ.

وَفِيهِمْ: أَعْلَامُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ.

و(**الصِّدِّيقُونَ**): جَمْع صِدِّيق، والصِّدِّيق: «فِعِّيل» مِنْ صِيَغ المبالغة، يعني: كَثيرُ وعَظيمُ التَّصديق بالحقِّ، وهم في هذه الأُمَّة كثير، ورئيسهم وأفضلهم صِدِّيق هذه الأُمَّة أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وهو أعظمُهم وأكبرُهم.

(**وَالشُّهَدَاءُ**): جَمْع شهيد، وأفضل الشَّهادة القتل في سبيل اللَّه.

وفيهم: العلماء الكبار

(**وَفِيهِمْ**) وفي أهل السُّنَّة: (**أَعْلَامُ الهُدَى**) المعنويِّ.

والأعلام: جَمْع عَلَم، وهو في لغة العرب: الجبل الكبير العظيم الذي يُهتدَى به على الطَّريق[1]، سُمِّي: «عَلَماً»؛ لأنَّه يُعلَم به الجهات والطُّرقات.

يعني: في أهل السُّنَّة أئمَّةٌ أعلام كبارٌ للهدى، يُهتدَى بهم في الدِّين، كما يُهتدَى بالجبال الكبار.

(**وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو**) يعني: أصحاب (**المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ**).

المصابيح: جَمْع مِصْبَاح، وهم العلماء الكبار الذين يُضِيء

---

(١) الصِّحاح (٥/ ١٩٩٠)، تاج العروس (٣٣/ ١٣٢).

وَفِيهِمُ: الأَبْدَالُ.

وَفِيهِمْ: أَئِمَّةُ الدِّينِ، . . . .

علمهم، ويُهتدَى بهم في ظلمات الجهل، وهم كالسُّرُج في الظُّلَم يُستَضاء بهم، وذلك لِمَا أُوتوه من العلم الموروث.

وفيهم: الصَّالحون مُجابُو الدَّعوة

(وَفِيهِمْ) وفي أهل السُّنَّة: (الأَبْدَالُ) وهم: رجالٌ أهل صلاح وخير، لا يزالون في النَّاس، يرحم اللَّه بسببهم المسلمين - ببركة دعائهم -، وسُمُّوا: «أبدالاً»؛ لأنَّهم كلَّما مات منهم واحدٌ أُبدِل بآخر، أخذه بعض النَّاس من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[(١)].

والمُصنِّف ذكر هذه لأحاديث جاءت في هذا، ولكنَّها ضعيفة[(٢)]، ولكن يعضد بعضها بعضاً: «لَا يَزَالُ فِي أُمَّتِي أَبْدَالٌ»[(٣)].

وفيهم: أئمَّة الدِّين الذين أَجْمَعَ المسلمون على هدايتهم ودرايَتِهم

(وَفِيهِمْ: أَئِمَّةُ الدِّينِ) مثل الأئمَّة الأربعة، أئمَّة المذاهب، وغيرهم من الأئمَّة قبلهم بأزمان وبعدهم؛ فليسوا محصورين في

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٦٩).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ١٦٧)، المنار المنيف (ص١٣٦).
(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (٨٩٦)، من حديث عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ولفظه: «الأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ رَجُلاً، يُسْقَى بِهِمُ الغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ العَذَابُ».

الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَدِرَايَتِهِمْ.

وَهُمُ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ، . . . .

الأربعة، لكنَّ الأربعة اشتهروا أكثر، ووجود الأئمَّة فيهم دليل أنَّهم من أهل السُّنَّة وليسوا من أهل البدعة، وصاحب البدعة لا يُثنَى عليه؛ بل يُذَمُّ.

(الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَدِرَايَتِهِمْ) مِنْ شأنهم طَلَبُ الهُدَى واتِّباعه.

فإنَّ الأئمَّةَ الأربعةَ كونهم أهل هُدىً وخيرٍ وعِلمٍ؛ لا نزاع بين المسلمين أنَّهم أئمَّة، وليسوا معصومين في جميع أقوالهم، فإنَّ المعصومين الرُّسُل، فإنَّه ليس شرطاً أنْ لا يوجد في أحدٍ زَلَّة.

كلُّهم في أهل السُّنَّة موجودون.

وهم الطَّائفة المَنْصُورَة

(وَهُمْ) أي: أهل السُّنَّة والجماعة **(الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ)** الباقيةُ وجودها في النَّاس، وهم: الفِرْقَةُ الثَّالثة والسَّبعون **(الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ)** مُثنياً عليهم: **(«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ)** عالين منصورين؛ كما في الآية: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ فإنَّ الشَّيءَ كُلَّما كان منصوراً صار جليّاً، فالظُّهور تَبَعٌ للنَّصر والتَّأييد، وكلَّما كان أَقلَّ نصرةً صار أَقلَّ ظهوراً.

لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

فَنَسْأَلُ اللَّهُ العَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

(لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ) يعني: تَرَك نُصْرَتَهم.

(وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ) وضَادَّهم وعَادَاهُم.

(حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[1]) فإنَّ اللَّه ﷻ من عنايته أنَّ تلك الطَّائفة يحفظ اللَّه بهم الدِّين، وتقوم بهم الحُجَج على الأُمَّة.

(فَنَسْأَلُ اللَّهَ العَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ) يعني: مِنْ تلك الطَّائفة المنصورة ظاهراً وباطناً.

هذا دُعاءٌ من المُصنِّف أنْ يجعله اللَّه منهم وأصحابه، ومَنْ أَرادَ[2] صَارَ حريصاً على هداية النَّاس.

(وَأَنْ لَا يُزِيغَ) يُميلَ (قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا).

(وَأَنْ يَهَبَ) يُعطِيَ (لَنَا مِنْ لَدُنْهُ) يعني: مِنْ عنده (رَحْمَةً)؛ مَنّاً منه وفضلاً، (إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ).

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٢).

(٢) أن يكون منهم.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

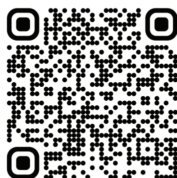
(وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً).



كَتَبْتُ التَّقريرات مِنْ عام (١٣٦٧هـ)

وبَيَّضْتُها في (٣/ ١٤١١هـ)

فِهرِسُ المرَاجِعِ

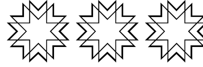


فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

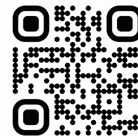
فَصْلٌ ٣٤١

فَصْلٌ ٤١٤

فَصْلٌ ٤٣٠



مؤسَّسة طالب العلم للنَّشر والتَّوزيع
+٩٦٦ ٥٠ ٦٠ ٩٠ ٤٤٨



دار الدليقان للنَّشر والتَّوزيع

مؤسسة طالب العلم للنشر والتوزيع ٩٦٦٥٠٦٠٩٠٤٤٨+

ردمك: ٠-٧٩٠٣-٠٤-٦٠٣-٩٧٨